

لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المصورة
<https://palstinebooks.blogspot.com>

الذئب في الأدب العربي

تأليف
أ. د. فضل بن عمار العفاري



جامعة الكويت
مركز الدراسات والبحوث





الذئب في الأدب العربي

تأليف

أ.د. فضل بن عمّار العَمّاري

الأستاذ بقسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب - جامعة الملك سعود

النشر العلمي والمطابع - جامعة الملك سعود

ص.ب ٦٨٩٥٣ - الرياض ١١٥٣٧ - المملكة العربية السعودية



ح) جامعة الملك سعود، ١٤٣٣هـ (٢٠١٢م).

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العماري، فضل بن عمار

الذئب في الأدب العربي./ فضل بن عمار العماري - الرياض، ١٤٣٣هـ

٢٨٦ص؛ ٢٤×١٧ سم

ردمك: ٨-٩٩٨-٥٥-٩٩٦٠-٩٧٨

١- الحيوانات في الأدب ٢- الذئب أ.العنوان

١٤٣٣/٣٤٢٢

ديوي ٨١٠.٩٠٣٦٢

رقم الإيداع: ١٤٣٣/٣٤٢٢

ردمك: ٨-٩٩٨-٥٥-٩٩٦٠-٩٧٨

حكمت هذا الكتاب لجنة متخصصة، وقد وافق المجلس العلمي على نشره في اجتماعه

الحادي عشر للعام الدراسي ١٤٣٢/١٤٣٣هـ المعقود بتاريخ ٦/٣/١٤٣٣هـ الموافق

٢٩/١/٢٠١٢م.

إدارة النشر العلمي والمطابع ١٤٣٣هـ



المقدمة

تعد الصحراء العربية من الصحارى العالمية المقفرة المجذبة التي لا تحتفظ إلا بأنواع معينة من النباتات والحيوانات التي تكيفت مع ندرة المياه وجفاف الأجواء، حيث تشتد الحرارة صيفاً، ويبرد الطقس شتاءً مع قلة نزول الأمطار؛ وبها نباتات ربيعية سرعان ما تذبل وتموت. وهناك واحات منتشرة في وسط الصحراء وعلى أطرافها، إلى جانب القرى والأرياف في المناطق البعيدة عن جوف الصحراء ومحيطها العام.

وإذا ألقينا نظرة على الحيوان المفترس في الصحراء، نجد أن النوع المسيطر في كل أجزائها هو: الذئب؛ فلا الأسود من الحيوانات الصحراوية، ولا الضباع هي المنتشرة فيها؛ أما الثعالب والقطط البرية، فهي حيوانات صغيرة لا تقاس بحجم الذئب، حتى إنهم لا يعدونها حيواناً مفترساً. بل إن الضباع نفسها التي قد تكبر الذئب جسماً، لاتعد من الحيوانات المفترسة في مقابل النمر والفهود مثلاً؛ لأنها تعتمد في قوتها على الجيف، حتى إن دورها يكاد يقتصر على تنظيف البيئة وكسها.

وليس لدينا تحديد لأنواع الذئب في الجزيرة العربية، فالعجم اللغوي يعطي أسماء وصفات متفاوتة للألوان والأحجام، في حين أن الأدب يقدم نموذجاً مثالياً للذئب. وعلى كل حال، فالذئب العربي متناسق الجسم صغير الحجم، حاد الذكاء، دائم الجوع، صبور، يكتسب قوته بالقوة والحيلة، والصدقة حيناً، والاختتال حيناً آخر، ولكنه في جميع الحالات يعتمد على قدراته الذاتية في الوصول إلى زرائب الماشية

والأغنام، فهي التي لا يتردد أبداً في افتراسها، ولذلك كانت الخصومة بينه وبين الرعاة، وأصحاب الأغنام شديدة وعنيفة، فليس هناك بُدّ من مطاردة الذئب وقتلها، والاستعداد لها. وقد تحولت هذه الخصومة مع الماشية والأغنام إلى عداوة بين الإنسان والذئب، وولدت هذه الخصومة القصص والأساطير، وانقلب الذئب من حيوان يبحث عن صيد في نطاق حيوانيته، أي: الأغنام والماشية والطيور الداجنة... إلخ، إلى إنسان يقاتل الإنسان، ومن حقيقة إلى خيال، فكان هو والغول سواء، وتولت الأشعار دور المادة القصصية، فحيكت القصائد، وتغنى الشعراء، وكان الذئب رمز الإنسان في الصحراء.

وعندما جمع العرب مادة اللغة، كان ضمن جمعهم كل ما يتعلق بالذئب، بيد أن شخصيته الشعبية كانت هي الواضحة الملامح، في حين كان الأسد حيواناً أرسقراطياً حتى في الشعر. وبدت مكانة الذئب الشعبي تبرز شيئاً فشيئاً، فوجدنا إشارات ضئيلة إلى معتقدات العرب فيه في الجاهلية، وتسَلَّت بعض هذه المعتقدات إلى العرب تدريجياً ومع تقدم الأزمان. كما أخذت تلك المادة الشعبية تلعب دورها في عقلية الشعب، فكان الذئب جزءاً من العلاج الوهمي للإنسان.

وبهذا اكتملت جوانب صورة الذئب العربي لتتوافق كلياً مع كل الصور المرسومة عنه عند الشعوب التي عاش فيها الذئب عالمياً.

غير أن هذه الصورة الكلية لم تلبث أن اهتزت أمام تحديات العلم ومجالات التجريب، فأخذت كثير من المعلومات المشوهة عن الذئب توضع على المحك والنقد، وتقدمت علوم دراسة الحيوان، فراحت تتحقق من كل صغيرة وكبيرة في المدونات القديمة عن الذئب، وكان هناك تصنيفات لهذه المدونات، فبعضها صُنّف في جانب علم الموروثات الشعبية، وبعضها صُنّف ضمن التاريخ والأدب، وبعضها كان من نصيب العلم التجريبي والتطبيقي.

وتفتقر المكتبة العربية حتى الآن إلى دراسات من هذا القبيل، فليس هناك دراسة

متخصصة في الضبع، ولا الأسد، ولا الزواحف كالضب، أو الطيور كالعقبان والنسور. ولو وُجدت دراسة، لما تعدت النطاق التصنيفي مما يدور في ما يُعرف بدراسة الطبيعة في الشعر العربي، حيث تُحشد الأشعار في جانب، نجد مكرراً في كتب كثيرة من هذا النوع. ولعل أوضح شاهد على هذا المنهج تلك الكتب المصنفة حتى الآن في الحُيَل، وربما أُضيف إليها الإبل.

وإذن، لا بد من نُقْلة نوعية في طريقة البحث تفتح آفاقاً جديدة، وتعد سابقة تحتذى. صحيح أن المجال التجريبي في البلدان العربية ما يزال محدوداً وقاصراً، ولكن أبواب البحث مشرعة، ونتائج العلوم واحدة وتقريبية، يمكن الاعتماد عليها، وتبني وجهات نظرها، حتى يتحقق لنا ذات يوم محميات خاصة، وعلماء ثقات مخلصون، يعملون مثلما عمل غيرهم، فنكون قد أوصلنا حلقات الحاضر بالماضي، وبرزنا ثانية في مجال الريادة والسيادة.

ومن هذا المنطلق العسير والشائك كان هذا الكتاب الذي حاول أن يُغلق الدوائر كلها حول الذئب، فيجيء كتاباً جامعاً، أي: للموروث الأدبي والشعبي ومدى مصداقيته مع النتائج العلمية الحديثة، وفق استبصار عميق لطبيعة الذئب العربي في جزيرة العرب والحقائق المتاحة حتى الآن عن الذئب عامة.

ولم يتأت ذلك إلا بعد قراءات متواصلة عن الذئب في اللغات الأجنبية، لم تكن كل مراجعها متوافرة إلا بعد شدّ الرحال إليها، والبحث عنها، ليس في النواحي العلمية فحسب، بل في آداب الشعوب الأخرى، ثم هذا الجمع للمادة الأدبية شعرية ونثرية وإخبارية، ليظهر الكتاب عملاً يضم نتائج حوتها تلك المؤلفات عن الذئب في شتى المجالات.

ولم يكن الأمر قاصراً على الكتب الأجنبية، بل إن مؤلفات باللغة العربية كانت صعبة المنال لولا الإلحاح في طلبها والجدّ في العثور عليها في مواطنها.

لقد اهتم العلماء بالذئب، فجاءت الكتب العلمية فيه متفرقة، بعضها اختصّ بالتراث الشعبي والأسطوري، وبعضها حكى قصصاً عنه، وتشتت المعارف العلمية في تكوينه وعلاقته بالمجتمعات البشرية قديمة وحديثة، وركزت معظمها على طبيعة الذئب وسلوكه. وجاء هذا الكتاب ليستخلص كل ذلك، ويعرض ما في الأدب العربي عليه، فكان كتاباً جامعاً، مفصلاً، يتناول أبسط الجزئيات هنا وهناك، فيربطها جميعاً، لنقرأ كتاباً واحداً شاملاً عن الذئب وفق ما توصلت إليه الخبرة الإنسانية، ووفق ما جاء به أدب العرب على مرّ التاريخ.

تمهيد

لن ندخل في تفاصيل حول أسماء الذئب وكُنَاه، وصفاته، فقد اشتملت الدراسة التي نُشرت في مجلة كلية الآداب جامعة الملك سعود على ذلك. ولن نخوض في اشتقاقات الاسم: "الذئب"، و مترادفاته، فهي أيضاً مما عرضت له تلك الدراسة.

ومما يلفت النظر هو إحدى تلك الصفات: الوراق والأورق. وكلاهما يعني: الذي يضرب لونه إلى الخضرة، أي: السواد. وفي اللغة الفارسية نجد كلمة: كَرَكَ. التي تلفظ: وركَ.

وهي تعني: الذئب في لغة الفرس: الهندوأوروبية. واللغة الفارسية إحدى اللغات الهندوأوروبية التي تشترك في كثير من المفردات المعجمية مع بعضها.

وهكذا تحولت: وركَ.

في اللغة الألمانية القديمة إلى:

فاركَ Warg

فاركَ Warag

فيركَ Wearg

Wearh فيره

وصارت حديثاً:

Wolf فولف

وهي في الإنجليزية :

Wolf وولف

فإذا عدنا إلى نطق الكلمة الأولى في اللغة العربية، وجدناها: ورق.
أو أصلها: أورق - ورقاء.

ومن هنا، فلعل أن أصل الكلمة الأعجمية التي تطلق على الذئب هي هذه الصفة العربية. وقد لاحظ القوم في لون الذئب: الخضرة، أو بمعنى آخر: الطلسة، والذئب الأطلس، هو أشهر أنواع الذئاب على الإطلاق عربياً وعالمياً: *pale colour: Yellowish - grey / brown/ grey* ^(١).

وتوجد في إيران عدة قرى تحمل اسم الذئب كرك.

ولعل مدينة الوركاء في العراق، أصلها: الوركاء، نسبة إلى الذئب.

أما ما يلفت الانتباه مرة أخرى، فهو المسمى:

الشكال (شغال، بالفارسية): ابن آوى.

وواضح من تركيب الاسم أنه عربي الأصل جاء من: الشكل.

ولا يقتصر تأثير اللغة العربية في عالم الحيوان، على هذا، بل نجد في

الإنجليزية: *The Prairie Wolf*.

أي: ذئب البراري، والبراري، كلمة عربية. ولكن الغريب في الأمر أن هذا الذئب لا يعيش في جزيرة العرب، بل في شمال أمريكا، حيث الثلوج والمرتفعات،

Cristian Gross, *Mammals of Southern Gulf* (Dubai: Emirates Printing Press 1987) pp.42-43. Harrington, (١)

F.H. & P.C., Paquet *Wolves of the world* (Noyes: Noyes Publication, 1984) pp, 178-181.

وانظر، جمال الدين، أبو الفضل، محمد بن جلال الدين بن مكرم بن منظور، لسان العرب (بيروت: دار صادر، د-ت) "طلس".

فهل وجد هذا الذئب يوماً في بلاد العرب؟

ومما يتعلق بأصول الكلمات، تسمية الذئب بـ: الدَّالان أو الدَّرَّوان أو دُوالة أو دُوَال (الذي يقال: إنه ترخيم: ذؤالة).

إذ المعروف أن الكلب الوحشي يسمى Dhole، وهذا يعني أنه ربما كان موجوداً في جزيرة العرب، قبل أن يفرض ويصبح من حيوانات شرق آسيا، وكان في الأصل يُنطق بالذال، ثم تَصَحَّف إلى (دال)، وقد عدّه العرب من أسماء الذئب.

وحيث إنه ليس لدينا معلومات كافية عن الذئب الأسود The Black Wolf، الذي لا نجد له ذكراً في المصادر القديمة، أو المراجع الحديثة، مع أنه موجود في بعض أنحاء من العالم، فإن الاعتقاد بوجوده أمر ممكن، طالما أنه اقترن بالدعاء على الخصوم بـ"الأسود": أي الذئب الأسود؛ ونحن نعلم أن صفات مثل: سرحان، مشتقة من السَّرْح؛ والأطلس، مشتقة من الطلسة... وهلم جراً، ثم إن الصفة "سيد" مشتقة من "السواد"، وهي الصفة الشهيرة جداً من بين صفاته في الشعر العربي القديم خاصة، ويدل هذا على أن الذئب الأسود كان هو الغالب في الجزيرة العربية، ثم انقرض منذ أماد بعيدة.

وإذا كان الأورق والورقاء تدلان على الذئب، فإن: Aard Wolf .

هو: ابن الأرض، أي الذئب، أيضاً.

وهكذا، فإن تسمية اللص في اللغة الألمانية، Dieb .

هو: الذئب؛ لأن صعاليك العرب، هم ذؤبانهم، وما زالت بعض الأسماء في اللهجات العربية المعاصرة تنطق: ذيب، أو أبو ذيب، بدلاً من تخفيف الهمزة: ذيب . وبالتالي، فإن اشتغال اللغة العربية على عدد كبير جداً من الأسماء والصفات عن الذئب يعني أن لدينا مخزوناً كبيراً من الألفاظ التي تعود إلى عصور مفرقة في القدم، وأنها ربما استعارتها من أخواتها الساميات، كما نلاحظ من وجود بعضها في اللغة اليمنية، مما أشار إليه العلماء في مواضعه.

بل إننا لو تمكنا من التدقيق أكثر، لوجدنا بعض هذه الألفاظ في عدد آخر من اللغات العالمية، مع تحريف قل أو كثر، فمثلاً: في الأسبانية hepos، في الفرنسية heloup، قد تعود إلى: الليوأة، وهي من أسماء أنثى الأسد، ولأنها في اللغات اللاتينية تعني: الذئب.

ولمجرد الفذلكة اللغوية، ألا يحتمل أن يكون مسمى الأسود نفسه، مصدره اللغة العربية، أي: أبلق، والأبلق: الأسود Black !!

المحتويات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
تمهيد	ط
المختويات	م
الفصل الأول: أنواع الذئاب وصفاتها	١
أنواع الذئاب	١
ذئب الجزيرة العربية	١
ذئاب فلسطين	١
الأنواع الأخرى	٣
السلعام	٣
ذئب الغضا	٣
ذئب القفر	٣
السَّمَسَم	٣
ذئب الردهة	٣
أسماؤه وصفاته	٤
العنزة	٥
ابن آوى	٥

٦.....	المركبات
٦.....	الأسبور
٦.....	العسبار
٦.....	السمع
٧.....	الدوران
٩.....	الارتباط الجنسي بالكلاب
٩.....	الديسم
٩.....	العسبور والعسبورة
٩.....	الكلاب السلوقية
٩.....	الخيهفمي
٢١.....	الصفات الجسمية للذئب العربي
٢١.....	اللون العام
٢١.....	الأطلس
٢١.....	الأطحل
٢١.....	الأغبس
٢٢.....	الأدغم
٢٢.....	الأشهب
٢٢.....	اللون الخاص
٢٢.....	لون الرقبة
٢٣.....	الخاصرة
٢٣.....	الذراعان
٢٣.....	الكاهل
٢٤.....	العيون
٢٤.....	الأذنان

٢٤	الفك والأنياب
٢٦	الخطم (أنف الذئب)
٢٧	الذيل
٢٨	الضلوع
٢٨	الساقان
٣١	الفصل الثاني: طبيعة الذئب وحالاته الخاصة
٣١	طبيعة بالذئب
٣١	الوحدة والاجتماع
٣٥	الجوع
٣٨	الذكاء
٣٩	رهافة الحس
٣٩	الشجاعة
٤٠	الغدر والخيانة
٤٠	عدم الحياء
٤١	القناعة
٤٣	اليقظة
٤٣	الموت
٤٤	حالات الذئب الخاصة
٤٤	السير
٤٥	الشم
٤٥	الصوت
٤٥	العواء والعويل
٤٩	الصمت
٤٩	العسن

٥٠ الصيد
٥٣ المطاردة
٥٣ الهجوم والاختطاف
٥٥ التضامن
٥٦ طريقة شربه للماء
٥٧ أكل لحوم بعضها بعضاً
٦١ الاجتماع الجنسي
٦٣ الذئب والنار
٦٧ الفصل الثالث: الذئب والإنسان
٦٧ هجوم الذئب على الإنسان وأكله
٩٥ أكل لحم الذئب
١٠٠ المرأة والذئبة
١٠٤ التشبه بالذئب
١٠٨ تربية الذئب
١١٠ صيد الذئب
١١٠ وسائل صيد الذئب
١١٠ الحُفر
١١٠ الأوجار
١١٠ الزبية
١١١ المغويات
١١١ المهلكة
١١١ الحديد
١١١ اللبجة
١١١ النامرة

الحظائر.....	١١٢
الرداعة.....	١١٢
الشهم / السهم.....	١١٢
الكمحة.....	١١٢
الشبكة.....	١١٢
اليعر.....	١١٢
الفخ.....	١١٢
الأعشاب والسموم.....	١١٣
خائق الذئب والنمر.....	١١٣
العنصل.....	١١٣
التخدير.....	١١٣
المباغته والترصد.....	١١٤
الرمي.....	١١٤
السهام.....	١١٤
الرماح.....	١١٤
طرد الذئب.....	١١٤
الخيال.....	١١٤
الفصل الرابع: علاقة الذئب بالحيوانات.....	١١٥
الحيوانات الأليفة.....	١١٥
الإبل.....	١١٥
الأغنام.....	١٢٢
الكلاب.....	١٣١
الحيوانات البرية.....	١٣٤
الأرانب.....	١٣٤

١٣٤	البقر الوحشي
١٤٢	الحمر الوحشية
١٤٤	الظباء
١٥١	الحيوانات المفترسة
١٥١	الثعالب
١٥١	الضباع
١٦١	الفصل الخامس: علاقة الذئب بالطيور والحشرات والأسماك والطبيعة
١٦١	الطيور الداجنة
١٦١	الدجاج
١٦٢	الطيور البرية غير الجارحة
١٦٢	الحمام البري
١٦٣	النعام
١٦٥	الغريان
١٦٨	الطيور البرية الجارحة
١٦٨	النسور
١٦٩	العقبان
١٧٤	الحشرات
١٧٤	البيشة (أم حبين)
١٧٦	الجراد
١٧٦	الزواحف
١٧٦	الثعابين
١٧٧	الضباب
١٧٨	صيد البحر
١٧٨	السماك

١٧٨	أجزاء الحيوان
١٧٨	الجلد
١٧٩	العظام
١٨٠	الطبيعة
١٨٠	الصحراء
١٨٥	الأعشاب والأشجار
١٨٩	الماء
١٩٤	الأطلال
١٩٦	التراب
١٩٧	الفصل السادس: الذئب في الدين والأدب والموروث الشعبي الطي والحرفي ..
١٩٧	الذئب في الدين
١٩٧	القرآن الكريم
١٩٧	ذئب يوسف
١٩٩	الحديث الشريف
١٩٩	الذئب يتكلم
٢٠٠	الدعوة بالذئب
٢٠١	الذئب في الفقه
٢٠١	نجاسة الذئب
٢٠١	الجلد
٢٠٢	الخطفة
٢٠٢	الذئب في الأدب
٢٠٢	في الإسلام
٢٠٢	مكلم الذئب
٢٠٤	تمويه مسيلمة الكذاب

٢٠٥	دعوة النبي ﷺ على أبي واسع
٢٠٥	مطعم الذئب
٢٠٦	في الجاهلية
٢٠٦	الذئب في الأساطير
٢٠٦	التخويف بالذئب
٢٠٧	الاعتقاد في الذئب
٢١٨	الطب الشعبي
٢١٨	خواصه
٢١٩	زمنه
٢١٩	كبده
٢١٩	لحمه
٢١٩	رأسه
٢١٩	نابه
٢٢٠	عظم ساقه
٢٢٠	كعبه
٢٢٠	كعبه الأيمن
٢٢٠	كعبه الأيسر
٢٢٠	جلده
٢٢١	قلبه
٢٢١	أمعاؤه
٢٢٢	بوله
٢٢٢	خرؤه أو زيله
٢٢٣	خصيته
٢٢٤	دمه

٢٢٥	ذنبه
٢٢٥	ذكره
٢٢٦	عظمه
٢٢٦	عينه
٢٢٦	عينه اليمنى
٢٢٦	عينه اليسرى
٢٢٧	جلده وعينه وأنيابه
٢٢٧	مرارته
٢٢٨	علاج عضه الكلب / المكلوب
٢٣٠	الخرافات الشعبية
٢٣٠	الرقى
٢٣٥	الذنب في الأحلام
٢٣٦	الذنب في السياسة
٢٣٩	بعض القصائد في الذنب
٢٣٩	الأعشى
٢٤١	أبوكبير الهذلي
٢٤٢	المرقش الأكبر
٢٤٢	حميد بن ثور الهلالي
٢٤٥	كعب بن زهير
٢٤٧	ابن مقبل
٢٥٠	النجاشي الحارثي
٢٥٠	الفرزدق
٢٥١	الشريف المرتضى
٢٥٣	الخاتمة

٢٥٧	المصادر والمراجع.....
٢٧٥	ثبت المصطلحات:
٢٧٥	عربي - إنجليزي
٢٧٧	إنجليزي - عربي
٢٧٩	كشاف الموضوعات

أنواع الذئاب وصفاتها

أنواع الذئاب

ذئب الجزيرة العربية *Canis Lupus Arab*

هو أصغر أنواع الذئاب. أطرافه طويلة، وذيله يتدلى إلى العقب يغطيه شعر خشن، طرفه أسود، وقمته سوداء وبيضاء. رأسه غليظ، وخطمه، أي: أنفه، محدود، أي: طويل بارز، مدبب ينتهي بنهاية سوداء. جبهته عريضة. أذنه منتصبه صغيرة نسبياً. لون شعره يتفاوت بين الأصفر البني، إلى الرمادي البني، ممزوجاً ببعض السواد، مع وجود اللون الأسود على الظهر. يظهر اللون الأبيض على الحدود وتحتها وتحت البطن. أما شعر جسده، فقصير خشن. معدل الوزن: ٢٠-٣٠ كغ. معدل طوله ١١٤٠ ملم، طول ذيله ٣٢٠ ملم.

ذئب فلسطين

ينتمي الذئب في فلسطين إلى الذئب الآسيوي الذي يقطن المنطقة الممتدة من سفوح جبال الهملايا بالهند حتى فلسطين. وذئاب فلسطين ذئاب مناطق فسيحة، وهي لم تعش أبداً في الأشجار الكثيفة.

كما أن ذئاب فلسطين ذات تفاوتات في الحجم واللون. وهي تعد أكبر من ذئاب أوروبا وأقوى، ويزداد حجم الذئب في المناطق التي يكثر فيها سقوط الأمطار، بينما

يقبل تبعاً لندرتها، إلا أن ذئاب الصحراء غير متساوية من حيث الحجم، وفي المناطق الجنوبية التي يقل سقوط المطر فيها تكون أصغر حجماً، إذ هي ذات جماجم صغيرة، وأجسامها صغيرة أيضاً.

ولا أحد يعرف مدى العلاقة بين الذئب كانيس لوبوس باليبس العربي، C.L. Pallipes، والذئب Canis Lupus Linnaeus حيث يتعايش النوعان جنوب وادي عربة، والمظنون به أن الذئب العربي كان يعيش وحده في هذه المنطقة نتيجة لاستعداده الطبيعي للظروف الصحراوية. وربما ساعدت الظروف المكانية وتوافر الغذاء على دخول الذئب كانيس لوبوس باليبس، ومنافسته للذئب العربي.

يظهر شعَر الذئب كانيس لوبوس باليبس C. L. P، والذئب العربي C. L. Arabs، قصيراً ودقيقاً في الصيف، إلا أن شعر الظهر أطول نوعاً ما في هذين النوعين حتى في الصيف، وذلك يعود إلى الحرارة الملتهبة في الصيف حين تضطر الذئاب إلى العمل ليلاً.

أما في الشتاء، فالشعر يكون طويلاً، ولكنه لا يصل إلى طول شعر الذئاب في أوروبا، إذ يبلغ طول الشعر في الصيف في هذين النوعين: ٣٠ ملم في الظهر و١٠ ملم في الجانين .

يميل لون الوجه إلى الدكنة الصفراء المتقطعة، والسيقان، والجباه، والأذنان، فتميل إلى الصفرة البرتقالية الخفيفة. ويكون أسفل ظاهر السيقان وباطنها أبيضين، وجوانب الأنف صفراء رمادية^(١).

(١) David L. Harrison & Paul J. J. Bates, the Mammals of Arabia (Lakeside Printing, Harrison

الأنواع الأخرى

يتبين لنا من عدم الاتفاق في اللون: (أطلس - أطلحل - أشهب...)، أن هناك أنواعاً أخرى غير تلك التي تذكرها الدراسات المعاصرة، وتتفق مع النوع العام. فربما وجدت في الجزيرة العربية ذات يوم أنواع مختلفة من الذئاب، انقرضت الآن، فمن ذلك:

السلعام وهو الذئب الدقيق الخطم الطويله^(١).

ذئاب الغضا، أو سرحان القصيم، أو سيد الرمل.

وذئب الغضا أخبث الذئاب، فهو أخبث من ذئب البراح، ولذا يقال: أحمم

الذئب، إذا استتر بالخم^(٢).

الذئب القفر، وهو الذئب المنسوب إلى القفر^(٣).

السسم، الذئب الصغير الجسم^(٤).

ذئب الرُدْهَة، الردهة: النقرة في الجبل، أو في صخرة يستتبع فيها الماء^(٥).

(١) السيد محمد مرتضى الزبيدي، تاج العروس (القاهرة: المطبعة الخيرية، ط ١، ١٣٠٦هـ)، "سلعام".

(٢) حمزة بن الحسن الأصبهاني، الدرر الفاخرة، تحقيق: عبدالمجيد قطامش (القاهرة: دار المعارف،

١٩٧١م) ج ١، ص ١٩٠-١٩١، كعب بن زهير، ديوان كعب بن زهير (القاهرة: الدار القومية،

١٣٦٩هـ/١٩٥٠م)، ص ١٣٠. أبو الفضل، أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد

محيي الدين عبدالمجيد (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م) ج ١، ص ٣٣٣. ابن

منظور، اللسان، "سيد".

(٣) الزبيدي، التاج، "قفر".

(٤) ابن منظور، اللسان، "سسم".

(٥) المصدر نفسه، "رده".

أسماءه وصفاته

وقد أطلقوا على الذئب أسماء وصفات متعددة، لعل بعضها لم يكن معروفاً الآن، فمن أسمائه :

ابن الأرض^(١)، امرؤ^(٢)، الجنب^(٣)، السعسُع^(٤)، السمام^(٥)، السلُق^(٦)، السلَمَع^(٧)، الضَّابِي^(٨)، الطُّلو^(٩)، العِلْس^(١٠).

ومن صفاته : العَيْل^(١١)، القَطْرُب^(١٢)، الهِطْل^(١٣)، الهِلَطُوس^(١٤).

(١) جلال الدين، عبدالرحمن السيوطي، المنى في الكنى، تحقيق: ZDMG، C. F. Seybold، ع ٤٩٥ (١٨٩٥م) ص ١٢٤.

(٢) ابن منظور، اللسان، "مرأ".

(٣) المصدر نفسه، "جنب".

(٤) المصدر السابق، "سمع". الزبيدي، التاج، "سعسُع".

(٥) رؤبة بن العجاج، ديوان رؤبة، ضمن مجموع أشعار العرب، تحقيق وليم بن الورد (لا يينغ: دروفولين، ١٩٠٣م) ص ١٥٠.

(٦) ابن منظور، اللسان، "ألُق".

(٧) المصدر نفسه، "سلمع".

(٨) المصدر نفسه، "ضبا".

(٩) الطرماح بن حكيم، ديوان الطرماح بن حكيم، تحقيق: عزة حسن (بيروت: دار الشروق، ط ٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م) ص ٢٤١.

(١٠) ابن منظور، اللسان، "علش".

(١١) الزبيدي، التاج، "عيل".

(١٢) امرؤ القيس بن حجر، ديوان امرؤ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨م) ص ٣١٦.

(١٣) ابن منظور، اللسان، "هطل".

(١٤) المصدر نفسه، "هلطس".

ومن أسماء الذئب أو صفاتها: السمعمعة^(١).

وعما يؤكد لنا هذا أن: العتزة ضرب من السباع بالبادية، دقيق الخطم، كالسلوقية، أو هو على قدر ابن عرس، وهو من جنس الذئب^(٢). وإن قال ياقوت: "إنه شيطان، فلا يرى البعير فيه إلا مأكولاً"^(٣).

وقد تكون العتزة هذه نوعاً من السباع، وليس من الذئب، وإنما جعلها العرب من الذئب لاشتباها عليها بالذئب، ذلك أنهم عدواً سوى هذه من غير الذئب، وذلك مثل:

ابن آوى: يثبت العلم أنه ليس بالإمكان التمييز بين أنواع الذئب المعروفة بكانيس لويس Canis Lupus، ومن بينها الذئب العربي، إضافة إلى ذئب فلسطين؛ وكذلك، ابن آوى (الشاكال The Jackal)، وهو أيضاً أكثر من نوع. ولا يدل حجم الجمعجة على أي منها، إذ لا بد من اللجوء إلى الحجم، واللون، وطبيعة الشعر، وخصائص الذيل؛ وهذه أمور يصعب إدراكها، دوغما خبرة عميقة.

(١) المصدر نفسه، "سمع".

(٢) المصدر نفسه، "عتز".

(٣) شهاب الدين، أبو عبدالله، ياقوت الحموي، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) "عتزة".

وانظر، شهاب الدين، أبو العباس أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في مسالك الأمصار وممالك الأمصار في الحيوانات والنباتات والمعادن، تحقيق: عبدالحميد صالح حمدان (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط ٢، ١٩٩٦م)، ص ٧٧، الذي قال: "عتزة: حيوان دقيق (الخضمر) يكون ببادية (المغرب)؛ قالوا: يأخذ البعير من قَبَل دبره، ويقتله، وقلمتا ترى، ويزعم أهل (المغرب) أنه شيطان، فإنه يخنفي، ولا يرى إلا البعير المأكول".

وهنا تصحيفان هما: "الخطم"، "العرب".

وإذن، فهل ينطبق شيء من أسماء الذئب وصفاته على ابن آوى أيضاً؟ إن ذلك محتمل جداً.

المركبات

الأسبور^(١).

العيسار : وهو ولد الضبع من الذئب^(٢).

السمع : وهو ولد الذئب من الضبع، وعرفوه بأنه لا يعرف الأسقام والعلل، ولا يموت حتف أنفه، بل يموت بعرض من الأعراض يعرض له. وليس في الحيوان شيء عدوه كعدوه؛ لأنه في عدوه أسرع من الطير، ولقد قيل: إن وثبات السمع تزيد على عشرين أو ثلاثين ذراعاً^(٣)، واستشهدوا بقول الشاعر في فرسه :

تراه حديد الطرف أبلج واضحاً أغر طویل الباع أسمع من سميع^(٤)

وفي قول تابط شراً في الشنفرى :

وإذا يغدو فسمع أزل

قالوا: "قال أزل، وجعله عادياً، ووصفه لذلك؛ لأنه ابن الذئب"^(٥).

بل لقد قرّبوا بينه وبين الذئب في اللون والهيئة، فقالوا:

بها السمع الأزل الأطلسا^(٦)

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص ٣٥٢.

(٢) ابن منظور، اللسان، "عسير".

(٣) الزبيدي، التاج، "سمع".

(٤) المصدر نفسه.

(٥) أبو عمرو، عثمان بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (بغداد: وزارة

الإعلام، ١٩٨٣م) ج ١، ص ١٨٣.

(٦) المصدر السابق، ج ١، ص ١٨٣.

فالزلل : مشية خاصة بالذئب، والطلسة : لون الذئب المائل إلى الكحلي.
ولا يتفق هذا الاعتقاد أبداً مع التقارير العلمية التي تنفي أي ارتباط عضوي
للذئب بالضبع لتباعد الفصيلة الذئبية عن الفصيلة الضبعية The Hyacidae .
وقد حقق هذا الجاحظ في قوله :

"وأما الذين ذكروا في أشعارهم السمع والعسبار، فليس في ظاهر كلامهم دليل
على ما ادعى عليهم الناس من هذا التركيب المختلف، فأدينا الذي قالوا، وأمسكنا
عن الشهادة، إذ لم نجد عليها برهاناً"^(١).
الدُّرَّوان : ولد الضبعان من الذئبة^(٢).

"وقد يمكن أن تسمح الضبع للذئب والذئبة للذئخ"^(٣) : أي يتسافدا.
بل يقول: إن بنات آوى، والثعالب، والضباع، والكلاب، كلها كلاب؛
ولذلك تسافد وتلاقح"^(٤). ومع ذلك، يعود، فيقول:
"على أننا لم نتبين إلا الساعة أن الضباع، والكلاب، وبنات آوى، والذئاب،
تتلاقح، وما رأينا على هذا سمعاً، ولا عسباراً، ولا كل ما يعدون وما ذكرهم لذلك إلا
عن طريق الأخبار عن السرعة، أو عن ما يشبه ذلك"^(٥).
ويقدم لنا العلم معلومة تحتاج إلى نظر فهو يذكر جنساً من الضباع يطلق عليه
اسم العسبار Proteles Cristatus، أو Aard wolf^(٦).

(١) المصدر نفسه، ص ١٨٥ .

(٢) الزبيدي، التاج، "الدروان".

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج ٧، ص ٢٤٣. الذئخ : هو الضبعان، أي ذكر الضبع.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٨٢ .

(٥) المصدر نفسه، ص ١٨٣ .

(٦) عزيز العلي العزي، الحيوان في تراثنا بين الحقيقة والأسطورة (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة،

وهو جنس تفرّع عن جنس *Ictitheres*، المشابه كثيراً للضبّاع. ويوجد هذا النوع الآن في جنوب إفريقية، كما يمتد وجوده من وسط تنزانيا حتى شمال شرق السودان^(١). وهو يشبه ضبباً، عرفاء صغيرة، لكن عرفه طويل الشعر منتصبه، وخطمه وأذناه مدببة أكثر من خطمها وأذنيها. وهو ينبش الأرض عادة، ليلتهم حشرة الأرض.

إنه أصغر حجماً من الضبب المرقش *Spotted Hyanae*؛ لونه بني غامق يمتزج بسواد وبياض، وشعره في الرقبة طويل، وأذناه محدتان. مقدمه أضخم من مؤخره. وهناك صفات مشتركة بين العسبار والذئب، منها:

أن العسبار كثير الحركة، لا يهجع ليله ونهاره. يتنقل من غذاء إلى آخر، على عكس الضبب المرقش الذي يستريح، ويأكل كمية كبيرة. وشعره أكثر غزارة من الضبب المرقش. وغالباً ما يكون بمفرده، ثم هو يستروح الهواء، كما يفعل الذئب. وهو أقل عزيمة من الضبب المرقش^(٢).

إذن، فالعرب حينما تحدثوا عن العسبار، أو السمع، أو الدروان، ظنوا أنها نوع من الذئب، وذلك؛ لأن العسبار (أو السمع، أو الدروان)، ليس ضبباً مرقشاً، أو مخططاً، فهم لم يحددوا نوعه، وإنما قالوا به على التوهم، إنهم لا شك لاحظوا الضببية فيه، والتي اشتبهت عندهم بالذئبية.

يقول الكميت، يصف ذئباً:

يراني في اللّمام له صديقاً وشادئة العساير رَعْبَلِيْبُ^(٣)

(١) M. G. L. Milles, *The Kalahari Hyena*, (Cambridge Univ. Press, 1990) P. 9.

(٢) *Ibid*, p. 9 - 10, 71, 75, 79 268 - 269، ضبب مخطط.

(٣) ابن منظور، اللسان، "رعبل". يراني: يعني الذئب. شادنة العساير: أولادها. رعبل: ملاطفة، أو

الارتباط الجنسي بالكلاب

إذا كان الاتصال الجنسي بالضباع مستحيلاً، مهما كان نوع الضبع، فإن الارتباط الجنسي بالكلاب يمكن؛ لأنهما من فصيلة واحدة، وهي الفصيلة الكلبيّة. ولهذا سمّت العرب نتاج هذا الاتصال بأسماء مثل:

الديسم: وهو ولد الذئب من الكلبة^(١).

وفي هذا يقول بشار بن برد في ديسم العزي:

أَدَيْسَمُ يَا بَنَ الذُّئْبِ مِنْ نَسْلِ زَارِعٍ

وزارع: اسم الكلب، ويقال للكلاب: أولاد زارع^(٢).

العُسبور والعسبورة: وهما ولد الكلب من الذئبة^(٣).

الكلاب السلوقية: نسبة إلى سلوق: مدينة باليمن، بها الكلاب الضواري، وذلك؛ لأن الكلاب بها يسفدها الذئاب، فتأتي بالكلاب السلوقية. وقد نسبوها إلى الذئاب، فقالوا: هي أخبث الذئاب^(٤).

الخثيفعي: إذا وقع الذئب على الكلبة، جاءت بالسمع، وإذا وقع الكلب على الذئبة جاءت بالخثيفعي^(٥).

وقد مر بنا أن السمع، أو العسبار، هما نوع من أنواع الضباع.

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص ٣٥٢.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ١٨٣.

وفي الديسم، يقول العزي، الحيوان في تراثنا، ص ٤٦: "سفاذُ الذئب الكلبة حالة نادرة بسبب اختلاف طبيعتهما، وإن كانا من جنس واحد". وهذا كلام غير علمي؛ لأن الإثباتات هي على عكس ما يقول. (٣) ابن منظور، اللسان، "عسبر".

(٤) أبو عبدالله، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، آثار البلاد، (بيروت: دار صادر، ١٩٦٩م) ص ٤٥.

(٥) ابن منظور، اللسان، "خهف". وانظر، الزبيدي، التاج، "خوع".

وقال أحمد غسان سبانو:

"الديسم: لعله الذي يؤتى به من أوروبا ويسمونه Chien - Loup" (١).

وفي مقال للمستشرق أ. ف. ل. بيتسون A.F.L. Beetsen، أشار فيه إلى أن المستشرقين: يعقوب Jacob ونولدكه، يريان أن السمع من فصيلة الكلب الإفريقي المتوحش Hycaon، كما ذكر هو أن التزاوج بين النوعين: الذئب والضبع، ممكن، وهذه معلومة لا صحة لها، وقد أضاف قائلاً:

إن هذا التزاوج لا ينتج نوعاً جديداً.

وقال كذلك: إن هذا السمع يحمل بعض ملامح ابن آوى وبعض ملامح الضبع. أما ما رآه يعقوب ونولدكه، فغير صحيح؛ لأن الكلب الإفريقي كلب حقيقي مرقس، ذو أذنين طويلتين كبيرتين، يحفّ بهما الشَّعر، مما يوحي بأنه حاد السمع. ثم إن هذا الكلب من حيوانات المناطق العشبية في شرق إفريقيا، وهو لا يوجد الآن في الجزيرة العربية، ولم يعش ذات يوم فيها، ذلك أنه يعيش في شكل جماعات. ويلاحظ بيتسون أن هناك حيواناً يعيش الآن في اليمن له الصفات نفسها التي ذكرها العرب.

وقد نقل بيتسون عن عرب شمال وادي حضرموت، على حدود الربع الخالي، أن السمع: قطة.

ويوافق بيتسون على هذا الوصف؛ لأن القطة المتوحشة معروفة بشراستها غير العادية، ولكنه يتحفظ على وصف هذه القطة بمجدة السمع.

ثم هو ينقل عن د. ل. هاريسون D.L. Harrison، أن هذه القطة الرملية هي التي تدعى Felis Margatita.

(١) أحمد غسان سبانو، حيوانات وطيور بلاد الشام (دمشق: مطبعة خالد بن الوليد، ط١،

ويضيف يتسبون أن غالبية هذه الحيوانات، ذات أذان كبيرة، ولا يُستثنى من ذلك الثعالب، أو القطط المتوحشة^(١).

ولكن العزي يرى أن السمع، هو الكلب الذئبي الإفريقي، ويقول: "ولا يزال معروفاً باسمه هذا في السودان إلى اليوم"^(٢).
بل إن العزي يضيف قائلاً:

"الديسم فيما أرى هو الكلب الوحشي الآسيوي: Cuon Javanicas

وهو كلب أسمر اللون ذو ذيل أسود الطرف، أكبر من ابن آوى، يجتمع لصيد الظلغيات الكبيرة، والأيل صيدها المفضل. ينتشر الديسم في آسيا من سيبريا شمالاً حتى الهند جنوباً ومنها يمتد انتشاره حتى جزيرة جاوة وسومطرة شرقاً"^(٣).

أما فؤاد حسنين علي، فينقل رأي المستشرق الألماني جورج يعقوب Georg Jacob - عَجَباً - على النحو التالي:

"السمع: حسب تقرير الرحالة وعلماء الحيوان هو حيوان يشبه الكلب وفي حجم الحمار، إذا لم تصب الطلقة الأولى منه مقتلاً، تكوّنت عنده مناعة ضد الرصاص، وهو يهاجم الإنسان ويضربه بمخلبه الأمامي، فيبجر بطنه ويفترسه، ومن

(١) Beeston, A.F.L., The Heart of Shanfara, JSS, N.18 (1973), PP. 257 - 258 .

(٢) العزي، الحيوان في تراثنا، ص ٦٢.

(٣) المرجع نفسه، ص ص ٤٦ - ٤٧ .

الدُّول/ الكلب الوحشي Dhole/Genus Cuon/Cuon alpinus/ Cuonalptnus/ Wild Dog، يقطن مناطق جنوب شرق آسيا حتى الهند. إنه يعيش في مجموعة تطارد الصيد.

ويختلف عن الكلب العادي في أن له طواحن أقل عدداً. وللإناث عدد كبير من الحلمات، ولونه بني فاتح. ويصطاد نهاراً، ويهاجم الغزلان، والخنائير البرية، وربما هاجم حيوانات أكبر كالذئبة والنمور.

Majupuria Trilok Chandra, Wild is Beautiful (Bankok: Craftsman Press, st. 1981-1982) P. 350.

شدة خطره وقوة بأسه لا يستطيع الفرد السير ليلاً إلا في صحبة قافلة، ويطلق عليه علماء الحيوان اسم ليكاون بيكتوس *Lycaon Pictus*، وهو مشهور بقوة السمع حتى يضرب به المثل^(١).

وهذا الوصف هو الذي رفضه بيتسون، على أساس أن هذا النوع لا يعيش منفرداً، بل في جماعات. وهو رأي صائب، أجريت عليه دراسات معاصرة^(٢).

ولو قبلنا أن السمع ضبع، حسبما ذكرنا آنفاً، فهذا يعني أن السمع اسم مرادف للعسبار، أي: أنه هو العسبار. أما إذا جعلناه قطة صحراوية متوحشة، فهو يخرج عن جنس الضباع، وجنس الذئب، أو الكلاب، ويدخل في جنس القطط، أي: الأسود والنمور، والفهود... إلخ.

ونكاد تقترب الآن من وصف يكاد يكون علمياً للسمع، أو العسبار، وهو وصف يتفق مع ما جاء في اللسان عن "الخيهفي"، الذي يقول عنها: "دابة تخرج بين النمر والضبع، يكون باليمن، أغضف الأذنين، غائر العينين، مشرف الحاجبين، أعصل الأنياب، ضخم البرائن، يفترس الأباعر"^(٣). وعلى هذا، فإن رأي العزي في السمع والديسم بعيد الاحتمال.

أما عن الدقة في تحديد المسميات، أي: "سمع"، أو "خيهفي"، أو حتى الأخطاء العلمية، فهي التي بينا وجه صوابها، فمن هذه الأخطاء زعمهم أن الديسم ولد الثعلب من الكلبة^(٤).

(١) فواد حسنين علي، لامية العرب، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة (١٩٤٨م) ص ٤٨-٤٩.

(٢) انظر كتاب: Jonathan Scott, Painted Wolves (London: Hamish Hamilton Ltd., 1991).

(٣) ابن منظور، اللسان، "خهف". أعصل: معوج.

(٤) الزبيدي، التاج، "دسم".

مع العلم بأن الذئبة تلد في حدود خمسة جراء، ولعل بعضها مات؛ لأنه لا يُتصور أن تعتمد تلك الجراء الصغيرة على نفسها في هذه السن، فتفارق أمها، يقول:

أَنْعَتْ ذَنْبًا...

تَبْرِي لَه طَلْسَاءُ ذَاتُ جَرَوِينِ^(١)

الجوع

من المعروف أن الذئاب العربية تفوق في جوعها الذئاب الأخرى؛ لأنها لا تحصل على طعامها بيسر، بل تجاهد في سبيله، وصفة الجوع هذه تجدها في قول تأبط شراً:

إِنْ كُنْتَ لَمَّا تُمَوِّلِ

كَلَانَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئًا أَفَاتَهُ وَمَنْ يَحْتَرِثُ حَرْثِي وَحَرْثِكَ يَهْزَلِ^(٢)

وفي أبيات الشنفرى صفات وعبارات شديدة الدقة في تصوير تلك الحالة:

وَأَغْدُو عَلَى الْقَوْتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا أَزَلَّ تَهَاوَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ

غَدَا طَاوِيًا يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِيًا يَخْوَتُ بِأَذْنَابِ الشَّعَابِ وَيَعْسَلُ

ثم قوله:

فَأَغْضَى وَأَغْضَتْ وَابْتَسَتْ وَابْتَسَتْ بِهِ مَرَامِيلُ عَزَاها وَعَزَتْهُ مُرْمِلُ^(٣)

ويبين النابغة الجعدي حالة الجوع المصاحب للذئب في قوله:

يُمْسِي وَيُصْبِحُ مُقْفَرًا^(٤)

(١) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ١٩٧.

(٢) تأبط شراً، ديوان تأبط شراً، ص ١٨٤.

(٣) الشنفرى، شعر الشنفرى، ص ص ٧٤، ٧٧. ابتس: أنس. المراميل: جمع مرميل، وهو الذي فقد زاده.

(٤) الجعدي، شعر النابغة الجعدي، ص ص ٦٢ - ٦٣.

بل جاء في كتاب حيوانات وطيور بلاد الشام :

"السمع : حيوان ضار شبيه بالذئب الذي يسمى في أنحاء حلب : الشيب" (١) .

وفيما يتصل بمحدثنا عن هذا النوع ، ننظر في قول تَابُطُ شَرًّا :

تضحكُ الضبعُ لقتلى هُدَيْلٍ وتري الذئبَ لها يَسْتَهْلُ (٢)

فهم فسروا قوله : "تضحك" ، بأنه : تكشر عن أنيابها. وهذا معنى مجازي قد نقبله. أما في واقع الأمر ، فالضباع المخططة تصدر أصواتاً ، ضحكاتٍ ، أو بتعبير آخر The Striped Hyacna with its unearthly Laughing cry (٣) ، أي : التعشير (٤) .

وبهذا نفهم قوله : "تضحك" ، على أنه يعني أصواتاً كالضحك ، وهكذا يمكن أن نفهم قوله : "يستهل" ، على أنه نوع من الأصوات الشبيهة بتلك ، مما يُقَرَّبُ لنا الآن

كثيراً الصورة إلى نوع هذا الذئب : The laughing hyacna

وإذا كان التكشير : الضحك ، خاصاً بالضبع ، فإن هذا يفسر لنا أن هناك خلطاً بين الضباع والذئاب ، وتحدثوا عن النوعين على أنهما نوع واحد ، فتناقلوا الوصف فيما بينهم حتى أصبح الضبع ذئباً. يقول الفرزدق في نونيته الشهيرة عن الذئب :

فقلت له لما تكشُّ ضاحكاً

(١) سبانو، حيوانات وطيور بلاد الشام، ص ٣٣ .

(٢) تَابُطُ شَرًّا، ثابت بن جابر، ديوان تَابُطُ شَرًّا، تحقيق : علي ذو الفقار شاكر (بيروت : مطبعة المتوسط ،

ط ١ ، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص ٢٥. وانظر صورة الوَشَقِ والقط الصحراوي . محمد فكري أنور، عالم

الحيوان في المملكة العربية السعودية، مجلة الفيصل، ع ٩٨، (شعبان ١٤٠٥هـ/مايو ١٩٨٥م) ص ص

١٠٨-١١٠. يوسف خليفة غراب، لغة الطبيعة في الجزيرة العربية، مجلة المنهل، ع ٥٠٩ (جمادى

الأولى، ١٤١٤هـ/أكتوبر، ١٩٩٣م) ص ١٥٦ .

(٣) Milles, the Kalahari Hyacnae, p. 154.

(٤) ابن منظور، اللسان، "عشر".

فالتكشير (المعبر عنه بالضحك) خاص بالضيع، وهاهو عند الفرزدق يوصف به الذئب. ومهما كان الخلاف هنا حول المعنى المجازي، فإن تخصيص التكشير بالضيع، (المعبر عنه بالضحك) يطرح احتمالاً قوياً أن ذئب الفرزدق ذاك، وإنما هو الضيع، ولاسيما أن الذئب لا يقترب من النار، بل يتحاشاها وينفر منها، كما سنرى، والفرزدق في نونيته يذكر النار:

دَعَوْتُ بِنَارِي مَوْهِنًا فَأَتَانِي

وكيف يقول:

فَبِتُّ أَسْوَى الزَّادِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَلَى ضَوْءِ نَارٍ تَارَةً وَدُخَانًا؟^(١)

إن قول تأبط شرّاً السابق:

وترى الذئب لها يستهل

ف"يستهل": من التهلل، والاستهلل في الفرح والضحك.

فلاستهلل على هذا ليس عواء، وإنما هو نوع من الأصوات التي تُعبر أيضاً عن الفرح، أي هو نوع من الضحك. ومن ثم يكون الذئب في قول تأبط شرّاً، ليس ذئباً، وإنما هو الضيع، ويفسر هذا الفهم أن الذئب قلما تجتمع بالذئاب على الفرائس، وإنما تجتمع بالضباع، إذ تعدم الضباع إلى التكشير بأنيابها، وإثارة شعرها، وتفترز روائح نتنة تبعد الذئاب عن مزاحمتها،^(٢) فكان الإشارة هنا إلى ضبع أنثى، وضبع ذكر، عدّه العرب ذئباً، وأنهما يجتمعان، فولدوا القصص حولهما، من توالد وتزواج.

(١) همام بن غالب الفرزدق، ديوان الفرزدق، شرح: كرم البستاني (بيروت: دار بيروت، دت) ج ٢،

أما من الناحية العلمية، فإن الخلط ممكن بين صغار الذئاب وبنات آوى، إلا أنه يمكن، على قدر، وباجتهاد كبير، تمييز النوعين من بعضهما أحياناً، بلون الشعر، فشعر الذئب غالباً أطلس grey، أما ابن آوى، فشعره بني اللون مع اختلاط باللون الأسود على ظهره، ويغلب اللون الأبيض على أسفل رقبته وقدميه. وبنات آوى تعيش، كما الذئاب، في مجموعة، إلا أنها في حدود المناطق السكنية، وهي تبحث عن أي طعام، كما تأكل الخضروات، وفي بعض المناطق الأوروبية تأكل أنواع البطيخ. وابن آوى يختفي في الصخور والشقوق. ومن المحتمل أن أعداد بنات آوى في الجزيرة العربية قليل^(١). وباستطاعة ابن آوى قتل الغزال. وأغلب مناطق وجوده حوالي الأحساء. وتشبه أصوات ابن آوى نباح الكلاب، وفي إفريقيا تحدّد بنات آوى مناطقها بالتبول، وليس معروفاً طريقة تحديد بنات آوى مناطقها في الجزيرة العربية^(٢).

غير أن المشكلة هنا من التشابه في التعريف، ففي اللسان: "الوَعَوَع، والوَعَواع: ابن آوى"^(٣).

إلا أن ياقوتاً يقول: "وعوع: هو ابن آوى الضخم"^(٤).

فإذن، لدينا نوعان من الوعواع، أحدهما: صغير الحجم، كالكلب، وهو المشهور بين الناس الآن، بهذا الاسم، وباسم آخر، هو الواوي. والآخر ضخم، وهذا هو الذي يتحدث عنه العلم بشكل عام، بحيث تختلط صورته بصورة الذئب الصغير.

(١) Gross, Mammals of Southern Gulf, p.41

(٢) Jonathan Kingdon, Arabian Mammals (Bahrain: Ministry of Information, 1995) p76.

(٣) ابن منظور، اللسان، "وعع".

(٤) ياقوت، معجم البلدان، "وادي السباع".

وأما العرب، فتحدّثوا عن ابن آوى، "الوعوع" الواوي، المشابه للكلب، وهو ما يعرفه الناس الآن عنه، يقول الجاحظ: إن ابن آوى لا ينزل القفار، وإنما يكون حيث يكون الرئيف"^(١).

كما ذكر الجاحظ أن صياح ابن آوى يشبه صياح الصبيان"^(٢).
وجاء في اللسان: "الواوا: صياح ابن آوى"^(٣).

وعلى العموم، فقد جاء في مسالك الأمصار، لابن فضل الله العمري:

"ابن آوى: هو حيوان يفسد الكروم، والثمار، يأكل بعضها، ويفسد بعضها، يقال له بالفارسية: شغال؛ إذا وقع نظر الدجاج عليه، يأتيه، ولو على سطح عال، ويرمي نفسه بين يديه حتى يأكله... ومن العجب أن الدجاج إذا كان على الشجر، ولو مرّ بها كل كلب وثعلب، وسنور، لا تتحرك ألبتة، فإذا مر بها ابن آوى، ألقت بنفسها إليه، حتى لو كان الدجاج مائة، لأثين إليه. وإذا أراد ابن آوى صيد طير الماء، جمع حزمة من الخشيش، ويرميها في الماء، ويتركها حتى يستأنس الطير، ويقع عليها، فإذا استأنس الطير بها، جعل يمشي خلفها، ويصطاد ما يقدر عليه"^(٤).

إن ما يميز "ابن آوى" عن سواه هو "العواء"، أو النباح، كالكلب، وهو في حجم الكلب، مهما تعددت تسمياته، أو اختلف فيه، إذ إن الصورة العلمية غير مستقرة عنه، فهو مثلاً في القبطية:

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٦، ص ٢٥٩.

(٢) المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٨.

(٣) ابن منظور، اللسان، "أوا". ولم تقم دراسات حتى الآن حول بعض الأنواع الكلبية، ففي نجد والمنطقة الشرقية من مناطق المملكة العربية السعودية هناك نوع من الكلاب تسمى: الجعري، كبيرة الحجم نسبياً، وتختلف عن الكلاب العادية تقاتل الذئب. وإن كان (الجعري) له مدلول آخر في جنوب المملكة يطلق على الضبع.

(٤) العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ص ١٣.

أوتش، أي: C.Mosomelas: blacked-backed, Jackal C.Variagatus / Jackal وهو في لبنان (جقل): وهو عندهم خلاف الواوي، ويعدو على الغنم. وفي مصر هو ابن آوى مصري، ذئب مصري: Eygption Jackal/ Canis Lupaster وهو "الوعوع": North African Jackal/ Anthus، وهو أيضاً: ابن آوى مجدد، أو ذئب مجدد: Side-striped Jackal Canis Lateralis. أما في السودان، فهو: بعشوم. وهو في العراق: الواوي^(١) ويلاحظ الصلة اللفظية بين ابن آوى والواوي.

ولم تقتصر هذه الأنواع على ما مر ذكره، بل إن النويري يضيف: "زعموا أنه يتولد بينه {أي: بين النمر} وبين اللبؤة سبع يسمى: الذراع؛ على قدر الذئب العظيم، كثير الجراءة، لا يأوي معه شيء من السباع والوحوش"^(٢). وقال ناهض بن ثومة:

رؤوسٌ أوصالٌ يُزابل بعضها سباع تددت من أبانين والهضب^(٣)

ولا شك أن المقصود هنا بـ"السباع": نوع من الذئاب، وقد جاء في قصة قرآن بن يسار بن الحارث بن جحوان بن ققعس:

"خرج قرآن حتى سند في أبان الأبيض، وهو جبل بين بني أسد وقيس، وهو كثير الأروى، وضروب الوحش، والماء، فجعل يتبع الوحش، فيرميها، ويقتلها، ويأكل من لحومها، ويشرب من ذلك الماء؛ فبينما هو كذلك، ذات يوم، إذا هو

(١) أمين المعلوف، معجم الحيوان، (بيروت: دار الراتب العربي، ط٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ٤٧-٤٨. كما يسمى في الخليج: العُو، إلى جانب: الواوي. ويلاحظ الصلة اللفظية بين: الوعوع: العُو.

John. G. McLoughlin, C., The Canine Clan, (New York: The Viking Press, 1983) PP. 74 - 75.

(٢) شهاب الدين، أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب (القاهرة: مطابع كوستاتسوماس وشركائه، دت) ج٩، ص ٢٤٤.

(٣) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني (بيروت: دار الثقافة، ط٤، ١٣٩٨هـ/١٩٧٦م) ج١٣، ص ١٨٧. يزابل: يفرق. أبانان: جبلان بالقصيم.

(النمر)، قد طلع عليه، فتمرض له كأنه يريد، فانتزع نبله، فأراه إياه، فبسط النمر أظفاره، فأراه إياه، فاستل قران سيفه، فكشّر (النمر) عن أنيابه، ثم أغمد قران سيفه، فخرج (النمر) مولياً، ومضى قران، فأتبعه (النمر)، فلما نظر إليه قران، رجع (النمر)، فمضى قران، فرجع (النمر) في أثره، فالتفت إليه قران، فولى (النمر)، فعرف قران أنه يدعوه، وقران يومئذ جائع، قد أخفق من الصيد قبل ذلك، فأتبعه قران والنمر يمشي قدامه، فوجد أروية قد دقّ (النمر) عنتها، فذبحها قران و(النمر) ينظر حوزة منه، ثم اقتدح قران ناراً، فاشتوى، وقطعها، وجعل يلوح على النار منها، ويرمي به إلى النمر، قدّ بقيتها، فكانا كذلك، إذا اصطاد قران شيئاً، أطمع (النمر)، وإذا قتل (النمر) شيئاً، أرشد إليه قران، وكان لهما رُدّة يردانها، فإن ورد (النمر)، تأخر قران، حتى يبلغ من الماء، ويتمرغ فيه، ثم يخرج، فيصدر، ويرد قران، وإن ورد قران قبله، تأخر (النمر) عنه حتى يشرب قران ويفتسل، فقال قران في ذلك، وكان لقران أخ بالشأم، يقال له الجون بن يسار، وهو يصف النمر:

خليلاي لا تجري الحرابة بيننا شريعتنا لأينا جاء أول
توكلت الأروى لنا بطعامنا كلانا له منه سواء مرعبل
ولي صاحب في الغار هدك صاحباً أخي الجون إلا أنه لا يُعَلل
كلانا عدو لو يرى في عدوه مهزاً وكل في العداوة مجول
إذا ما التقينا كان أعلا كلامنا صمات وطرف كالمعابل أطحل^(١)

فهذه صفة الذئب، وليست صفة النمر، فليس في القصيم، حيث "أبان" غمور، وإنما هناك تكثر الذئاب، وهذا "السبع" يقترب من الإنسان ذلك الاقتراب غير المعهود

(١) أبو جعفر، محمد بن حبيب، المحبر (تحقيق: إيلزه ليختن شتير (بيروت: المكتب التجاري، د. ت) ص ص ٢١٥-٢١٧.

في النمر. ثم إن هذه القصة تتفق مع كثير من القصص من أمثالها، في مصاحبة الذئب، وإطعامه، بل التعايش معه. والنمر يقفز، فيهاجم، ولا يكشر منتظراً، والتكشير للذئب، في مثل هذه الحالة. ومع هذا، فالذي يقترب من الإنسان "أبن أوى" أو نوع من أنواعه، ولا يقترب الذئب من النار. ومن الملاحظ أن هناك تداخلاً في الخبر، إذ نجد الموقف نفسه مع القتال، في جبل "عماية"^(١)، بعيداً عن القصيم، وحتى الموقف مع القتال لا يكون إلا مع الذئب لا النمر.

ومفهوم السباع القاصر على الذئب لا يمكن تبيّنه إلا بالقرينة والاستدلال، إلا أن المعنى - بشكل عام - ينطبق على الذئب في كثير من الحالات، فمثلاً حين يقول أحد بني ضبّة:

فهلّا بني شر السباع ثأرتم سدوساً وقد أجزت سدوس

ينصرف الذهن - في ضوء هذه الدراسة، وفي ضوء الدراسات السابقة - إلى أن المقصود بـ"السبع" هو الذئب، ولاسيما وقد اقترن هنا بالشرّ، وهي الحالة التي يوصف بها الذئب في الغالب. فإذا ما احتجنا إلى دليل، وجدنا المعنى: "شرّ السباع: عنزة؛ وهي دويبة صغيرة"^(٢).

و"دويبة": تصغير دأبة، وقد مرّ بنا تعريف اللسان: "العنزة: ضرب من السباع.... وهو جنس من الذئب".

(١) الحموي، معجم البلدان، "عمان".

(٢) أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، المعاني الكبير، (حيدرآباد - الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف

العثمانية، ط ١، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م) ج ١، ص ٥٧٩.

(٣) المصدر نفسه.

الصفات الجسمية للذئب العربي

اللون العام

الأطلس :

يكاد يكون هناك إجماع عام على أن لون الذئب هو اللون الرمادي. ويؤيد الشعر العربي هذا الإجماع تقريباً، فالمرقس، والبيحري، وصفان الذئب بأنه: أطلس؛ والطلسة: هي اللون الأغبر، أو المائل إلى الغبرة؛ وربما اشتدت غبرته حتى يخفى في الغبار^(١)، أو قالوا: أطلس اللون؛ وسخ اللون؛ والطلسة: لون الخرقعة الوسخة^(٢).

الأطحل:

يصف الشنفرى وحמיד بن ثور الهلالي والأخطل الذئب بأنه، أطحل^(٣)؛ وهو الذي بين الغبرة والبياض بسواد قليل كلون الرماد، أي: إن لونه كلون الطحال؛ فهو أكدر اللون.

الأغبس :

الغبسة: لون بين الطلسة والغبرة^(٤).

(١) أبو العباس، محمد بن يزيد المبرد، الكامل، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مطبعة نهضة مصر، ١٩٨١م) ج ١، ص ٢١٦.

(٢) أبو محمد، القاسم بن محمد بن بشار الأنباري، شرح ديوان المفضليات، تحقيق: كارلوس يعقوب لابل (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٢٠م) ص ٤٦٦.

(٣) ثابت بن أوس الشنفرى، شعر الشنفرى، تحقيق: علي ناصر غالب (الرياض: مطابع الفرزدق، ط ١، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م) ص ٧٤؛ حميد بن ثور الهلالي، ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق: عبدالعزيز الميمني (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ/١٩٥١م) ص ١٠٣؛ شعر الأخطل، ج ١، ص ٣٨٢.

(٤) الزبيدي، التاج، "غبس".

الأدغم :

هو الذي يكون رأسه أشد سواداً من سائر جسمه^(١).
ويبدو أن هذه الألوان متقاربة، ولعلها تكون مترادفة، حتى إن الكُلسة، وهي
من صفاته، كالطلسة^(٢).

ولكن جاء في ألوانه أيضاً :

الأشهب:

يصف كعب بن زهير لون الذئب بأنه كلون دخان الرمث، أي كالخبرة، وهي
سواد بياض، يقول:

كَأَنَّ دُخَانَ الرَّمْثِ خَالَطَ لَوْنَهُ يُغْلُ بِهِ مِنْ بَاطِنٍ وَيُجَلِّلُ^(٣)

ولقد سموه: أبا مَذَقَة ؛ لأن لونه يشبه لون المذقة ؛ وقالوا:

جاؤوا بِفَيْحِ هَلْ رَأَيْتَ الذَّئْبَ قَطُّ؟^(٤)

اللون الخاص

أما فيما يتعلق باللون الخاص، وهو لون بعض أجزاء جسم الذئب، فمنه:

لون الرقبة:

هناك معلومة جديدة أضافها عمرو بن معد يكرب حين شبه البياض الذي في

(١) أبو العلاء المعري، الفصول والغايات، تحقيق: محمد حسن زنتاتي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة
للكتاب، ١٩٧٧م) ص ٤١٢.

(٢) الزبيدي، التاج، "كلس".

(٣) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ٤٩. يغل: يُدخَل. يجلل: يُعلَى وَيُظَهَرُ عَلَى مَتْنِهِ. شبهه بدخان
الرمث ؛ لأنه أبيض تعلوه غيرة، فتكون إلى الزرقة.

(٤) ابن منظور، اللسان، "مذق". المذقة: اللبن المزوج بالماء. الفيح: اللبن المخلوط.

نحر الذئب تحت غبشة سائر لونه بثوب تحت الدرع، إشارة إلى أن الذئب العربي يتميز بشيء من البياض في جزء من صدره، يقول:

يُو السَّرْحَانُ مفترشاً يديه كأنَّ بياض لُبَّتِه صديع^(١)
الخاصرة :

ذكر الراعي النميري صفة البياض في خاصرة الذئب، حيث جعل بها وضحاً، فقال:

مُتَوَضِّحُ الأَقْرَابِ فِيهِ شُهْبَةٌ^(٢)
الذراعان:

وقد أوضح الفرزدق أن ذلك اللون الأبيض يمتد حتى يخالط ذراعي الذئب، فيتغير لونهما عن سائر جسده، ولذلك وصفهما بالوشي، يقول:

مَوْشِيُّ الذَّرَاعَيْنِ^(٣)
الكاهل:

يصف ابن مقبل كاهل الذئب بأنه أحمر مما عليه من الدم، وهذا لا يعني أن كاهله "زيرته" أحمر، وإنما هي كناية عن الفتك الشديد، فليس في أوصاف الذئب

(١) عمرو بن معد يكرب، ديوان عمرو بن معد يكرب، تحقيق: مطاع الطرايشي (دمشق: مطبعة مجمع اللغة العربية، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ص ١٣٣.

اللبة: موضع القلادة من العنق. افترش: ريض على ذراعيه ومنهما.

(٢) الراعي النميري، شعر الراعي النميري، تحقيق: نوري حمودي القيسي وهلال ناجي (بغداد: المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م) ص ٦٣-٦٤.

متوضح: الواضح: البياض.

(٣) هبة الله بن علي بن حمزة بن الشجري، الحماسة الشجرية، تحقيق: عبدالمعين الملوح وأسماء الحمصي (دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٧٠م) ج ٢، ص ٧٢٠.

العربي أن كاهله أحمر. وإن كَانَ هناك الذئب الأحمر في نيوزيلنדה مثلاً.
يقول ابن مقبل:

كَأَمَّا بَيْنَ عَيْنِهِ وَزُبُرَتِهِ مِنْ صَبْغِهِ فِي دِمَاءِ الْقَوْمِ مَنْدِيلٌ^(١)
العيون:

يتفق التراث العربي مع التراث العالمي في وصف عين الذئب بأنها: كحلاء.
وهكذا أشار الراجز إليها بقوله:

كحلاء العيون^(٢).

الأذنان:

أذنا الذئب كأذني الكلب، مسترختين في حالة الهدوء، ولكن أذني الذئب
تنتصبان إلى أعلى في حالة التحفّز. وقد بيّن هذا أحد الراجز، فقال في صفة ذئبه:
مألولة الأذنين^(٣)

فإذا نظرنا بعد ذلك في بقية أجزاء الذئب، فسنجد أن هناك اتفاقاً عاماً على
التخصيص دون التعميم. وذلك على النحو التالي:
الفك والأنياب:

وصف ابن مقبل شذقي الذئب بأنهما مهترتان، أي واسعان، فقال:
حَتَّى احْتَوَى يَكْرَهَا بِالْجَوْ مُطْرِدٌ سَمِعَمَّ أَهْرَتِ الشَّدَقِينَ زُهْلُولُ

(١) تميم بن أبي بن مقبل، ديوان ابن مقبل، تحقيق: عزة حسن (دمشق: مديرية إحياء التراث، ١٣٨١هـ/١٩٦٢م) ص ٣٨٦. زيرته: أعلى كفيه، أي شعره، من صبغه: أي بالأكل أو الكرع في الدماء.

(٢) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ١٩٧.

(٣) المصدر السابق. مألولة: الأذن المؤللة، المهددة، المنصوبة، الملطفة.

كما وصفه الراجز بأنه منهرت أيضاً، ووصف الناوين بأنهما حديدان:
مُنْهَرَتِ الشَّدَقِ حَلِيدِ النَّائِينَ^(١)

وقال راجز آخر، مشبهاً أنيابه بأنها كالشفرة، وأن النار تقدح منهما:
فِي فَعْمِ شَفْرَتُهُ وَنَارِهِ^(٢)

ويشير ابن علقمة الفزاري إلى اعوجاج ناب الذئب وشدة خطورته، فكان السم فيه مثل ناب الحية، فيقول:

بِأَعْصَلٍ فِي أَنْيَابِهِ السَّمُ نَاقِعٌ^(٣)

ويستخدم البحري الصفة نفسها حين يصف أنيابه بأنها عصل، أي معوجة، وأن الصوت كامن فيها، فيقول:

يُقَضِّضُ عَصَلًا فِي أَسْرَتِهَا الرَّدَى كَقَضِّضَةِ الْمَقْرُورِ أَرْعَدُهُ الْبَرْدُ

وقد قالوا: "إن جوف الذئب يذيب العظم، وكذلك جوف الكلب، ولا يذيان نوى التمر، وهو أضعف من العظم"^(٤).

ذلك أن :

"رُدُّهُ لِسَانَهُ أَشَدَّ مَرًّا فِي اللَّحْمِ وَالْعَصَبِ مِنْ لِسَانِ الْبَقْرِ فِي الْخَلَى. فَأَمَّا عَضَّتَهُ وَمَصَّتَهُ، فَلَيْسَ يَقَعُ عَلَى شَيْءٍ عَظْمًا كَانَ أَوْ غَيْرِهِ إِلَّا كَانَ لَهُ بِالْغَا بِلَا مَعَانَةٍ مِنْ شِدَّةِ

(١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩٧. الزهلول: الخفيف.

(٢) أبو العلاء المعري، رسالة الصاهل والشاحج، تحقيق: عائشة عبدالرحمن (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥م) ص ٦٤٣.

(٣) الأصبهاني، الدرر الفاخرة، ج ١، ص ١١٨.

(٤) علي بن الحسين، الشريف المرتضى، الأمالي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ج ٢، ص ٢١٣. الأعصل: الناب المِعْوَج.

فكيه... ومن قلة ثبات العظم له، لا يكون له صوت" (١).

الْحَطْمُ (أنف الذئب):

وُصِفَ حَظْمُ الذَّئْبِ بِأَنَّهُ رَأْسٌ مَدْبِيٌّ، وَأَنَّ مَنخَرَهُ أَسْوَدٌ، وَهُوَ مَرْتُوْمٌ الْحَظْمِ،
وَالرَّمْثَةُ: بِيَاضٌ فِي طَرَفِ الْأَنْفِ (٢).

قال الراجز:

وَمَنخَرُهُ مَا خُلِقَا مُسَوِّدَيْنِ لِكُلِّ رِيحٍ نَفَخَتْ مُعَدِّينِ (٣)

ويؤكد الطرماح صفة السواد في أعلى رأس أنف الذئب، أي: منخره، كما هو في جميع الذئاب العربية وغير العربية، فيشبهه بظهور الخنظب، لشدة سواده، فيقول:

عَمَلَسُ غَارَاتِ كَأَنَّ مَسَافَهُ قَرَى حُنْظَبِي أُخْلَى لَهُ الْجَوْ مُقْمِحِ (٤)

وقد لاحظوا أن الذئب إذا جاع، سال أنفه، يقول كعب بن زهير:

أُوَيْسُ إِذَا مَا أَنْفُهُ رَكَمَا (٥)

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٦، ص ص ٤٣٦ - ٤٣٧. الخلى: الرطب في النبات.

(٢) أبو عمرو، عثمان بن بحر الجاحظ، البرصان والعرجان، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٣م) ص ٣٠٨.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) ابن حكيم، ديوان الطرماح، ص ص ١٠١. ابن قتيبة، المعاني الكبيرة، ج ١، ص ١٩٧.

العملس: الذئب الخفيف الجري الخيث.

مسافه: خرطومه الذي يسوف فيه، أي: يشم.

القرأ: الظهر. الخنظب: الجمل.

المقمح: الذي يرفع رأسه، ويغض بصره.

(٥) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ٢٢٤. رذم: سال.

وتجمع الدراسات كذلك على أن للذئب خَطْماً، خرطوماً ممدوداً مديباً^(١)، يقول ابن مقبل، إن له خرطوماً فيه طول:

وَفِي الْخُرْطُومِ تَسْهِيلٌ^(٢)

الذيل:

يختلف ذيل الذئب عن ذيل الكلب في أنه غير ملتو أو منحني . وهذا ما وصفه به البحري حين شبهه بجبل السقاء لطوله، فقال:

لَهُ ذَنْبٌ مِثْلُ الرِّشَاءِ يُجْرُهُ^(٣)

وهم عندما قالوا:

ذئب أعقـد^(٤).

لا يعنون - بالتأكيد - أن في ذنبه التواء كالعقدة فيه، كما في الشاة، وإنما لاحظوا أن هذه الحركة حركة من ذئب في حالة مواجهة، فهو لا يفعل ذلك إلا في مثل هذه الحالة، وإلا فذنبه دوماً ممدود. وهكذا عندما ترفع الذئاب أذنانها، فيُطلق عليها: "العواسر"، لأنها تفعل ذلك من نشاطها.

ويقال للذئب: الشَيْدَمَانُ / الشَيْمَذَانُ^(٥). لشموذه بذنبه، أي: رفعه.

أما قولهم: "ذئب السرحان"^(٦)، للفجر لاختلاط البياض بالسواد فيه،

(١) انظر، خالد بكر كمال، الحياة الفطرية في المملكة العربية السعودية (المدينة المنورة، دار الزمان، ط٢، ١٤١٨هـ / ١٩٩١م) ص ٩٠.

(٢) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٣٨٦.

(٣) أبو عبادة، الوليد بن عبيد البحري، ديوان البحري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي (القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٧٣م) الرشاء: الحبل.

(٤) ابن منظور، اللسان، "عقد".

(٥) النويري، نهاية الأرب، ج٩، ص ٢٧٠.

ومشابهته لذئب السرحان، فهو قول غير دقيق؛ لأن ذئب الذئب ليس كذلك، وإنما هو مزيج الأبيض والأسود، أي: أطلس، أو أشهب، أو أغبر، أو نحو هذا؛ وينطبق القول السابق على الغبش، الذي لا يتبين فيه البياض أو السواد.
الضلوع^(٢):

ركّز الشعر العربي على تلك القوة في أضلاع الذئب؛ كما قال الأعرابي مشبهاً ضلوعه بالضال، ولكن في عرض ليس في طول، كما في ذلك المعتقد:
يَنْصُلُّنَ مُنْحَـلِرَاتِ^(٣)

الساقان:

وُصف الذئب في الشعر العربي بأنه: "عاري الأشاجع"، أي: أن عروق ساقيه بارزة، ونسبوا ذلك إلى شدة هزاله، وذكروا أن الحصان العربي أيضاً يشترك كثيراً في هذه الصفة؛ وهذا ليس دليل هزال فيه، وإنما قوة وصلابة. ولذلك، فالمرجح أن هذه الصفة التي فهمها الشراح في الذئب على أنها علامة ضعف، هي في الواقع علامة قوة. وقد جمع كعب بن زهير بين طبيعتين للذئب، هما: الإلحاح في الكسب المستمر، وعدم الاحتفاظ بالأكل، أي: الجوع، وأضاف إليهما تلك الصفة: "عاري الأشاجع"، لوصف بروز عروق يديه، فقال:
أخشى عليها كسواً غير مُدْخِرٍ عاري الأشاجع لا يُشوي إذا ضغماً^(٤)

(١) ابن منظور، اللسان، "ذئب".

(٢) انظر عن مقاسات أعضاء الذئب العربي: D.L. Harinson, The Mammals of Arabia (London: Ernest Benn Ltd., 1968) N.2. p. 202-203, 205.

(٣) الحموي، معجم البلدان، "دابة واسط".

(٤) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ٢٢٤. غير مدخر: يريد أن قوته مقدار ما يأكل، ثم يدع الباقي. الأشاجع: العروق المتصلة بالأعصاب بالأصابع وأصلها. لا يشوي: لا يظن، بل يصيب للقتل. الضغم: الغضب.

ويوضح كعب في قصيدة ثانية الصفة اللازمة الأخرى للذئب أي: بروز عرق ساقه كالوئتر، في الحالتين، شتاءً إذا ما توافر لديه الغذاء، وصيفاً إذا شح الغذاء عليه، فيقول:

تراه سميناً ما شتا وكأنه حَمِيٌّ إذا ما صاف أو هو أهزل
كأنَّ نَسَاهُ شِرْعَةً^(١)

والملاحظة التي أبداها الراعي على الذئب أنه عندما يعدو، فيقارب خطوه، يبدو كأن يديه قُيدتا بقيد: "تمخاله مشكولاً"^(٢). وقد علل الطرماح ما يظهر من انحناء في يديه على أنه يعود إلى إقعائه أي: جلوسه مفترشاً رجليه، وناصباً يديه، وهو يشير إلى طريقة مشيه:

مَنْ الزَّلُّ هِزْلاجٌ كَانَ بَرَجْلُهُ شِكَالاً مِنَ الإِقعَاءِ وَهُوَ مَلُوعٌ^(٣)

وفي بيت ابن مقبل تشبيه دقيق لمشية الذئب بالقناة يقول:

كالرَّمْحِ أَرْقَلَ فِي الكَفَيْنِ وَأَطْرَدَتْ مِنْهُ القَنَاةُ وَفِيهَا لَهْدَمٌ غَوْلٌ^(٤)

كما أشار الشاعر (المجهول) الذي لقي الذئب في الطريق، فحمله معه، إلى قوة أظافره، لتمسكه بنسج ناقته، فقال:

وَقَدْ عَلِقَتْ فِي النَّسْعَتَيْنِ أَظْفَارُهُ^(٥)

(١) المصدر نفسه، ص ص ٤٩-٥٠. حمي: مُحْتَم.

(٢) النميري، شعر الراعي النميري، ص ٦٤. مشكول: مقيّد.

(٣) ابن حكيم، ديوان الطرماح، ص ١٨٩. الزل: جمع أزل، وهو الخفيف. الهزلاج: السريع الخفيف. الشكال: الحبل الذي تشده قوائم الدابة. الملعوع: الخفيف السريع.

(٤) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٣٨٦.

أرقل: اضطرب. اللهمذ: السنان الحاد. اطراد القناة: تتابع كموبها حتى تحرك من لينها واستقامتها. غول: الذي يفتال كل ما ظفر به.

(٥) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ٢٠٦. النسعتان: مثنى نسعة، وهي سير مضفور يُجعل زماماً للبعير.

طبيعة الذئب وحالاته الخاصة

طبيعة الذئب

الوحدة والاجتماع

على الرغم من أن الدراسات الميدانية عن الذئب العربي ما زالت قاصرة، إن لم تكن مفقودة كلية، فقد تأتي عرضاً مثل دراسة: Gross, Mammals of the Southern Gulf أو Harrison, Mammals of the Arabian Gulf، فالمعروف أن الذئاب العربية لا تسير جماعات كبيرة، بل أغلبها - وهي من عائلة واحدة، كما هي عادة الذئاب عامة - لا يتجاوز الثلاثة، وقلما يصل إلى أربعة ذئاب.

وقد لوحظ أن الذئب العربي كثيراً ما يكون منفرداً بنفسه عن الآخرين، ولعل ذلك يرجع إلى البيئة الصحراوية الجافة المقفرة التي يعيش فيها، والتي تجبر جماعات الذئاب على التفرق والاعتماد على الذات للحصول على الطعام. وهذا واضح من القصائد التي تكررت في اللقاء بالذئب، كما هو الحال في قول المرقس:

ولما أضأنا النار عند نزولنا عرانا عليها أطلس اللون بائس^(١)

وقول امرئ القيس:

لَقَيْتُ عَلَيْهِ الذُّئْبَ يَعْوِي كَأَنَّهُ خَلِيْعٌ خِلا مِنْ كُلِّ مَالٍ وَمِنْ أَهْلِ^(٢)

(١) الأنباري، شرح ديوان المفضلين، ص ٤٦٦.

(٢) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص ٣٦٣.

وكذلك في قصيدة الأعشى العينية^(١)، وفي قصيدة النابغة الجعدي، هنالك ذئب واحد افترس عجل المهابة^(٢)، ولم يشاركه فيه غيره، على عكس ما فعلت الذئاب التي أكلت عجل بقرة ليبد^(٣).

وفي أبيات غيلان بن سلمة إشارة إلى ذئب واحد منقطع في الخلاء الموحش. وكذلك في أبيات الأعرابي الذي قتل الذئب، وفي أبيات الرجل الذي لقي ذئبا في الطريق، وفي أبيات عبيدالله بن ربيع، وفي أبيات عمرو بن الصعق بن خويلد، وفي أبيات الفزاري جويرية، وفي أبيات حميد بن ثور الهلالي، وفي أبيات كعب بن زهير اللامية، وفي أبيات ابن مقبل، وابن أحمر، والطرماح، وكثير، والفرزدق، والكيمة، والبحتري... إلخ^(٤).

وعلى هذا، يمكن أن نفترض أن عدد الذئاب في قصيدة ليبد لا يتجاوز الثلاثة، يقول ليبد في أبياته :

لِمُعَفَّرٍ قَهْدٍ تَنَارَعِ شِلْوَةٌ غُبْسٌ كَوَاسِبٌ لَا يُمْنُ طَعَامَهَا
صَادَفَنَ مِنْهُ غَرَّةٌ ...^(٥)

(١) ميمون بن قيس الأعشى، ديوان الأعشى، تحقيق: محمد محمد حسين، (القاهرة: المطبعة النموذجية، ١٩٥٠م) ص ١٥٥.

(٢) النابغة الجعدي، شعر النابغة الجعدي، جمع وشرح: عبدالعزيز رباح (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٥٩م) ص ص ٦٢ - ٦٣.

(٣) ليبد بن ربيعة، شرح ديوان ليبد بن ربيعة، تحقيق: إحسان عباس (الكويت: مطبعة الحكومة، ١٩٦٢م) ص ٣٠٨.

(٤) انظر عن كل هؤلاء المذكورين هنا: فضل بن عمار العماري، الذئب في الشعر العربي القديم (الرياض: مركز البحوث، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ع ٦٥، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م).

(٥) ابن ربيعة، شرح ديوان ليبد، ص ٣٠٨. المعفر: ابنها الذي سُحِبَ في التراب. القهد: الأبيض الصغير. الغبس: الذئاب المغيرة اللون. الكواسب: التي تتعيش من الصيد. لا يمن طعامها: تعتمد على نفسها.

ولكنَ امرأَ القيس قال: إن ذئاباً كثيرة كانت بالقرب من ذلك الذئب، ذاك الذي لقيه، حيث ذكر:

فقلت عليك الحَوْضَ إِنِّي تَرَكْتُهُ وفي صفوه فَضْلُ الْقَلُوصِ مِنَ السَّجْلِ
فطَرَّبُ يَسْتَمَوِي ذئاباً كثيرة وعديت كل من هواه على شغل^(١)

الأمر الذي يعني أن الذئاب كانت مجتمعة في موقع ما، وأنها أيضاً ذات قرابة، كما هو الحال في تجمعات الذئاب المعروفة؛ ولكن من ناحية أخرى، لعل ذلك حالة استثنائية، إذ إن "كثيرة": تعني أكثر من العدد المفترض لتجمعات الذئاب العربية، أي: في حدود ثلاثة إلى أربعة، وذلك إلا أن يكون قد قصد أن فرحته بالماء جعلته يعوي، ويعوئه ذلك تتقاطر عليه الذئاب المتفرقات في تجمعاتها المحدودة، أو لبيان أن الماء الذي تركه امرؤ القيس كان كثيراً، كناية عن عِظَم دلوه الذي استخرج به الماء، فشربت منه ناقته، وبقي فيها ما يكفي ذئاباً كثيرة في الحوض الذي صنعه.

ويذكر أبو كبير الهذلي أن مجموعة من الذئاب وردت الماء، من غير تحديد لعددها، فيقول:

ولقد وردت الماء لم تشرب به بين الربيع إلى شهور الصيف
إلا عواسل كالمراط معيدة بالليل مَوْرِدِ أَيْمٍ متغضِّف^(٢)

ولا يناقض قول الشنفرى القلة العددية، فهو لم يبين أعدادها أيضاً، بل اكتفى بالقول:

دعا فأجابته نظائر نُحِّل^(٣)

(١) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص ٣٦٤.

(٢) أبو سعيد، الحسن بن الحسين السكري، شرح أشعار الهذليين، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج

(القاهرة: مطبعة المدني، د-ت) ج ٣، ص ١٠٨٥.

(٣) الشنفرى، شعر الشنفرى، ص ٧٥.

ويشير الأعمش إلى وجود ذئاب كثيرة في منطقة ذات أشجار ملتفة كانت الظبية ترعى فيها، يقول:

وإذا خافت السباع من العيِّ ل^(١)

أما ذو الخرق الطهوي، فقد أشار إلى ما نظنه هو الحالة الطبيعية في الذئاب العربية، وهي قلة العدد، فقال:

ألم تعجب لذئبِ بات يعوي ليؤذَن صاحباً له باللِّحاق^(٢)

وكذلك أشار جويرية الفزاري في قصيدته، حيث قال:

فتركتها لعياله جَزراً^(٣)

أي: هذه المجموعة الصغيرة التي تتكون من الأبوين والجراء.

ويمكن جمع الحالتين: التفرد والاجتماع في أبيات كعب بن زهير الذي ذكر أن الذئب قد يكون مرة منفرداً، وقد تصحبه مجموعة، ولا بد أن تنبّه إلى لفظته: "شيعه"، فهي تعني هنا: القرابة القريبة؛ كما هو معروف عن الذئاب، يقول:

وإن يَغْدُ في شيعَةٍ لم يُثْنِه نَهْرُ وإن غدا واحداً لا يتقي الظُلماً^(٤)

وتؤكد أبيات الراجز هذه الحقيقة التي نقول بها، وهي: أن الذئاب العربية عادة ما تكون قليلة العدد، وما تؤكد الدراسات الحديثة من أن تجمعات الذئاب لا بد أن تكون من أسرة شديدة القرابة ببعضها، فهو يقول: إنه يصف ذئباً وذئبة وجروين لهما،

(١) الأعمش، ديوان الأعمش، ص ٢٦١.

(٢) أبو العباس، أحمد بن يحيى ثعلب، مجالس ثعلب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (القاهرة: دار المعارف، ط ٢، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م) ج ١، ص ١٥٤.

(٣) المعري، رسالة الصاهل والشاحج، ص ص ١٢٦-١٢٨.

(٤) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ص ٢٢٤-٢٢٦.

مع العلم بأن الذئبة تلد في حدود خمسة جراء، ولعل بعضها مات؛ لأنه لا يُتصور أن تعتمد تلك الجراء الصغيرة على نفسها في هذه السن، فتفارق أمها، يقول:

أَنْعَتْ ذَنْبًا...

تَبْرِي لَه طَلْسَاءُ ذَاتُ جَرَوِينِ^(١)

الجوع

من المعروف أن الذئاب العربية تفوق في جوعها الذئاب الأخرى؛ لأنها لا تحصل على طعامها بيسر، بل تجاهد في سبيله، وصفة الجوع هذه تجدها في قول تأبط شراً:

إِنْ كُنْتَ لَمَّا تُمَوِّلِ

كَلَانَا إِذَا مَا نَالَ شَيْئًا أَفَاتَهُ وَمَنْ يَحْتَرِثُ حَرْثِي وَحَرْثِكَ يَهْزَلُ^(٢)

وفي أبيات الشنفرى صفات وعبارات شديدة الدقة في تصوير تلك الحالة:

وَأَغْدُو عَلَى الْقَوْتِ الزَّهِيدِ كَمَا غَدَا أَزَلَّ تَهَاوَاهُ التَّنَائِفُ أَطْحَلُ

غَدَا طَاوِيأَ يُعَارِضُ الرِّيحَ هَافِيأَ يَخْوَتُ بِأَذْنَابِ الشَّعَابِ وَيَعْسَلُ

ثم قوله:

فَأَغْضَى وَأَغْضَتْ وَابْتَسَتْ وَابْتَسَتْ بِهِ مَرَامِيْلُ عَزَاها وَعَزَتْهُ مُرْمِلُ^(٣)

ويبين النابغة الجعدي حالة الجوع المصاحب للذئب في قوله:

يُمْسِي وَيُصْبِحُ مُقْفَرًا^(٤)

(١) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ١٩٧.

(٢) تأبط شراً، ديوان تأبط شراً، ص ١٨٤.

(٣) الشنفرى، شعر الشنفرى، ص ص ٧٤، ٧٧. ابتس: أنس. المراميل: جمع مرميل، وهو الذي فقد زاده.

(٤) الجعدي، شعر النابغة الجعدي، ص ص ٦٢ - ٦٣.

أي : وحيدا في القفر لا زاد له ؛ ولهذا، قال ربعة الرقي :

ظلمتُ كذئب السوء إذ قال مرة لكل رأي الذئب غرثان مرمل^(١)
وتزداد صور الجوع حدة في قول أبي كبير الهذلي، مشبها الذئب بالسهام :
إلا عَوَاسِرٌ لَّ كَالْمِرَاطِ

ثم قوله :

تَعْوِي الذُّئَابَ مِنْ المِجَاعَةِ حَوْلَهُ إِهْلَال رِكْبِ اليَاسِينِ الْمُتَطَوِّفِ^(٢)

ومن أدق صور الجوع عن الذئب الصورة التي رسمها جويرية الفزاري، فقد ركز تركيزا كبيرا على هذه الناحية، مما أثار عاطفته، فنحدر له ناقته ؛ فالذئب شقي، جائع دائما، لا يحصل على طعامه، إلا بعسر، وعلى قدر . وهو ليس نهما، بل يكتفي بما يحصل عليه من طعام، يطلبه دائما، يقول :

وَلَقَدْ أَلَمَ بِنَا لِتَقْرِيبِهِ بَادِي الشَّوَاءِ مُحَارَفَ الكَسْبِ
يَدْعُو الفَنَا إِنْ نَالَ عُلُقَتَهُ مِنْ مَطْعَمٍ غِيَاً إِلَى غَيْبٍ
وَطَوَى ثَمِيلَتَهُ فَالْحَقَّهَا بِالصُّلْبِ بَعْدَ لُدُونَةِ الصُّلْبِ
يَا ضَلُّ سَعِيكَ مَا صَنَعْتَ بِمَا جَمَعْتَ مِنْ شَبٍّ إِلَى دَبٍّ
فَجَعَلْتَ صَالِحَ مَا احْتَرْتُ وَمَا جَمَعْتَ مِنْ نَهْبٍ إِلَى نَهْبٍ^(٣)

أما الكमित، فقد أعطانا لمحة جديدة عن حالة الذئب العربي في الصحراء، فهو، وإن اختار العيش بعيداً عن الناس ؛ لأنهم يطاردونه، فيقتلونه، فإن هذا

(١) ربعة الرقي، شعر ربعة الرقي، تحقيق: يوسف حسين بكار (بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٠م) ص ٨٥.

(٢) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج ٣، ص ص ١٠٨٥-١٠٨٦.

(٣) المعري، رسالة الصاهل والشاحج، ص ص ١٢٦-١٢٨.

الاختيار قد يودي بحياته، خاصة إذا كان طاعناً في السن. وفي وصف الكميت لهذا اللذب بأنه أعمى من الجوع والعطش أبلغ دليل على قساوة حياته وضنكها، يقول:

لَقِينَا بِهَا ثُلْباً ضَرِيراً كَأَنَّهُ إِلَى كُلِّ مَنْ لَاقَى مِنَ النَّاسِ مُذْنِبٌ
مُضِيعاً إِذَا أَثْرَى كَسُوباً إِذَا عَدَا لِسَاعَتِهِ مَا يَسْتَفِيدُ وَيَكْسِبُ (١)

ففي هذين البيتين ملاحظتان: الأولى قوله: "مذنب"، لأن الناس ما تنفك تريد قتله. والثانية قوله: "مضيعاً... لساعته ما يستفيد ويكسب"، أي: أن سبب جوعه الدائم هو قناعته بصيد يومه، ولليوم الآخر كسب آخر جديد، وهذا الوضع لا يتوافق مع طبيعة الصحراء الجافة القاحلة، ولكنه وضع الذئب في كل مكان، ففي الصورة التي قدمها الطرماح إضافة لازمة للذئب بالقفر، فبينهما إزاء، على الرغم من أنه ليس بها ما يسد رمقه، يقول:

تَأْوِينِي فِيهَا عَلَى غَيْرِ مَوْعِدٍ أَخُو قَفْرَةٍ يَضْحَى بِهَا وَيَجُوعُ (٢)

ونتيجة لهذا الحرمان المستمر في حياة الذئب، قالوا عنه:

أَجُوعٌ مِنْ ذَنْبٍ: لِأَنَّهُ دَهَرَهُ جَائِعٌ (٣).

أَكْسَبٌ مِنْ ذَنْبٍ: لِأَنَّهُ أَبْدَأُ فِي طَلْبِ صَيْدِهِ، لَا يَهْدَأُ، وَلَا يَنَامُ (٤).

(١) الكميت بن زيد الأسدي، شعر الكميت، جمع: داود سلوم (النجف: مطبعة النعمان، ١٩٦٩م) ج١، ص٨٦. الثلب: الهرم.

(٢) ابن حكيم، ديوان الطرماح، ص ١٨٩. تأويني: أتاني ليلاً. أخو قفرة: اللذب. يضحى: يبرز إلى الشمس. أي: لا يستظل، وإنما يعاني وقد الهوجر ويقطأ.

(٣) الأصبهاني، الدرر الفاخرة، ج١، ص١١٨.

(٤) المصدر نفسه، ج٢، ص٣٦٦.

الذئب يغبط بذئب بطنه، أي: أن الذئب يُظن به البطنة لكثرة عدوه، وشدة جراته، وربما كان مجهوداً من الجوع"^(١).
الذكاء

تكشف آيات لبيد في معلقته عن هذه الصفة التي شددت عليها الدراسات المعاصرة، إذ إن تقسيم الأدوار وإستراتيجية الهجوم، وتعيين الفريسة من أهم أمارات الذكاء في الذئب^(٢). ومهارة الذئب العربي وذكاؤه ظهرا لنا جلياً هناك، حيث استطاع أن يفترس (العجل) وهو في موضع تكثر فيه الأبقار، وتعلم أن أمه شديدة الحرص عليه^(٣)، مما يبين عن قدرات كبيرة في القنص، ربما فرضتها عليه طبيعة الحياة القاسية التي يجيهاها. وقد بين الأعشى تفصيلاً لاستثمار الذكاء عند الذئب، فشخصه تشخيصاً يجمعه بينه وبين الصياد في الشعر العربي القديم، تقول:

أهوى لها ضابئاً في الأرض مفتحص للحم قدما خفي الشخص قد خشعا
فظل يخذعها عن نفس واحدها في أرض فيءٍ بفعل مثله خدعا^(٤)
وهكذا، كان الذئب عند ابن مقبل وابن أحمر^(٥).

وبما لا شك فيه أن حركة الاختطاف التي تمارسها الذئب، بحيث تحتال في الوصول إلى إحدى الأغنام، بل يتجاوز ذلك اختيار السمينة منها، وذلك في سرعة

(١) أبو هلال العسكري، جمهرة الأمثال، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعبدالمجيد قطامش (القاهرة: مطبعة المدني، ط ١، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م) ج ١، ص ٤٦١.

(٢) L.D. Mech, The Wolf (Minneapolis: Univ. of Minnesota Press, 1981), p. 196-205.

(٣) انظر ما سبق، ص ٣٦.

(٤) الأعشى، ديوان الأعشى، ص ١٠٥.

(٥) عمرو بن أحمر الباهلي، شعر عمرو بن أحمر الباهلي، جمع: حسين عطوان (دمشق: مجمع اللغة العربية، د-ت) ص ص ٩٧-١٠١.

مذهلة جداً، لدليل على حدة الذكاء في الذئب وقدرته الفائقة على التصرف. وهذا واضح في تصوير كعب بن زهير لهذه الحركة من الذئاب.
رهاالة المحس

وهذه أيضاً من الصفات التي لوحظت كثيراً في الذئاب.
فالذئب كما وصفه حميد بن ثور الهلالي:
ينام بإحدى مُقَلَّتَيْهِ^(١)

وذلك لشدة حذره وحساسيته. ويتبين الإفراط في الحساسية في تشبيه الطرماح له، بأنه مثل الظنَّان الشكاك الذي لا يهدأ له بال، يقول:
كذي الظن لا ينفك عوض كأنه أخو جهرة بالعين وهو خدوع^(٢)
وقريب من ذلك قول ذي الرمة: إن الذئب يتحسس الأصوات تحسُّساً،
ويتحفز لها تحفزاً:

يَحْبُ وَيَسْتَنَشِي وَإِنْ تَأْتِ نَبَاةٌ عَلَى سَمْعِهِ يَنْصَبُ لَهَا ثُمَّ يَمْتَلِئُ^(٣)

الشجاعة

وقد أكدوا شجاعة الذئب، حتى سموه:
ذئب عمْرَط: أي شديد جسور^(٤).

(١) الهلالي، ديوان حميد بن ثور، ص ١٠٥.

(٢) ابن حكيم، ديوان الطرماح، ص ١٨٩. أخو جهرة بالعين: يقظان متنبه.

(٣) غيلان بن عقبة، ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، تحقيق: عبدالقدوس أبو صالح (بيروت: مؤسسة الإيمان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م) ج ٣، ص ١٤٨٧-١٤٨٩. يخب: الخبب، نوع من المشي.

يستشي: يتشمم. النبأة: الصوت الخفي. ينصب: يقوم ويتنصب. يمثل: يقف.

(٤) الزبيدي، التاج، "عمرط".

والأخوس^(١).

والمجَلَح^(٢).

الغددر والحياة

ومن الصفات المعنوية ما هو مضموم عند العرب ، حتى أجمعوا في أمثالهم فيه

على قولهم :

أخون من الذئب^(٣).

أظلم من الذئب^(٤).

وقالوا فيه :

الذئب غادر^(٥).

الذئب فاجر^(٦).

عدم الحياء :

قال المتنبي :

وليس حياءُ الوجه في الذئب شيمَةً ولكنه من شيمة الأسد الورد

أي : أنه ليس من شيمة الذئب الحياء ، وإنما من شيمته القحة^(٧).

(١) المصدر نفسه ، "حاس".

(٢) ابن منظور ، اللسان ، "جلح".

(٣) العسكري ، جمهرة الأمثال ، ج ١ ، ص ٤٣٩.

(٤) المصدر نفسه ، ص ٤٤٦.

(٥) الزبيدي ، التاج ، "غدر".

(٦) ابن منظور ، اللسان ، "غدر".

(٧) أحمد بن الحسين المتنبي ، شرح ديوان المتنبي ، تحقيق : عبدالرحمن البرقوقي (القاهرة : المكتبة

التجارية الكبرى ، ١٣٥٧/هـ ١٩٣٨م) ج ٢ ، ص ١٦٣ . الورد : الذي لونه حمرة مثل الورد.

القناعة

وعلى الرغم مما أثير حول الذئب من حرص وجشع على الصيد، فإن الدراسات الحديثة أثبتت أن الذئب ليست شرهة على الأكل، فهي تأخذ ما يكفيها، ثم تترك الباقي، دون محاولة للاستزادة، ودون أن تكون شحيحة عليه. وإن كانت هناك آراء غير مؤكدة بعد عن دفن الذئب ما يتبقى من الصيد لتعاود الرجوع إليه. ولكن المهم أنها لا تأكل بنهم وشدة، على الرغم من إحساسها بالجوع المستمر^(١).

وفي قصيدة المرقش إشارة إلى هذه القناعة عند الذئب، فهو يقول:

تَبَدَّتْ إِلَيْهِ حُزَّةٌ مِنْ شِوَانِنَا حَيَاءً وَمَا فُحْشِي عَلَى مَنْ أَجَالَسَ^(٢)

قوله "حياء"، إشارة إلى الكرم العربي الذي يعطي الجزيل وينعم.

فالمرقش لم يجد لديه إلا نبذة يسيرة من شوائه رمى بها إليه. وقد اقتنع الذئب بذلك، فكان كما قال، مستخدماً صفة دقيقة على هذه الناحية: "جدلان"، ولم يكن بَرِمًا ضَيِّقًا بِهَا، فقال:

فَأَضُّ بِهَا جَدْلَانَ يَنْفُضُ رَأْسَهُ كَمَا أَبَّ بِالنَّهْبِ الْكَحْبِيُّ الْمَحَالِسُ^(٣)

والقصة نفسها، وبالأسلوب نفسه، تتكرر عند عمرو بن الصعق.

وفي أبيات الفزاري جويرية، توضيح للناحيتين السابقتين معاً: الكرم العربي، المتمثل في نحر الناقة الكؤماء للضيفان، وجويرية عقر أسمن نياقه للذئب، والقناعة والأثرة المعروفتين في الذئب، فهو يعلم أن الذئب لن يأتي على الناقة بأكملها، بل

(١) David Mech, The way of the Wolf (England: Swan Hill press, 1991) pp. 69.

(٢) حزة: قطعة.

(٣) الأنباري، شرح ديوان المفضليات، ص ٤٦٦. آض: عاد. المحالس: الشديد الذي لا يبرح مكانه.

سيدعو لها مجموعته من الذئاب، وهي المجموعة التي قلنا؛ إن الذئاب العربية تتكون منها، أي: أسرة واحدة، شديدة القرابة، قليلة العدد.

ولكن القصائد التي تكرر فيها افتراس الذئب للعجل، مثل قصيدة ابن أحمر وابن مقبل، تجعل الذئب قد أكل العجل كله، فلم يبق منه: "إلا شماليين"، كما قال ابن مقبل^(١)، و"إلا سماحيق"، كما في قول ابن أحمر^(٢). وهذا يدل على أن العجل كان رضيعاً، أي: صغيراً جداً بحيث إن الذئب أكل لحمه كله. ولكن أهم إشارة، هي أن الشعراء لم يخبرونا عن اختزان الذئب شيئاً من اللحم بدفنه، كما أشارت بعض الدراسات الحديثة إلى ذلك^(٣).

وقد وصفه النابغة الجعدي بأنه "شحيح". وهي صفة بعيدة كل البعد عن الذئاب، إلا أن يكون المقصود بذلك حرصه على طلب الصيد، كما أوضحت الأمثال عنه هذه الصفة.

ويقولون: إن الذئب يعيث في الغنم، أي يفترس منها ما شاء، وهذا القول مبالغ فيه، فحقيقة الذئب أنه قنوع، يكفي باختطاف الفريسة والذهاب بها بعيداً، وأكلها، أو أكل جزء منها، ولكنه بلا شك يعاود الهجوم على الغنم، ويشير فيها الفزع والرغبة، فتشتت، ولعل هذا هو ما كانوا يقصدونه بتلك العبارة، وقد ذكر ذو الخرق الطهوي هذه القصة التي ألصقت بالذئاب، فهذا ذئب وحيد، يدعو إلى فعل ذلك في غنم بني تميم، فيقول:

عليك الشاء شاء بني تميم فعافقه فإنك ذو عفاق^(٤)

(١) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٣٨٦. الشماليين: البقايا.

(٢) الباهلي، شعر عمرو بن أحمر، ص ٩٧-١٠١. السماحيق: جمع سمحاق، وهو جلد رقيقة فوق قحف الرأس، يريد أشلاء ولدها.

(٣) Mech, The Way of the Wolf, p. 69.

(٤) ثعلب، مجالس ثعلب، ج ١، ص ١٥٤.

كما أن في أبيات كعب بن زهير تفصيلاً تاماً لما تفعله الذئاب بالأغنام.

اليقظة

لاحظ العرب أن الذئب مفرد الحساسية، متحفز، مستيقظ دائماً، إلا أنه يعتربه ما يشبه الغفوة، قال كثير، في وصف الطريق (الأبيض):

وأبيض ينعس السرحان فيه كأن يياضهُ ريط غسيل^(١)

الموت

كل حيٍّ أيل إلى الموت، وكل شيء إلى فناء، غير أن من طباع الذئب التظاهر بالموت^(٢). وهذه حالة لم يذكرها العرب، وإن ذكروا موت الذئب، كقول ابن مقبل:

متى دفعنا إلى ذي ميعة نتق كالذئب فارقه السلطان والروح^(٣)

الجهد في الصيد:

وهذا طبيعي في ظل الظروف التي يحياها الذئب العربي خاصة، ولذلك استخدم لييد صفة "كواسب" أي: التي تعتمد على جهدها وقدراتها الخاصة في الحصول على معاشها. يقول كعب مبيّناً حالة الكسب هذه التي يصاحبها الجهد الدءوب:

كسوب إلى أن شبَّ من كسب واحد مُحالِفُه الإقتار لا يَتَمَوَّلُ^(٤)

(١) كثير بن عبد الرحمن، كثير عزة، ديوان كثير عزة، جمع وشرح: إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧١م) ص ١٢١.

(٢) R. D. Laurence, Der Ruf der Wolfe, (Germany: Albert Muller Verlag, 1987) s. 129.

(٣) الحموي، معجم البلدان، "الأقور". وليس في ديوانه.

(٤) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ٤٨. الإقتار: ضيق الرزق.

حالات الذئب الخاصة

السير

لعدو الذئب عدة صفات منها:

الذالان: من المشي الخفيف، والذئب يسمى: ذؤالة^(١).

المعد أو الماعد: إذا كان يجذب العدو جذباً^(٢).

العاسل: إذا مضى مسرعاً^(٣).

ومما أن الذئب يرى منه التعارج في سيره، فقد سموه: الأقرل^(٤).

الأحل: إذا وثب، ومشى مشية العرجان^(٥).

وسموه:

النسول: السريع العدو^(٦).

الهزلاج: لأنه سريع خفيف^(٧).

ومما ذكر في مشيه، قول أحدهم:

كان انسلال الذئب أول ليلة يبادر أسمال البياض انسلالها^(٨)

(١) أبو علي، إسماعيل بن القاسم القالي، الأمالي، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م) ج ٢، ص ٤٣.

(٢) ابن منظور، اللسان، "معد".

(٣) المصدر نفسه، "عسل".

(٤) الزبيدي، التاج، "قرل".

(٥) ابن منظور، اللسان، "حلل".

(٦) الزبيدي، التاج، "نسل".

(٧) ابن منظور، اللسان، "هزج".

(٨) أبو علي، هارون بن زكريا البجلي، التعليقات والنوادر، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض: شركة العبيكان، ط ١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ج ١، ص ٣٧٧.

وقال آخر:

كالذئب يتلو طمعاً قريباً^(١).

وقال عمرو بن حُمَيل، واصفاً أيضاً ذيله المنعقد، يعني بكل ذلك ركضه:

لِكُلِّ عَيْالٍ الضُّحَى لَذَلَاذُ لَوْنِ الثُّرَابِ أَعْقَدِ الشَّمَاذُ

أراد بـ: عيال الضحى: ذئباً يتعيل في عطفه، أي: يشنى؛ والأعقد: الذي يلوي ذنبه كأنه منعقد^(٢).

وقال غيره:

فأهون بذئب يكتح الرياح باسته

أي: يضره الرياح بالخصى^(٣).

الشم

الشم من الصفات التي عرفت عن الذئب كثيراً حتى قيل:

أشم من ذئب^(٤).

الذي يشم ويستروح من ميل وأكثر من ميل^(٥).

الصوت

العواء والعويل

وهو صوت الذئب، وفي تصويرهم له، ما يعكس الحزن والقلق، وذلك لارتباط صوته بالحنين والتشوق إلى الطعام، أي شدة تأثره بالجوع والقهر اللذين

(١) ابن منظور، اللسان، "جون".

(٢) الزبيدي، التاج، "لوذ". اللذاذ: الذئب لسرعته. الشماذ: الذي شمذ بذنبه، أي شاله ورفع.

(٣) ابن منظور، اللسان، "كتح".

(٤) الأصبهاني، الدرر الفاخرة، ج ١، ص ٢٥٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٥٤.

يصاحبه في عدم الحصول عليه، كما قال امرؤ القيس:

لَقَيْتَ عَلَيْهِ الذَّئْبَ يَعْوِي كَأَنَّهُ خَلِيعٌ خَلَا مِنْ كُلِّ مَالٍ وَمِنْ أَهْلِ^(١)

وقال تأبط شراً:

وَوَادِ كَجَوْفِ الْغَيْرِ قَفَرٍ قَطَعْتَهُ بِهِ الذَّئْبُ يَعْوِي كَالْخَلِيعِ الْمُعِيلِ^(٢)

كما قال أبو كبير الهذلي مشبها عواء الذئب بأصوات حجاج اليمن:

تَعْوَى الذَّئْبُ مِنَ الْمَجَاعَةِ حَوْلَهُ إِهْلَالُ رُكْبِ الْيَمَنِ الْمُتَطَوِّفِ^(٣)

وقال غيلان بن سلمة:

فَتَرَكْتَهُ يَعْوِي بِقَفَرْتِهِ^(٤)

وقال حميد بن ثور:

وَفَكُّكَ لِحَيْتِي فَلَمَّا تَعَادِيَا صَأَى ثُمَّ أَقْعَى وَالْبِلَادَ بِلَاقِعِ^(٥)

وقال كعب بن زهير، مينا صفة ذكرها المأثور العربي، وهي أن الذئب حين

يعوي، يعوي مستقبلاً الريح، ولذلك تتردد أصداؤه عوائه في الأرجاء:

إِذَا مَا عَوَى مُسْتَقْبِلَ الرِّيحِ جَاوَيْتَ مَسَامِعَهُ فَأَهُ عَلَى الزَّادِ مَعُولِ^(٦)

والصورة نفسها نجدها عند ذي الرمة الذي استخدم لفظه: "معول"، أي: أن

أصوات الذئب كالعويل في البكاء، فيقول:

أَفْلَ وَأَقْوَى فَهُوَ طَاوُ كَأَنَّهُ يَجَاوِبُ أَعْلَى صَوْتِهِ صَوْتِ مَعُولِ^(٧)

(١) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص ٣٦٣.

(٢) تأبط شراً، ديوان تأبط شراً، ص ١٨٢ - ١٨٣. الخليع: المقامر. المعيل: كثير العيال.

(٣) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج ٣، ص ١٠٨٥ - ١٠٨٦.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٣٨٧.

(٥) الهذلي، ديوان حميد بن ثور، ص ١٠٥. صأى: صاح. أقعى: جلس على إتيته، ونصب فخلديه. بلاع: مفخرة.

(٦) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ٤٨. معول: مصوِّت بالعويل.

(٧) ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ج ٣، ص ١٤٨٧ - ١٤٨٩. أفل: وقع في الأرض. أقوى: صار في الخلاء.

ويَن كَثِيرٌ كيف أن الذئب يمد عنقه، ويرفع صوته في أثناء العواء، فقال:

عوى ناشز الحيزوم مضطمر الحشا يعالج ليلاً قارساً مع جوع^(١)
فالعواء: هو أن يلوي الذئب خطمه، ويمد صوته^(٢).

وإذن فإن العواء هو الصوت المميز للذئب، وهو الذي تردد في الشعر العربي،

فمنه قول الأبيرد الرياحي:

عوى من جنبه وشقي عجل عواء الذئب مختلط الظلام^(٣)
وفي صورة جميلة يقول حاتم الطائي، مستخدماً اسم السباع للذئب:

ودوية قفر تعاوى سباعها عواء اليتامى من حذار التراتر^(٤)

وهو هنا يكشف عن مقاسة الذئب في صحرائها القاحلة حيث شبه ذلك

الصياح "العواء"، بصياح اليتامى خشية "التراتر": وهي الأمور العظام.

ومن الصور الجميلة أيضاً، قول ساعدة بن جوية، مستخدماً الاسم نفسه

"السباع" وهذا تأكيد على أن المقصود بـ"السبع" هو الذئب:

سباع لها تعاوى كما عج الحجيج الملبد^(٥)

أما الحالة الوحيدة التي صادفناها في الشعر العربي، مما يكشف عن طقوس

العواء، كما يطلق عليها في الدراسات العلمية المعاصرة، وهي تصف تجمع الذئب

(١) كثير عزة، ديوان كثير عزة، ص ٣٦١-٣٦٢.

(٢) ابن منظور، اللسان، "عوى".

(٣) نوري حمودي القيسي، شعراء أمويون (بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ج ١، ص ٢٧٩.

(٤) حاتم بن عبدالله الطائي، ديوان شعر حاتم الطائي وأخباره، تحقيق: عادل سليمان جمال (القاهرة: مطبعة المدني، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ص ١٩٩.

(٥) السكري، شرح أشعار الهلليين، ج ٣، ص ١١٦٦.

للعواء حيث يبدأ القائد بالعواء، ثم تجاويه بقية الذئاب في جوقة موسيقية واحدة، مادة أعناقها ارتفاعاً وانخفاضاً لمدة قصيرة جداً، هي حالة ذئاب الشنفرى. فمن الواضح أن الذئاب كانت قد تجمعت فوق مكان مرتفع من ذلك البراح، وهي الحالة المعروفة في الذئاب العربية، وكأنه يشبهها بالنساء النائحات على مثل ذلك المكان، ثم ابتدأت تلك الطقوس، بأن قام القائد، وهو هنا ذئب الشنفرى، بالعواء، فارتفعت وراءه أصوات بقية المجموعة، ثم خفض القائد رأسه، فخفضت المجموعة رؤوسها، كما فعل قائدها، واختلطت أصواتها جميعاً، كما في قوله: "واتسى واتست به"، وبعد أن انتهت الجلسة الطقسية، افرقت المجموعة، وبالإضافة إلى تلك المظاهر الطقسية التي أثبتتها الدراسات الحديثة، فإن تشبيه الذئاب بـ"نوح... شكل"، و"مراويل"، واستخدام عبارات مثل "ضج وضجت"، "شكا وشكت"، تشحن ذلك الجو بمحزن هائل يتردد صدها في أرجاء تلك الأرض، ولم يكمل تأبط شراً هذا المنظر في قصيدته، ولكنه أشار إليه إشارة فقال:

"فطرب يستعوي..."، والتطرب مما يتفق مع الدراسات الحديثة التي تصف هذه الممارسة بأنها جوقة موسيقية^(١).

وتمشياً مع الملاحظات المعاصرة، فإن فترة التجمع للعواء الطقسي هذه، عادة ما تبدأ قبيل المساء، أي إن تجمع ذئاب الشنفرى كان في هذه الفترة، وهو ما يمكن ملاحظته عياناً. وإلى جانب العواء والعيول، وهما خاصتا صوت الذئب المميزتان، هناك:

التطريب: طنب الذئب، عوى^(٢).

الطنين: صوت الذئاب^(٣).

(١) H. Frank, Man and Wolf (Dordrecht: W. Junk, 1987) pp. 313-348.

(٢) ابن منظور، اللسان، "طنب".

(٣) الزبيدي، التاج، "طنن".

ويقال: استعقر الذئب: رفع صوته بالتطريب في العواء^(١).

استتاح الذئب: عوى، فأدنت له الذئاب^(٢).

ويقال: وعوع الذئب وعوعة ووعواعا: عوى^(٣).

وقال امرؤ القيس:

كأن خضيعة بطن الجوا د وَعَوَعَةُ الذئب بالفدغد^(٤)

الصمت

إن من أجمل الصور التي قدمها الأدب العربي صورة الأخطل التي نقل فيها كيف أن الذئاب، عندما تشعر بحركة الصيد، تراقب المنظر بحذر بالغ الحساسية، بحيث لا يشعر الحيوان المقترب منها بها، مع أنها في كامل يقظتها له، يقول:

مِثْلَ الذئاب إذا ما أوجسوا قَنَصاً كانت لهم سَكَنَةٌ مُصَنِّغٌ وَمَبْلُودٌ^(٥)

العس

وقد كشف حميد بن ثور الهلالي عن طبيعة الذئاب التي تلح على الصيد ليلاً، ولاتهدأ أبداً، فقال:

وإن بات وحشاً ليلة لم يَضُقْ بها زراعاً ولم يُصْبِحْ لها وهو خاضع

ويسري لساعات من الليل قَرَّةً يهاب السرى فيها المَخاض النوازع^(٦)

(١) المصدر نفسه، "عقر".

(٢) ابن منظور، اللسان، "نوح".

(٣) المصدر نفسه، "وعوع".

(٤) امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، ص ٤٥٩.

(٥) غياث بن غوث الأخطل، شعر الأخطل، تحقيق: فخر الدين قيادة (حلب: دار الأصبمعي، ط ١،

١٣٩١هـ/١٩٧١م) ج ١، ص ١٠٤. أوجسوا: أحسوا. قنصاً: صيداً. مصغ: مستمع. مبلود: بليد.

(٦) قرة: باردة. السرى: السير ليلاً. المخاض: العشار التي قضى عليها عشرة أشهر. النوازع: التي تمن

إلى أوطانها، مرعاها.

كما كشف عن تجوال الذئب في أماكن متناثرة طلباً للصيد، فقال:
 وإن حَازرت أرضٌ عليه فإنه يَغْرَهُ أخرى طَيِّبُ النفس قانع^(١)
 وهذا الطواف ليلاً هو ما يعرف بالعسس^(٢).

الصيد

تبدأ الذئاب عموماً، بالصيد ليلاً، وتزداد شراسة بالذات، في الليالي المقمرة، وأغلب أوقات صيدها يبدأ قبيل الغروب حتى الفجر. وفي قصيدة المرقش الأكبر ما يدل على ظهور الذئب العربي في الليل، بحثاً عن الصيد، يقول المرقش:
 ولما أضانا النارَ عند شوائنا عَرَانَا عليها أطلسُ اللونِ بائس^(٣)
 وكذلك في قول تأبط شراً:

من آخر الليل مخضل^(٤)

وذكر ذلك أيضاً عمرو بن الصعق، فقال:

ونارٍ بمومةٍ قليلٍ أنيسها أتاني عليها أطلسُ اللونِ بائس^(٥)
 ومثل هذا قال الفرزدق:

فَبِتُّ أسوِيَّ الزادِ بيني وبينه على ضوءِ نارِ مرةٍ ودخان^(٦)

وأشار كعب بن زهير إلى غارة الذئب في الليالي المظلمة، حين يغيب

(١) الهلالي، ديوان حميد بن ثور، ص ١٠٤.

(٢) الزبيدي، التاج، "عسس".

(٣) الأنباري، شرح ديوان المفضليات، ص ٤٦٦. عرانا: أنانا طالباً معروفاً.

(٤) تأبط شراً، ديوان تأبط شراً، ١٨٥. مخضل: مبتل.

(٥) الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢، ص ١٠٠.

(٦) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج ٢، ص ٣٢٩.

القمر، فقال:

وإن أغار ولم يَحُلَّ بطائلة في ظلمة ابن جَمِير سَاوَرَ الْفُطْمَا^(١)

كما أشار الطرماح إلى خروج الذئب للصيد ليلاً، فقال:

تَأْوِنِي فِيهَا عَلَى غَيْر مَوْعِدٍ أَخُو قَفْرَةَ يَضْحَى بِهَا وَيَجُوعُ^(٢)

وصرح بذلك كثير، فقال:

يُعَالِجُ لَيْلاً قَارِساً مَعَ جُوعٍ^(٣)

ويدو أن وصف أبي كبير الهذلي للذئب كان في ليلة مقمرة، في قوله:

إِلَّا عَوَاسِلَ كَالْمِرَاطِ مَعِيْدَةٍ بِاللَّيْلِ مَوْرِدَ أَيْمٍ مُتَعَضِّفٍ^(٤)

وفي أبيات غيلان بن سلمة إشارة إلى إحدى حالات الذئب في الليل، وهي

عدم الاستقرار والتجوال في منطقتة ليلاً، فما ينام طوال الليل، خاصة في الليالي المقمرة، حيث يزداد طلبه وسعيه:

بِتَنْوِفَةِ جَرْدَاءٍ يَجْزَعُهَا لَحِبٌّ يَلُوحُ كَأَنَّهُ سَحْلٌ^(٥)

فقوله: "يلوح"، إشارة إلى أنه رآه عياناً في ذلك الليل.

إذ إن من عادة الذئب الصيد في الليالي المقمرة بالذات، ولذا كان قتل عجل

بقرة ليبد قرب المساء حيث تتحرك الذئب للصيد ابتداء من هذا الوقت، فقد أشار إليه

(١) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ٢٢٦. لم يحل: لم يظفر. طائلة: فائدة كبيرة. ابن جمير: أظلم ليلة في الشهر.

(٢) ابن حكيم، ديوان الطرماح، ص ١٨٩.

(٣) عزة كثير، ديوان كثير عزة، ص ٣٦١-٣٦٢.

(٤) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج ٣، ص ١٠٨٥-١٠٨٦. المرط: الثبل المتمرطة الريش. معيدة: معيلة الشرب مرة بعد مرة. الأيم: الحية.

(٥) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٣٧٨. يجزعها: يقطعها. لحب: طريق واضح. سحل: ثوب أبيض.

الأعشى من إحساس الظبية بميعاد خروج الذئب مساء من الغيل أي: الشجر الملتفّ، في قوله:

وإذا خافت السباع من الغيا مل وأمست وحان منها انطلاق^(١)

وعلى الرغم من أن الأعشى لم يخبرنا عن هجوم الذئب على الصغير، فإن خاتمة القصة تشير إلى أن الذئب هجمت على الصغير ليلاً، في غفلة منها، فأكلته، حيث يقول:

فاصبري النفس إن ماحمٌ حقٌ ليس للصدع في الزجاج اتفاق
وذلك على الرغم من إمكان ظهورها نهاراً، ولعل سبب ذلك يرجع إلى أن الظبية قريبة من الغيل (الأجمة) كما ذكر، ولذلك كانت تخشى هجوم الذئب نهاراً في قوله:

ما تعدّى عنه النهار ولا تعد جوه إلا عفاقة أو فواق^(٢)

ولنا أن نفهم أن المساء هو وقت خروج ذئب النابغة الجعدي، في قوله:

فأمسى عليه أطلس اللون شاحباً

أما قوله: "أنامت"، فلا يعني إلا أنها تركته هناك، وذلك؛ لأن البقر الوحشي ترعى نهاراً، أما في الليل فتذهب لتنام تحت الشجر. حقا إن النابغة الجعدي لم يوضح^(٣) لنا متى كان لقاء البقرة بالثور، ولكن إما أن يكون هذا بعد الحادثة مباشرة، وإما أنه اختصر الحدث حتى الصباح.

(١) الأعشى، ديوان الأعشى، ص ٢٦١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦١.

(٣) الجعدي، شعر النابغة الجعدي، ص ٦٢-٦٣. السباع: الذئب هنا. الغيل: الشجر الملتف

أما قول الشنفرى:

وأغدو على القوت الزهيد كما غدا أزلُّ تهاده التناثف أطحل^(١)

فعلى الرغم من أن الذئب تسعى بالليل حقاً، فإنها قد تواصل السعي حتى الصباح الباكر؛ ولذلك ربط الشنفرى بينه وبين الذئب في السعي عند أول طلوع النهار، ولا يعني وصفه لتجمعها مساءً أنها ظلت تسعى طيلة النهار، بل هي ملاحظة وقت ذلك التجمع مساءً، وهو قد جمع صوراً شتى للذئب في هذه الصورة الواحدة. ويبدو أن الأعشى في عينيته راقب البقرة صباحاً، فلما انصرفت عنه لترعى طوال النهار حتى المساء، أكل الذئب العجلة، ولذلك قال:

فظل يأكل منها وهي راتعة حدّ النهار تُراعي ثيرةً رُتعا^(٢)

المطاردة

شبه ابن مقبل مطاردة الحمار الوحشي، وهو على ظهر جواده، بمطاردة الذئب طريده، فقال:

وجاوزه مستأنس الشأو شاخص كما استأنس الذئب الطريد يغاوله^(٣)

الهجوم والاختطاف

إن أسرع طريقة عند الذئب لقتل فريستها، هي الالتقاط على حنجرتها وتمزيقها، فتعثر تنضرج بدماثها، وتموت من ساعتها. وهذه الحالة واضحة في قول لبيد:

لِمُعَقِّرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شُلُوهُ غُبْسٌ كَوَاسِبٌ لَا يَمْنُ طَعَامَهَا^(٤)

(١) الشنفرى، شعر الشنفرى، ص ٧٤. القوت: ما يمسك الرمق من الرزق. الأزل: الخفيف اللحم في موخرته. التناثف: المفاوز.

(٢) الأعشى، ديوان الأعشى، ص ١٥٥. حد النهار: طوال النهار. ثيرة: قطيع من البقر الوحشي، وقد عبّر عنها بـ"ثيرة": أي جمع ثور. رتعا: راتعة، تأكل وتشرب في خصب وسعة.

(٣) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٢٥٠.

(٤) ابن ربيعة، شرح ديوان لبيد، ص ٣٠٨.

إذ يبدو أن القائد جاء إلى العجل ختلاً دون أن يشعر به، وذلك حتى لا يثير صوتاً أو حركة ينبهان أمه، ثم انطلقت عليه الذئب الأخرى تمزق أوصاله.

وقد أوضح النابغة الجعدي أن الذئب أغار على العجل، فذبحه من حنجرتة، وذلك لتشبيهه بالرجل الذي يذبح الشاة، فقال:

فبات يُذَكِّيهِ بغير حديدة أخو قنص يمي ويصبحُ مقفراً^(١)

وفي أبيات ابن مقبل أيضاً إيضاح للكيفية التي يهشم بها الذئب رقبة الضحية:

شدُّ المماضغِ منه كلُّ منصرفٍ من جانبيه وفي الخرطوم تسهيل^(٢)
ومثل ذلك واضح في قول الراجز، مبيّناً كيف يحتمل الذئب في القبض على الشاة من حلقومها:

ما زال ذئب الرقمتين كلما
دارت بوجه دار معها أينما
حتى اختلى بالناب منها البلذما^(٣)

وإذا كان الذئب في حالة الصيد المرتبطة بالبقرة الوحشي والظباء، يختل العجل أو الظبي الصغير، وهو غير بعيد عن أمه، فيفتسه، فإن الصورة المألوفة لعلاقة الذئب بالغنم أن يتسلل إلى حظائر الأغنام، فيختطف إحداها ويهرب بها.

(١) الجعدي، شعر النابغة الجعدي، ص ٦٢-٦٣. يذكيه: يذبحه. مقفر: ذهب طعامه وجاع.

(٢) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٣٨٦. شد المماضغ: أي أخذ ولد البقرة، فشد مماضغه عليه، يعني أضراسه. كل منصرف: كل ناحية من جانبي ولد البقرة.

(٣) ابن منظور، اللسان، "بلد". البلدم والبلذم: الحلقوم وما اتصل من المريء.

كما في أرجوزة عمرو ذي الكلب، وكما أوضح حميد بن ثور ذلك:
 إذا نال من بهم البخيلة غيرةً على غفلة مما يرى وهو طالع^(١)
 وقد سمى كعب بن زهير المختطفة من الأغنام: "مغيية"، وبين حالها، وهو
 يعدو بها، تسيل دماؤها بعد أن فصم عنقها، فدمها يسيل من رقبتها، ورقبتها مائلة
 على جانبها: "صيداء"، يقول:
 إذ لا تزال فريسٌ أو مغيية صيداء تثنج من دون الدماغ دما^(٢)
 التضامن

إن الذئب العربية كما هو ملحوظ قليلة العدد في تكوين مجموعاتها. ومن
 طبيعة الذئب، بشكل عام، تقسيم الطعام فيما بينها، وهذا هو الحال في الذئب
 العربية أيضاً، ففي قول لبيد: "تنازع شلوه"، دليل على أنها تتقاسم الغذاء، فليس
 عندها أنانية، وإن يكن التقسيم الطبقي للذئب، كما تثبت ذلك الدراسات العلمية،
 تجعل الأولوية للقائد وأثناءه، ثم الأتباع، حسب تدرجها الطبقي^(٣). ولكن يبدو أن
 الذئب العربية لا تتقيد بهذه الطريقة، ولعل ذلك يرجع إلى قلة عددها، وشدة
 رباطها العائلي.

ولذا قالوا: "ومن عادة الذئب أنه إذا افترس ذئبان شاة، قسمها على
 شطرين بينهما بالسوية"^(٤).

(١) الهلالي، ديوان حميد بن ثور، ص ١٠٥.

(٢) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ٢٢٦. الفريس: التي دُقَّ عنقها. المغيية: التي بقي فيها شيء من
 الحياة بعد افتراسها. الصيداء: الشجة في الرأس أو العنق.

(٣) Mech, The Way of the Wolf, p. 64.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج ٩، ص ٧١م.

ويتضح من قول امرئ القيس :

فطرب يستعوي ذئاباً كثيرة^(١)

صفة التضامن عند الذئاب، فالذئب عندما عثر على الماء، لم ييخل به، على

الرغم من قلته، فهو لا يعدو أن يكون فيه :

وفي صفوه فضل القلوص من السُّجُل^(٢)

بل ابتهج لذلك، وعوى لتشاركه الذئاب الأخريات شرب الماء.

طريقة شربه الماء

يقولون: ولغ الذئب^(٣).

الولغ: نسق لا يفصل بينهما فترة، كعقدة الحاسب.

قال ابن جندل الطعان:

جمعت له كفيّ لما لقيته بطعن كَوْنُغِ الذئبة المتدارك^(٤)

ويقولون: لَطَعَ الكلب والذئب الماء، والتطعه^(٥).

أي: شربه.

(١) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص ٣٦٣-٣٦٤. طرب: عوى. استعوى: دعا. القلوص: الناقة.

الصفو: بقية الماء. السجل: الدلو العظيمة.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الزبيدي، التاج، "ولغ".

(٤) انظره، في حسان بن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: وليد عرفات (لندن: لوزاك، ١٩٧١م)

ج ٢، ص ٢٩٨. والإشارة إلى الأثني "الذئبة" أمر لافلت للنظر.

(٥) جار الله، أبو القاسم، محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة (بيروت: دار بيروت،

١٣٨٥هـ/١٩٦٥م)، "لطع".

أكل لحوم بعضها بعضاً

لعل هذا الأثر، هو الأثر الوحيد الذي يتناقض كلها مع الحقائق التي توصلت إليها الدراسات الحديثة، فلم يعرف في حياة الذئب أنه يأكل غيره من الذئاب. حقيقة أن مشاجرات دامية قد تقع في نطاق الأسرة الواحدة، كما أن هناك مشاجرات دامية خارج نطاق المجموعة، ولكن قلما تصل إلى حد القتل، ولو حدث القتل، على ندرته، فإن المقتول يظل طريحاً، ولاتقدم الذئاب على أكله، ولكن الدراسات تشير إلى أن الذئبة قد تستغني عن الذئب صاحبها، وتهاجمه، إذا كان هناك ما هو أقوى منه، ولكن ذلك الهجوم لا يصل أيضاً إلى حد القتل، فالأكل^(١). مع أن هناك من لاحظ أكل الذئاب بعضها، إذا جُرحت، أو كانت قد أعيقت^(٢).

أما التراث العربي، فهو يؤكد هذه الناحية، حتى صُربت فيها الأمثال، فمن ذلك قول مغلس بن لقيط مؤكداً أكل الذئاب بعضها:

إذا هن لم يَلْحَسَن من ذي قرابة دماً هَلِست أجسادها ولحومها^(٣)
وقول العجاج، مشيراً إلى استغناء الذئبة عن صاحبها والاعتداء عليه:
فلا تكوني يا ابنة الأثمِّ وِرْقَاءَ دَمَى ذئبها المَدْمَى^(٤)

(١) Harrington and Paquet, Wolf of the World, pp. 302-303; L. Halls Robert & Henry S. Sharp, Wolf and Man (New York: Academic press, 1978) pp. 203

(٢) Mech, The Wolf, p. 180

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٣٧٩. هلست: سلّت وهزلت.

(٤) الأصبهاني، الدرّة الفاخرة، ج ١، ص ٣٠٨.

ونسبه أبو عبيد، عبدالله بن عبدالعزیز البكري، التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٤هـ/١٩٢٦م) ص ٣٦، إلى العجاج. الوراق: الذئبة.

أما عن الذئبة والذئب، فقالوا:
"أعق من ذئبة".

لأنها تكون مع ذئبها، فيرمى، فإذا رآته قد دمي، شدت عليه، فأكلته^(١).
ولكن هذا الأمر مختلف عليه أيضاً، فالبكري يورد رواية القاضي:
إني رأيتك كالورقاء يوحشها قُرب الأليف وتغشاه إذا نُجرا
ثم يقول: قال:

"الورقاء: ذئبة تنفر من الذئب وهو حي، وتغشاه إذا رأت به الدم".
وهو يعلق على هذه الرواية، فيقول:
"لا أعلم أحداً أنشد هذا البيت إلا أبا علي".
ورأيه أن:

"التفسير الذي ذكره خلاف المعهود في ذكران الحيوان وإنائه".
ويتساءل:

"وكيف يسمى أليفاً من يوحش قربه؟ وإنما الأليف من يوحش بعده، ويؤنس قربه".
ويجيب عن هذا التساؤل مصححاً ذلك التفسير، فيقول:
"المحفوظ في هذا ما رواه ثعلب عن ابن الأعرابي عن أبي المكارم - رحمه الله:
أن الذئب إذا رأت ذئباً قد عُقِر، وظهر دمه، أكبت عليه، تقطعه، وتمزقه،
وأنشاه معها، تصنع كصنيعها"^(٢).

وهكذا تكررت أقوالهم، مثل الذي يورده الجاحظ:
"الذئب لا يطمع فيه صاحبه، فإذا دمي، وثب عليه صاحبه، فأكله"^(٣).

(١) الأصبهاني، الدرر الفاخرة، ج ١، ص ٣٠٨.

(٢) البكري، التنبيه على أوام أبي علي القاضي في أماليه، ص ٣٦.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج ٧، ص ٦٣.

وكذلك:

"والذئب الضعيف من ذئاب الخمر، يكون مع الذئب الضعيف من ذئاب البراري، فيصيب القوي خدش يسير، فحين يشم ذلك الذئب الضعيف رائحة الدم، وثب عليه، فيعتري ذلك القوي عند ذلك من الضعف بمقدار ما يعتري الضعيف من القوة، حتى يأكله كيف شاء"^(١).

ويذكر حمزة الأصبهاني خبراً طريفاً، يكشف عن حيلة يلجأ إليها الإنسان، إذا ما صادفته ذئب، إذ يقوم بمحاولة جرح إحداها - وهو الاعتقاد أن الذئب المجروح تأكله الذئاب أصحابه - فتتشغل الذئاب بالذئب المجروح عنه، فيأتي بالمثل: "الأم من الذئب".

ثم يورد خيرتهم في ذلك، فيقول:

قالوا:

ومن تمام لومه أنه ربما تعرض للإنسان منهما اثنان، فتسانداً، وأقبلا عليه إقبالاً واحداً، فإن أدمى الإنسان واحداً من الذئبين، وثب الذئب الآخر على الذئب المدمى، فمزقه، وأكله، وترك الإنسان".

ويورد شاهداً شعرياً على ذلك، وهو قول الفرزدق:

وأنتَ كذئب السوء لما رأى دماً بصاحبه يوماً أحال على الدم

ويشرح جملة: "أحال على الدم"، أنها تعني: أقبل عليه.

ويواصل الأصبهاني نقله لما راج عن أكل الذئب صاحبه، فيقول:

قالوا:

"فليس في خلق الله ألأم من هذه البهيمة، إذا يحدث لها عند رؤية الدم بمجانسها

الطمع فيه، ثم يحدث لها ذلك الطبع قوة تعدو بها على الآخر"^(٢).

(١) المصدر نفسه، ص ١٤٣.

(٢) الأصبهاني، الدرر الفاخرة، ج ١، ص ٣٠٧. وانظر، الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج ٢، ص ١٨٧.

يقول ابن فضل الله العمري :

"عند اجتماعها لا ينفرد أحدهم ؛ لأنه لا يأمن نفسه منها. وإذا أصاب أحدها جراحة أو ضربة، علمت أنه قد ضعف، فاجتمعت، وأكلته... وإذا نامت الذئاب، واجه بعضها بعضاً، وتنام حلقة حتى ينظر أحدها إلى الآخر"^(١).

وإذا مرض، انفرد عن الذئاب، لعلمه أنها إن أحست بمرضه، أكلته"^(٢).

يقول بشر بن المعتمر، عن أكل الذئاب بعضها إذا ما جرحت :

كَأذُوبٍ تَنْهَسُهَا أَذُوبٌ^(٣) لَهَا عُوَاءٌ وَلَهَا زَفْرٌ^(٤)

وهكذا، قال الكميّ بن معروف الأسدي :

وما أنا للمولى بذئب إذا رأى له غيرةً أدلى مع التذئب^(٥)

وقول ثابت قطنه :

ما كنتَ إلا كذئب السوء عارضه أخوه يدمى ففرى جلدَه قِدا^(٦)

ومع أن العلم حتى الآن لا يثبت هذه الظاهرة أبداً، وإن قال بها أحد الصيادين

الغريبين في الوقت الحاضر شفوياً، مع تضارب في الآراء حول هذه النتيجة^(٧)، فإنه من

(١) العمري، مسالك الأبصار وعمالك الأمصار، ص ٥٧. لا ينفرد: أي يتعدد بعيداً.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) النهس: الانتزاع بالثنايا.

(٤) ابن منظور، اللسان، "ريح". الزفر: الزفير، عكس الشهيق.

(٥) حاتم صالح الضامن، شعراء مقلون، (بيروت: عالم الكتب، ط ١، ١٤٠٧/١٩٨٧م) ص ١٥٦.

(٦) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٤، ص ٢٥٧.

(٧) فمثلاً لا يثبت ذلك: Jim Brandenburg, The White Wolfe, (Scotland: James S. Thorton 1992, pp.22.

72. ويتشك فيه: Mech, The Wolf, p. 180 إلا أن س. ط. نياحة الحيوان، إعداد: عبداللطيف شرارة

(بيروت: دار ابن زيدون، ط ١، ١٩٩٠م) ص ٢٥٧، ٢٦١، يشبهه، وسبق أن مر ذكر هذا عند

الحديث عن أكل الذئاب لحوم بعضها.

المحتمل جداً ألا تكون هذه هي الذئاب المعروفة، وإنما هي ظاهرة، ربما حدثت مع الضباع، كما ذكرنا ذلك، والتي قد تختلط بالذئاب.

ولقائل أن يقول: إن الملاحظات العربية قد تكون صحيحة، إذا كنا نظن أنه وجد ذات يوم الذئب ذو الشعر الطويل في الجزيرة العربية، وأن بعض مناطق الجزيرة العربية كان عامراً بالغابات العشبية، أو الأحراش الجافة، وأن هذا الذئب— وإن كان معروفاً عنه أنه مسالم جداً في أمريكا اللاتينية— فإن أقوال الصياد الغربي عن أوضاع الذئاب في تلك المناطق، ربما تنطبق على الذئاب العربية من النوع نفسه، إن وجد. ثم ماذا لو قلنا: إن هذا الذئب هو من نوع ذئب البراري، الذي يمتاز لونه بأنه أحمر في الغالب، والذي ربما كان موجوداً أيضاً، أو أنه الضبع البني... إلخ.

ومهما يكن، فالضباع هي التي تأكل من بني جنسها إذا قتلتها، كما أثبتته العلم. وهي التي تعتدي على الإنسان، أما الذئب، فيميل العلم إلى إثارة الشك حوله.

الاجتماع الجنسي

جاء في نهاية الأرب للنويري عن الذئب:

"وهو يسفد مضطجماً على الأرض، وذكره عَظْم"^(١).

وهذا كلام ليس صحيحاً علمياً في جملة^(٢)، والصحيح قول الأبيشي في المستطرف:

"إذا أراد السفاد، اختفى، ويطول في سفاده كالكلب."

(١) النويري، نهاية الأرب، ج ٩، ص ٢٧١.

(٢) انظر، Mech, The Wolf, pp. 111-114.

وقوله أيضاً:

"ولا يعرف الالتحام عند السفاد إلا في الكلب والذئب"^(١).

أي:

أن الذئبة تقبض على ذكر الذئب، كما تفعل الكلاب، ويطول اجتماعهما على ذلك - مما يعرف بالتعاضل، أي: أن الذكر يهبط من على ظهر الذئبة ويتخالفان، وهي قابضة عليه - وذلك يسبب آلاماً للذئب، وهو مرتبط بها واقفين، غير مضطجعين فترة، وقد يضطجعان حتى الإنزال^(٢).

ولعل مقولة النويري السابقة تفسر لنا ذلك الخلط بين الذئب والضباع، والوشق أو القط البري، فالأخيران هما اللذان يتسافدان مضطجعين. ولا يمكننا أن نستدل من قولهم:

"الذئب السوافد أضم ما يكون وأذهبه، سخنة، وأشده غيره"^(٣).

على الترتيب الطبقي للذئب، كما هو معروف علمياً من سيطرة الذئبين العلويين Alpha Wolf، وهما اللذان يتمكنان من الاتصال جنسياً، ثم يأتي بعدهما الذئب درجات.

ولكن نتيجة هذا الاتصال هو إنجاب الجراء، وقد ذكروا حول ذلك أنه:

"إذا وضعت الذئبة جروها، فإنه يكون حينئذ ملتزق الأعضاء، أمعط، كأنه قطعة لحم، وتعلم الذئب أن الذكر يطالبه، فلا تزال رافعة له بيديها، ومحولة له من مكان إلى مكان حتى تفرج الأعضاء، أو يشتد اللحم"^(٤).

(١) شهاب الدين، محمد بن أحمد أبو الفتح الأبهسي، المستطرف في كل فن مستظرف (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط٢، ١٣٧١هـ/١٩٥٢م)، ج٢، ص١٢٨. وانظر:

Michael Fox, The Soul of the Wolf (Boston: Little, Brown, 1980), p. 20.

(٢) Mech, The Way of the Wolf. P. 91.

(٣) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج١، ص١٨١.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ج٧، ص٦٤.

وبعض الجزء الأول من هذا الوصف صحيح علمياً، وملحوظ حيويًا في مجتمع الذئب، أما الجزء الثاني: "فلا تزال رافعة له بيديها"، فيشير إلى اقتصار إنجاب الذئبة على جرو واحد، في حين أن الذئبة تلد ما بين خمسة إلى ستة أجراء. والجزء الثاني أيضاً: "محوّلة له من مكان إلى مكان..."، والصحيح أيضاً أن الذئبة تغيّر جحورها من مكان إلى مكان، خشية أن يستدل عليه أحد، وكلا الأبوين يتعاونان في تغذية أبنائهما^(١).

الذئب والنار

الذئب نادر الخروج في النهار، ولكن الذئاب تهيج هيجاناً شديداً في الليالي القمرية، ولم يتحدث العلم عن علاقة الذئاب بالنار، ولكن جاء في كتاب قصصي:

أن رجلاً أحاطت به الذئاب، فلم يجد حيلة يتخلص بها منها، إلا بتسليط أشعة مصباح بيده نحو عيونها مباشرة، وكان وهو يفعل ذلك يتراجع خلفاً، حتى نجا منها^(٢).
ولكن قال الجاحظ:

"مر أبو ثعلب الأعرج على وادي السباع، فعرض له سبع، فقال له المُكاري:
لو أمرت غلمانك، فأوقدوا ناراً، وضربوا على الطّسّاس، ففعلوا، فأحجم عنها"^(٣).

ومعنى "السبع" هو الذئب. إذ المعنى ينصرف إلى الأسد أيضاً، غير أن الأسد الذي تخلو منه منطقة وادي السباع (الزبيير)، بالعراق، يهجم على النار^(٤).

(١) Mech, The Wolf , pp. 121-146; Kingdom, Arabian Mammals, p.28 .

(٢) John Pollard, Wolves And Werewoles (London: Robert Hale Ltd., 1988) p. 38.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج ٤، ص ٤٨٥.

(٤) انظر، الأعشى، ديوان الأعشى، ص ٢٤١.

وتذكر قصة "الراعي والناقة والذئب".

أن الذئب هاجم رجلاً، فتخلص منها عندما:

"انتبه فجأة إلى أن الذئب لا تخشى شيئاً كما تخشى النار والنور. وكان معه حجراً مروياً يستخدمهما لإضرام النار، فاستخرجهما من جيبه ونزع غطرتيه (غطاء رأسه) ولف بجزء منها أحد الحجرين ثم فركه بالحجر الآخر فشب شرر وضوء قويان صعقا عيني الذئب المهاجم وجعلاه يرتد مذعوراً إلى الوراء"^(١).

ويذكر بنونة أن الذئب: "يهاب الأنوار ولذلك يعتمد بعض الرعاة لإشعال النار ليلاً لإهابته"^(٢).

والثابت علمياً أن الذئب لا يفزع من النور الخافت (مصباح اليد، مثلاً، إذا كان نوره ضئيلاً)، ولكن الأنوار الساطعة (أشعة آلة التصوير، مثلاً) تستفزه^(٣).

وإذا كان ذلك حقيقة، فلماذا نجد شاعراً مثل المرقش الأكبر يقول:

ولما أضأنا النار عند شوائنا عرانا عليها أطلس اللون بائس^(٤)
 كما نجد الفرزدق، يقول:
 وأطلس عسال وما كان صاحباً دعوت بناري موهناً فأتاني
 فلما دنا قلت ادن دونك إنسي وإياك في زادي لمشتركان
 فبت أسوي الزاد بيني وبينه على ضوء نار تارة ودخان^(٥)

(١) حسن عبدالله، الراعي والناقة والذئب (بيروت: دار الراتب العربي، ط ٣، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ٦٠. غطرتيه: (غترته)، غطاء الرأس.

(٢) محمد عصام حسين بنونة، التعايش، (الرياض: مطبعة نجد، ١٤١٦هـ) ص ٢٠٣.

(٣) Werner Freund, Der Wolfmensch (Kassel: Neumamm - Nendamm, 1988), s. 40.

(٤) الأبياري، شرح ديوان المفضليات، ص ٤٦٦.

(٥) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج ٢، ص ٣٢٩.

ويقول عمرو بن الصعق:

ونارٍ بمومةٍ قليل أنيسها أتاني عليها أطلس اللون بائس^(١)
 فهل نحن أمام حقيقة، أو أنه تصور فني، وتقليد غير متحقق منه، أو أننا في
 الواقع لسنا أمام ذئب، وإنما ضبع، كما مر بنا؟؟؟
 ويقول الخطيئة:

ويمسي الغراب الأعور العين واقعاً مع الذئب يعْتَسَن ناري ومفأدي^(٢)
 ويقول آخر:

يا ربّ ذئبو باسلٍ مقدام مُنْجَرِدٍ في الليل والإظلام^(٣)
 مُعاود أكل الشاء والأنعام قد ضافني في الليل ذي التمام
 في ليلة دانية الإزرام^(٤) يقرش ما ألقى من العظام^(٥)
 فبات في أمني وفي ذمامي مستدفناً من لهب الضرام^(٦)

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢، ص ١٠٠.

(٢) جرول بن أوس الخطيئة، ديوان الخطيئة، تحقيق: نعمان أمين طه (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط ١، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) ص ١٥٥. مفأدي: ما أختبز وأشوي به.

(٣) منجرد: قصير الشعر.

(٤) الإزرام: شدة الرعد. الضرام: توقد النار.

(٥) يقرش الشيء: يأخذه أولاً بأول.

(٦) عبدالرحمن رأفت الباشا، الصيد عند العرب (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٣٩٤هـ/١٩٧٢م) ص ٢٣٥.

الذئب والإنسان

هجوم الذئب على الإنسان وأكله

ليس في التراث العربي مثل تلك الحكايات الخرافية أو المتصورة عن الإنسان المتشبه بالذئب. ومع ذلك فقد عكس الشعر العربي بصورة خاصة، صورة لنوع من الاستئناس المتوجس بالذئب. وذلك في لقاءات خاصة حين يكون المسافرون سائرين في الصحراء، فيعرضهم الذئب، ويحكون قصة لقاءهم ذلك.

ومن أوائل القصص القديمة التي خلدها الشاعر العربي، قصة المرقش الأكبر، والقصة تحمل مضامين أولية، مهمة، يتجاوزها عنصران هما: الخوف والرغبة، كل خائف من صاحبه: الشاعر خائف من الذئب، والذئب خائف من الشاعر، والرغبة يمثلها اقتراب الذئب من الرجل، ورغبة داخلية عند الشاعر في الاستئناس بالذئب، ولكن ذلك لم يتطور إلى صحبة على الطريق، بل اقتصر على اللقاء ليلاً. ولكنه لم ينتقل، على الأقل، إلى الاعتداء، بل عبّر عن تصالح فيما بينهما، حيث اكتفى الذئب بقطعة اللحم المشوية التي رمى بها المرقش إليه^(١). والوضع نفسه تجده عند عمرو بن الصعق، الذي رمى للذئب قطعة من اللحم، فانصرف بها مسروراً.

(١) الأنباري، شرح المفضليات، ص ص ٤٦٥ - ٤٦٦ .

وتبلغ الأثرة بالشاعر العربي إلى أن يحكى تأبط شراً عن ابن عمه:

لَطِيفُ الْحَوَايَا يَنْسِمُ الرَّأْدَ بَيْنَهُ سَوَاءً وَبَيْنَ الذَّئْبِ قَسَمَ الْمُشَارِكِ^(١)

وفي قصيدة امرئ القيس^(٢)، استخدم لفظه: "أخ"، وهي لا تعني القرابة الاجتماعية بالذئب؛ لأن بقية الأبيات لا زالت تعكس المفهومين السابقين: الخوف والرغبة. ولكنها عكست حالاً أخرى هي الحالة النفسية التي تجمع الاثنين، وإن كنا نلاحظ هنا أن عامل الخوف من جانب الذئب كان أشد منه عند الإنسان، فقد أبدى الإنسان رغبته في تحويل الأخوة النفسية إلى أخوة اجتماعية، ولكن الذئب أبدى شكّه في صدق هذه الأخوة لاختلاف الطبيعتين: البشرية والحيوانية السبعية. وفي ضوء تلك الوقائع تتضاءل تلك الموروثات الاجتماعية الشائعة عن الطبيعة الشريرة للذئب عند الإنسان. فجويرية الفزاري يستخدم لفظي: "نسب" و"شعب"، وهي إشارة حقيقية إلى تراسل الأحاسيس بين الإنسان العربي في صحرائه والذئب العربي في صحرائه، بيد أن الاختلاف بين الطبيعتين يظل قائماً، وهو ما عبّر عنه، فقال:

وَيَغْيِرُ مَعْرِفَةَ وَلَا نَسَبَ إِنْ شَعْبَكَ لَيْسَ مِنْ شَعْبِ^(٣)

أما الفرزدق، فاستخدم حالة صحبة للدلالة على أن العلاقة مؤقتة:

تَعَشُّ فَإِنْ وَأَثَقْتَنِي لَا تَخَوُّنَنِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذئْبُ يَصْطَحِبَانِ^(٤)

وفي قصيدة تأبط شراً تأخذ تلك العلاقة النفسية في التعمق شيئاً ما، فثابت

(١) أبو جعفر، قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى (القاهرة: مطابع الرجوي، ط ٣،

١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ص ٨٨. الحوايا: جمع الحوية، وهي ما تحوي من الأعماء.

(٢) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص ص ٣٦٣ - ٣٦٤.

(٣) المعري، رسالة الصاهل والشاحج، ص ص ١٢٦ - ١٢٨.

(٤) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج ٢، ص ٣٢٩.

(تأبط شراً) فقير معدم، والذئب يوصف بالفقر، ولذلك قال:

وقلت له لماعوى إن ثابتاً قليلُ الغنى إن كنتَ لَمَّا تَمَوَّلُ
كلانا إذا ما نال شيئاً أضاعه ومن يحترث حرثي وحرثك يُهزَلُ^(١)

ومع ما أشيع عن اعتداء الذئب على الإنسان،^(٢) فإننا لم نصادف حتى الآن أية حالة تدل على هذا، حتى إن الملاحظات العلمية فيما يخص الذئب العربي أنه نادراً ما يهاجم الإنسان^(٣)، أي: أن هجومه - إن وقع - يدافع الضرورة أو حالة ما. بل إن قصة أبي كبير الهذلي^(٤) تكشف عن خوف الذئبة منه وفرارها عنه. وإضافة إلى هذا لم نجد في أبيات غيلان بن سلمة أية إشارة إلى خوفه من هجوم الذئب عليه، على الرغم من أن الذئب كان شديد الجوع لقوله: "يعوي بقفرتة"، فغيلان بات في تلك الفلاة، والذئب حوله يعوي، يورقه من شدة عوائه، فلم ينم تلك الليلة، ليس خوفاً، وإنما نتيجة الضجيج الذي يحدته ذلك العواء، فيقول:

قَدِ (بُهُ) وَهْنًا وَأَرْقَنِي ذئب الفلاة كأنه جَدَلٌ^(٥)

وهم يشيرون إلى أن الذئب كان يهرب منهم إذا صاحوا عليه: "يعاط يعاط"،

كما ذكر لك الراجز:

تهفو إذا قيل له يعاط^(٦).

(١) تأبط شراً، ديوان تأبط شراً، ص ١٨٢-١٨٥. من يحترث حرثي وحرثك يهزل: أي من يطلب مني ومنك شيئاً لم يدرك مراده.

(٢) Freund, Der Wolfsmensch, s. 68.

Britta Samson Rothausen, Samson Unser Wolf (Hannover: Handbuch Velerag, 1979), s. 27.

(٣) Harrison & Bates, The Mammals of Arabia, P. 116.

(٤) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج ٣، ص ١٠٧٦-١٠٧٧.

(٥) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٣٧٨. الرواية الصحيحة: "قد بهت"، لأن قبله: "ومعرس". وهناً: ليلاً.

(٦) الزبيدي، التاج، "يعط".

ويقال: زجر الذئب، فما أُنحأ لجزره^(١).

ويقولون: جه جه، تسكين للذئب^(٢).

ولم يصرح الأعرابي^(٣) الذي ربى ذئباً بأن من طباعه افتراس الناس، وإنما من طباعه افتراس الغنم.

وقد خالف حميد بن ثور الهلالي ما عُرف عن الكرم العربي الذي عبّرت عنه مجموعة من الشعراء، فقد أكل وحده والذئب ينظر إليه جائعاً. ومع ذلك ظل الذئب بالقرب من حميد ولم يعتد عليه، يقول:

وَنِمْتُ كَنُومِ الذَّئْبِ عَنِ ذِي حَفِيظَةٍ أَكَلْتُ طَعَاماً دُونَهُ وَهُوَ جَائِعٌ^(٤)

وكان كعب بن زهير أكثر واقعية من حميد بن ثور، إذ لم يفرط فيما لديه من أكل في سفره، ولكنه وعد بأنه سوف يترك شيئاً للذئب والغراب بعد أن يرحل:

أَغَارَا عَلَيَّ مَا خَيْلْتُ وَكَلَاهُمَا سَيْخِلْفُهُ مَنِي الَّذِي كَانَ يَأْمُلُ^(٥)

أما الأخطل، فكان يطرح شيئاً مما لديه للذئب والغراب، ومع ذلك، فإنه كان يستشعر الخوف من منظرهما^(٦). وأما كثير^(٧)، فلم يجربنا عما فعل مع الذئب، وكذلك ذو الرمة^(٨) في رائيته، ولكن الفرزدق المشهور بفخره بالمآثر القديمة، يبيّن

(١) المصدر نفسه، "حاش".

(٢) المصدر نفسه، "جهجه".

(٣) العسكري، الجمهرة، ج ٢، ص ٢٠.

(٤) الهلالي، ديوان حميد بن ثور، حاشية ص ١٠٥، وهي الرواية المناسبة.

(٥) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ٥٢. على ما خيلت: على ما ظنا الحصول عليه.

(٦) الأخطل، شعر الأخطل، ج ١، ص ص ٢٩٤-٢٩٥.

(٧) كثير عزة، ديوان كثير عزة، ص ص ٣٦١-٣٦٢.

(٨) ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ج ٣، ص ص ١٦٨٥-١٦٩١.

احترام العربي القديم لمن يستضيفه. فهذا الذئب أضافه ليلاً، وقد استقبله، على الرغم مما أشيع عنه من الغدر والفتك، فقال:

ولو غيرنا تَبَهَّتْ تلتمس القرى أذاك بسهم أو شبابة سنان^(١)
وقال كذلك في موضع آخر:

فقسامته نصفين بيني وبينه بقية زادي والركائب نعس^(٢)
ولا بد من ملاحظة أن الفرزدق ينص على الضيافة، فقد قال:
"القرى"، وقال أيضاً: "ضافنا".

وحين قال الخطيبة:

والذئب يطرقنا في كل منزلة عدو القرينين في آثارنا حبياً^(٣)
إنما يتفق مع قول جيهاء الأشجعي:

يعتس منزلهن أطلس جائع طيان يئلف ماله ويضيع^(٤)

فكلاهما يقدم صورة مسالمة للذئب، فهو يتضور جوعاً، يبحث عن بقايا طعام، يتبعهم "في كل منزلة"، وفي مبارك الإبل "منزلهن"، ولم يؤذ لا هؤلاء ولا تلك.

وفي أبيات كعب بن زهير صورة تجعل الذئب طيب السريرة، ويخشى من الإنسان الخوف والفتك؛ إذ عبر عن رغبة الذئب في التعامل الحسن مع الإنسان، حتى

(١) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج ٢، ص ٣٢٩. القرى: الطعام، شابة: حد.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٨٧. الركائب: الإبل.

(٣) الخطيبة، ديوان الخطيبة، ص ١٢٢. القرينان: مثنى القرين، وهو البعير المقرون بأخر. الحذب: نوع من

السير.

(٤) ابن جعفر، نقد الشعر، ص ٣٥. طيان: جائع لم يأكل، قد طوى بطنه.

وصفه بأنه: "جاهل أو مضلل"، لأن الإنسان مستعد للفتك به، إذ بين خوفه الشديد من مجرد منظره، ولذلك تهيأ لرميه بنباله، فقال:

يُحِبُّ دُئُوَ الْإِنْسِ مِنْهُ وَمَا بِهِ إِلَى أَحَدٍ يَوْمًا مِنَ الْإِنْسِ مَنْزِلَ
تَقَرَّبَ حَتَّى قَلْتُ لَمْ يَدُنْ هَكَذَا مِنَ الْإِنْسِ إِلَّا جَاهِلٌ أَوْ مُضِلٌّ
مَدَى النَّبْلِ تَغْشَانِي إِذَا مَا زَجَرْتَهُ قَشْعِرِيْرَةٌ مِنْ وَجْهِهِ وَهُوَ مَقْبِلٌ
وَفِي مَحَاوِرَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الذَّئْبِ وَالغُرَابِ، يَبَيِّنُ كَعَبَ أَنْهُمَا كَاتِنَانِ مُسْلِمَانِ،
هَدَفَهُمَا الْحَصُولَ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ طَعَامٍ، يَقُولُ:

إِذَا حَضْرَانِي قَلْتُ لَوْ تَعَلَّمَانِيهِ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي مِنَ الزَّادِ مُرْمِلٌ^(١)

وتكاد آيات الكميت التي يصف فيها ذئباً لقيه تجمع بين الخصلتين: الكرم العربي، وطيب السريرة من الذئب، فلم يستخدم في آياته أية عبارة تنم عن الشر من ناحية الذئب، بل قال: إن الذئب يعاني، ويقاسي من هذه الصحراء، حتى إنه من شدة جوعه وألمه كاد يتكلم، فقال:

تَضَوَّرُ يَشْكُو مَا بِهِ مِنْ خِصَاصَةٍ وَكَادَ مِنَ الْإِفْصَاحِ بِالشُّكُوِّ يُعْرِبُ^(٢)

ولكننا نصادف صورة أخرى، نجد فيها أحد الذئاب يستعد للهجوم على الإنسان، وهي صورة لم تثبتها الدراسات الميدانية في الصحراء عن الذئب العربي، إلا أن التراث الأدبي الشعبي المعاصر يؤكد هذا الوضع^(٣). وإذا كان التراث الأدبي والشعبي يؤكد ذلك، فإن الدراسات الحديثة تفسره بأنه راجع إلى حالة مرضية تتعرض لها الذئاب، إذ ليس من طبيعتها كما تقول تلك الدراسات الهجوم على البشر، كما

(١) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ٥١. حضرائي: دنوا مني. المرمل: الذي نقص زاده.

(٢) الأسدي، شعر الكميت، ج ١، ص ٨٦. تضور: تألم. الخصاص: الجوع.

(٣) غازي مهنا الشيباني، من وحي البادية (الكويت: مطابع الماضي، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م) ج ١، ص ٩٢.

ترجع ذلك أيضاً إلى ما تأصل عند الإنسان من خوف من الذئب لمنظره المفزع، ولاعتدائه على الحيوانات التي يمتلكها في مزارعه وحظائره^(١).

وقد مر بنا ما يشاع عن اقتراب الذئب من النار، مما يرسم صورة مسالمة، مناقضة لتلك المرويّات التي تجعل الذئب - أي ذئب - يتهاى لافتراس الإنسان. وصور مرور الشعراء بالذئاب في الصحراء، تتعاوى حول المياه الطامية، كثيرة جداً، لا تخلو منها قصيدة رحلة تقريباً، فامرؤ القيس يقول:

في تَقْنَفِ طامس الأعلام ليس به إلا ذُوَالَةُ طاوٍ كَشْحُه جُنْبٌ^(٢)

ومع ذلك، فهو القائل، يشبه مشتار العسل بالذئب:

حتى أُتْبِحَ لأَخْذِهِ ذُو رُجْلَةٍ كالذئب لا يدنو إلى إنس^(٣)

أمر غريب حقاً!

يقول النويري:

"الذئب لا يواجه الإنسان، وإنما يأتيه من ورائه، فإن وجد الإنسان ما يسند ظهره إليه، عجز الذئب عن افتراسه"^(٤).

وينقل الجاحظ صورة للطريقة التي يحتال فيها الذئب لافتراس الإنسان، كما

يقول، وهي:

"إنما يكون الإنسان من مصايد الذئب إذا لقيه والأرض ثلجاء، فإنه عند ذلك يحفش وجه الأرض ويجمعه ويضرب وجه الرجل فارساً كان أو راجلاً. قال: ودقاق

(١) Laurence, Der Ruf der Wolfe, ss. 66 - 78. David E. Brown, The Wolf in The Southeast Arizona: (١)

(The Univ. of Arizona, press, 1983). 147 - 153.

(٢) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص ٣٠٣. النسنف: الصحراء الخالية. الأعلام: المنار والعلامات.

الطاوي: الجائع. الكشح: الخاصرة. جنب: غريب. ذؤالة: الذئب.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٣. ذورجلة: الراجل من الرجال.

(٤) النويري، نهاية الأرب، ج ٩، ص ٢٧٢.

الثلج وغباره إذا صك وجه الفارس، سدر واسترخى وتحير بصره، فإذا رأى ما قد حَلَّ به، فرمما بعج بطن الدابة، وربما عضها، فيقبض على الفارس، فيصرعه ولا حراك به، فيأكله كيف شاء، إلا أن يكون الفارس مجرباً ماهراً، فيشد عليه عند ذلك بالسلاح، وهو في ذلك يسير ويقطع المفازة، ولا يدعه حينئذ يتمكن من النفر عليه^(١).

وليس من الواضح ما يقصده دثار بن شيبان الغمري بقوله:

يبيت الذئب والغُثواء ضيفاً لنا بالليل بئس الضائفان
أمارس منهم ليلاً طويلاً أهجج عن بُنيٍّ وَيَعْرُوَانِي^(٢)

أي قصد دثار أن الذئب والضبع سيهجمان على بنيه أم أنهما - وقد ضافاه -

جاءا يبحثان عن طعام لا يجده هو نفسه في منزله؟

أما الحالة المرضية، فقد ذكرها العرب، وهي تعرض الذئب إلى داء الكلب، يقولون في تعريفه:

"الكلبي، جمع كلب: وأصل الكلب أن يأكل الذئب أو الكلب من لحوم الناس، أو يشرب من دمائهم، فيضري على الناس، فإذا عضّ ذلك الكلب أو الذئب إنساناً، كَلَبَ، فينبج الإنسان. ويقال: إنه ربما عولج، فُبْرئ، فخرج من إحليله جِراءٌ بُلِقٌ"^(٣).

وذكروا على ذلك شاهداً قول أحدهم:

لقد ساءني والله وِقَاكَ شَرُّهَا نَفَارُكَ مِنْهَا حِينَ جَاءَ يَقُودُهَا
فَأَخْرَجَ بَعْدَ اللَّهِ أَوْلَادَ زَارِعٍ مُخْضَرَّةَ الْأَقْرَابِ بُعْعًا جَلُودَهَا^(٤)

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٧، ص ٢٥٢.

(٢) الأصفهاني، الأغاني، ج ٢، ص ١٥٩. الغثواء: يعروان: يأتیان.

(٣) الأبياري، شرح ديوان المفضلين، ص ٣٤٥.

(٤) المصدر السابق. أولاد زارع: الكلاب.

وفي تفسير آخر قالوا:

"الكلب: الذي قد عضه الكلب الكلب، أو الذئب الكلب، فيخبله، حتى يبول أمثال الذر على خلقة الجراء"^(١).

وربما وجد المرء تناقضاً في التصور، إذ إن العرب - كما العلم - يؤكدون أن الكلب، يهاجم الإنسان، فيعديه بدائه، ولكنهم في المقابل يعتقدون أن الكلب، إذا سقى دم الشريف، نجا وسلم. يقول الكميث:

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم يشفى بها الكلب^(٢)

ويقول عوف بن الأحوص الكلابي:

أو العنقاء ثعلبة بن عمرو دماء القوم للكلبي شفاء^(٣)

وهذه أمور لا تستقيم علمياً، وربما عاد الاعتقاد بها إلى نواح أسطورية طقسية تتعلق بالدم نفسه^(٤).

ففي إحدى الأراجيز ما يبين استعداد الراجز لقتال الذئب، حيث امتشط قوسه وسهامه للقضاء عليه، ولذلك يقول:

لما لقينا بالفلاة أوسا

لم أذع إلا أسهماً وقوسا^(٥)

(١) أبو عبيدة، معمر بن المثنى، النقائض، تحقيق أ.أ. بيفان (لايدن: مطبعة بريل، ١٩٠٥م) ج١، ص ١٣٢.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الأثري، شرح ديوان المفضليات، ص ٣٤٥.

(٤) انظر، فضل بن عمار العماري، الدم المقدس عند العرب (الرياض: مكتبة التوبة، ط١، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ص ص ٥٩-٦٦.

(٥) ابن منظور، اللسان، "أوس".

وفي أبيات الفرزدق نص على أن الغدر صفة لازمة للذئب.

فقال :

وأنتَ امرؤٌ يا ذئبُ والغدرُ كتُّما أُخَيِّتِنِ كانا أرضِعا بليان^(١)

وقال كذلك :

ولو أنه إذا جاءنا كان دانياً لألبستَه لو أنه كان يلبَس^(٢)

ولكن، هل يعني ذلك أن (الذئب) كان يريد الهجوم على الإنسان، أم أن الخوف نفسه هو الذي دفع بالإنسان إلى التهيب والاستعداد؟ فعبداً بن ربيع كان يتوهم أن الذئب أراد الهجوم على الإنسان وافتراسه، ولذلك سَلَّ سيفه، وأقبل عليه :

فلما رأني قد حَسِيت لقتله مبارزة واشتد بالسيف ساعدي^(٣)

وهذا أسماء بن خارجة يتصور الموقف نفسه، فيقول :

ورأيت حقاً أن أضيِّفه إذ رام سلَيمي وأتقى حربي^(٤)

فكلا الشاعرين اتخذ موقفاً مسبقاً من الذئب، وهو المواجهة القتالية، فلما تبيننا أن ظنهما غير صحيح، هدأت مخاوفهما، وعادا مسالمين، كما الذئب مسالم معهما. والموقف نفسه مع الطرماح الذي فصل في بيان سلاحه، والسلاح المشهور المذكور لديهم كثيراً في مثل هذه الحالة هو القوس والسهم، وقد "أحزأل" الذئب، أي: وقف بعيداً متهيئاً. ويبدو أن الموقف بين الاثنين كان موقف توتر شديد.

(١) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج ٢، ص ٣٢٩.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٨٧.

(٣) ياقوت، معجم البلدان، "بتيلة". حنست: لزمت وسط المعركة شجاعة.

(٤) الزبيدي، التاج، "ضيف". أضيِّفه: أي أؤمنه وأسأله.

ومراقبة مستمرة؛ لأن الطرماح لازمه وتهدهه بالأا يعوي حتى لا يجتمع عليه الذئاب، فقال:

فَأَلْقَيْتُ رَحْلِي وَاخْزَالَ كَأَنَّهُ شَفَا مُجْنَحٌ فِي مَنْحَاهِ ضُجُوعٌ^(١)
 فقلتُ تعلم يا ذُوَالَ ولا تُخَنِّ ولا تُخَنِّع لليل وهو خَنُوعٌ^(٢)
 ولا تُعَوِّ واستخِرْزْ وإن تُعَوِّعِيَّةُ تُصَادِفُ قِرَى الظلِّماء وهو شِيعٌ^(٣)
 ولم يتوقف الاستعداد على المجابهة دفاعاً عن النفس، بل إن أعرابياً جرَّد نبهه،
 فرمى به الذئب، لإحساسه بأنه سوف يفترس إحدى نياقه، فقال:

أقول له والنَّيْلُ تَكْوِي إهابه^(٤)

وقد حاول ذو الخرق الطهوي أن يقتل الذئب، ولكنه لم يصبه، ولعل ذلك يعود إلى خوف ذي الخرق نفسه من الاقتراب من الذئب، ولعل مما يدل على ذلك عبارة: "أوهنت ساقِي"، ربما لارتجافه وفزعه، فلم يصبَّ سهامه جيداً:

وهاتفَةٌ لأَطْرَيْهَا حَفِيفٌ وَزُرْقٌ فِي مُرْكَبَةٍ دِقَاقِ
 فلو أني رميتك من قريب لعاقك عن دعاء الذئب عاقِ
 ولكنني رَمَيْتُكَ مِنْ بَعِيدٍ فلم أفعل وقد أوهنتُ ساقِي^(٥)

أما المرة الأولى التي نجد فيها نوعاً من المجابهة المباشرة، فهي قصة مالك بن الربيب الذي يقتل الذئب حقيقة، ومالك معروف بشجاعته وفتكه، إذ يقول: إن

(١) شفا: حدّ. مجنح: مائل. الضجوع: الميل والاختفاض.

(٢) ذُوَالَ: ترخيم ذؤالة أي الذئب. تعلم: اعلم. الخنوع: الغادر. لا تخنح: لا تثق به، وكن منه على شك وريبة.

(٣) ابن حكيم، ديوان الطرماح، ص ١٨٩-١٩٠ استحرز: استحصن. القرى: طعام الضيف وهو يريد به السهم، القاتل الذي يهدد به الذئب. الظلِّماء: الليل المظلم.

(٤) ياقوت، معجم البلدان، "دائرة واسط". إهابه: جلده.

(٥) ثعلب، مجالس ثعلب، ج ٢، ص ١٥٤. هاتفه: مصوِّنة. أطراها: أطرا القوس منحناها. زرق: الأسته.

الذئب حاول الاعتداء عليه، فحاول أن يطرده، ولكنه عاود الكرة مرات للهجوم عليه، ولما يئس من طرده، علاه بسيفه، فقتله^(١).

وبيّن البيتان التاليان المشاعر المختلفة السابقة والاعتقاد السالف، فهذا رجل من عبد شمس بن سعد يقول:

تضَيِّفُنِي وَهنا فقلت أسابقي إلى الزاد شُلْتُ من يَدَيَّ الأصابع؟
فلم تَلقِ للسعدي ضيفاً بقفرة من الأرض إلا وهو عُريان جائع^(٢)

يعني: أن الضيف لا يتضيف أحداً في الأرض القفر، والذئب إذا استضاف السعدي، جاع، فلا يأكل من لحمه إذا افترسه، وذلك لشجاعة السعدي.

ويُدعي العارم أن الذئب جاءه ليأكله وأبناءه، فيقول:

تَسَدَى بِلِيل يَتَغِينِي وَصَبِيَّتِي لِيَأْكُنِي وَالْأَرْضُ قَفْرٌ بِلَاقِعٍ^(٣)

ويقول الفرزدق في المعنى نفسه، وهو يمدح الوليد بن عبد الملك، وكيف أن

الجَدْبَ قَذَفَ بِالذَّنَابِ الْجَائِعَةِ إِلَى مَوَائِبَةِ الْعِيَالِ:

وَكَمْ مِنْ مَنَادٍ وَالشَّرِيفَانَ دُونَهُ إِلَى اللَّهِ تَشْكِي لِلْوَلِيدِ مَفَاقِرَهُ^(٤)

إلى أن يقول:

يَبِيتُ يِرَامِي الذَّئْبَ دُونَ عِيَالِهِ وَلَوْ مَاتَ لَمْ يَشْبَعِ عَنِ الْعِظْمِ طَائِرَهُ^(٥)

(١) الأصفهاني، الأغاني، ج ٢٢، ص ٣١٥-٣١٦.

(٢) أبو عثمان، سعيد بن هارون، الأشئناناني، معاني الشعر، تقديم: صلاح المنجد (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٤م) ص ١٦.

(٣) الزبيدي، التاج، "بلقع". تسدى: علا ويرز.

(٤) الشريهان: أراد بهما الشَّريف والشرف موضعين بنجد. مفاقره: وجوه فقره؛ وقيل: هو جمع فقر، على غير قياس.

(٥) ديوان الفرزدق، ج ١، ص ٣٤٨.

يرامي: ينظر. لم يشبع عن العظم طائره: لم يجد الطائر لحماً على عظمه يأكله، لشدة هزاله.

وهكذا، يقال: ذئب عدوان يعدو على الناس^(١).

وقد اتفقوا على أن:

"الذئب أشد السباع مطالبة، وإذا عجز، عوى عواء استغاثة، فتسامعت

الذئاب، فأقبلت حتى تجتمع على الإنسان، فتأكله"^(٢).

وفي هذا يقول قائلهم:

بل كنت كالذئب رأى عجزه فاستنجد الذؤبان واستنفر^(٣)

ولكنهم يعدون، فيجعلون الاجتماع على الذئب الهارب، وليس على

الإنسان، فيقولون في عبارات ماثلة:

"إذا جاع، عوى، فتجتمع الذئاب حوله، فمن هرب منها، أكلوه".

كما أضافوا:

"إذا خاف منه الإنسان، طمع فيه"^(٤).

ثم إنهم بعد ذلك خصصوا الذئاب التي تعتدي على الناس في نوع واحد منها،

وصفوه بقولهم:

"ما خبث من الذئاب، وفسد أصله، أكل الناس، وسائرها لا تأكل"^(٥).

ثم جاء البحري، فبين سبباً قد يكون مقبولاً، فيما روي عن اعتداء الذئب

على الإنسان، وذلك مناقضة لكل التقارير العلمية عن الذئب في حالة مرضية - وهو

(١) ابن منظور، اللسان، "عدا".

(٢) أبو محمد، عبدالله بن مسلم، ابن قتيبة، عيوان الأخبار، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م) ج٢، ص ٩٧.

(٣) أبو الفتح بن الحسن كشاجم، كشاجم، المصايد والمطارد، تحقيق: محمد أسعد طلس (بغداد: دار المعرفة، ١٩٥٤م) ص ١٠٤.

(٤) الأيشي، المستطرف، ج٢، ص ١٢٨.

(٥) العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ص ٥٩.

أن الجوع كان الدافع الرئيس لتلك الحالات، فإذا كان جميع الشعراء، قد أفادونا أنهم إما أن يواجهوا الذئب بالاستعداد أو الهجوم فالقتل، وإلا فإن خطر مداومة الذئب لهم واردة، فإن البحري هو الشاعر الوحيد - بل الإنسان الوحيد في كل المرويّات التي تجمعت حتى الآن، سواء في التراث العربي أو في غير التراث العربي - الذي أخبرنا أنه أكل جزءاً من الذئب، على الرغم من أن التحقيقات الإخبارية الأخرى في بعض المناطق العالمية تقول إن رائحة لحمه كريهة جداً، وهو ما وصفه البحري بـ "خسيساً"، ولم يأخذ بقية لحمه معه. ويعلل البحري ذلك بالجوع، فإما أن يأكل ما يسد به جوع، وإما أن يهلك في تلك البيداء. فإذا كان هذا هو وضع الإنسان في الصحراء العربية، فمن الأولى بالوحش المفترس، إذن، أن يفعل الشيء نفسه، خاصة أن البحري ليس مثل بقية الشعراء الذي قالوا: إنهم كانوا يرمون للذئب بشيء من الأكل، فيقتنع به ويمضي.

يقول البحري^(١):

سما لي وبني من شِدَّة الجوع ما به بيِّداء لم تُعرَف بها عِشِيَّة رَغْد
يقول بعد قتله:

وَقُمْتُ فَجَمَعْتُ الحِصَى فاشتَوَيْتُهُ عَلَيَّهِ وللرَّمْضاء من تحته وقد
ونلتُ خَسِيساً منه ثُمَّ تَرَكْتُهُ وأقلَعْتُ عنه وَهُوَ مُنْعَوِرٌ فَرْد

وفي الأبيات كذلك، ناحيتان، الأولى وهي أن هذا اللقاء المميت بينهما، كان في فصل الصيف حيث ترتفع درجة الحرارة ارتفاعاً عالياً، فتحرق كل أثر للحياة، مما يضاعف الإحساس بالموت والحاجة إلى الغذاء، كما قال: "وللرمضاء من تحته وقد". أما الأخرى، فصورة هذا اللقاء بينهما: صورة الذئب وهو منقض على الإنسان في

(١) البحري، ديوان البحري، ج١، صص ١٩٦ - ١٩٧.

سرعة كسرعة البرق، وطريقته في الانتقاض هي أن يعوي وهو متوثب للقتال، وذلك فيما يبدو لمناداة من حوله، ثم يهجم ذلك الهجوم، يقول:

عوى ثم ألقى فارتمزت فهجته فأقبل مثلَ البرق يتبعه الرعد
ثم صورة الإنسان - وهو هنا إنسان ليس أعزل، بل معه سلاح - وهو يواصل رمي نبله، حتى أصاب مكان قلبه، فقتله، يقول:

فأوجرتَه خرقاءَ تحسبُ ريشها على كوكب ينقضُّ والليل مُسودَّ
ثم قوله:

فأتبعْتُها أخرى فأضللت نصلها بحيث يكون اللبُّ والرُعبُ والحقد
ثم يقول:

ونلتُ خسيساً منه ثم تركته وأقلعتُ عنه وهو مُنْعَرٌ فرد

ومن الطريف أن يوجه القدماء اتهاماً إلى البحري، الشاعر العباسي، بسرقة هذه الأبيات الشهيرة في شعره، وأن تنسب إلى عصر أول الإسلام، مما يوحي أنها عادت إلى عصر سابق عليه، وأن رجلاً تصرف هذا التصرف، إما لاعتقاد ما يميز أكل الحيوانات المفترسة، وإما تحت إلحاح الجوع.

فقد ذكر أبو العلاء المعري:

أن هذه الأبيات منسوبة إلى الصحابي، عبدالله بن أنيس الأسدي^(١).

وفي هذا الشك يقول كشاجم:

"وقال أبو عبادَةَ البحري، في قصيدة طويلة. وقد شك فيها أنها له، لقربها من ألفاظ الأوائل ومعانيهم"^(٢).

(١) أبو العلاء المعري، عبث الوليد، تحقيق: ناديا الدولة (دمشق: الشركة المتحدة للتوزيع،

١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ص ٢٦٩ - ٢٩٧.

(٢) كشاجم، المصايد والمطارِد، ص ١٠٧.

وينقل هبة الله المزيدي، صاحب المناقب المزيديّة، تفاصيل هذا الشك على النحو التالي: ^(١)

أخبرنا القاضي أبو المعالي أيضاً بالإسناد المذكور عن ابن دريد عن أبي الحسن أحمد بن محمد العبدى البلاذري، قال: كنت عند أبي المغيث بشر بن علي العجلي في قرية يقال لها: عم بعمق أنطاكية، وكان رئيساً موسراً مثرياً ذا مال، قد حلب الدهر أشطره، ولاقى منه صفاءه وكدره، لا يرد عن مطلب، ولا عن أرب، يتهلل عند السؤال، ويستقل كثير النوال، قد حفّه بنوه كالسيوف مضاء، والشموس ضياء، والليوث صيلاً، والغيوث سجلاً، قد رضعوا الحلم، وفروا عن العلم، صمتهم عن غير عي، ونطقهم يستنزل الأعصم الأبي، كأن أم ذفر مسالمة لمن سالوا، مكاملة لمن كالموا، قد احتوا على البيان، وانصرفت إليهم الفصاحة، يحبون قومهم، ويذكرون مآثرهم، ويتنادمون بحرب بكر وتغلب، ووقعة ذي قار، فأقبل علينا يوماً رجل بدوي كأنه ذو زول حبس، لم يبق منه إلا جلد وعظم، وعليه أطمار قد سملت، فبقي منها السدا دون اللحم، وتحت أبطه مزود من مسك ضب، فقال: السلام عليكم! ومد بها صوته، فقال له العجلي: وعليكم السلام، كن ربيعاً، فقال: ربيعي والله، فقال: وكن عجلياً، قال: أو من أخواتها، قال: من أي أخواتها، قال: من حنيفة، فقال: سيان عليك عجل وحنيفة. من أين أقبلت؟ قال: من تهامة، قال: فعلى أي طريق جئت؟ قال: البرّ البرّ، قال: فما كان طعامك؟ قال: البسيس، قال: وما البسيس؟ فأخرج الزود، فنكته بمحضرة القوم، فإذا فيه دقيق شعير قد لُتّ بالسمن؟ قال: كم أكلت من هذا؟ قال: السفة ^(٢) غدوة ومثلها عند الأصيل، قال: فما خضت السبع؟ قال: أما الليث، فمع عدم الرجوع

(١) أبو البقاء، هبة الله الحلبي المزيدي، المناقب المزيديّة. تحقيق: صالح موسى ومحمد عبدالقادر (عمان):

مطبعة الشرق، ط ١، ١٩٨٤م) ج ١، ص ٣٥٣ - ٣٥٨.

(٢) السفة: من السوق بالضم، أي: حبة وقبضة منه.

لا يكون، قال: فالذئب، قال: قد لقيني واحد وهمّ بي، وهممت به، وقتلته واشتوته
وأكلته، قال: فهل قلت في ذلك شيئاً، قال: نعم! وأنشد:

وليلٍ كأن الصبح في أخريّاته حشاشةٌ نصلِّ صمّ أفرئده غمد^(١)
تسرّيلته والذئب يقظان هاجع بعين ابن ليلٍ ما لها بالكري عهد^(٢)
أثير القطا الكذريّ عن جثمّاته وتألّفني فيه الثعالب والرئد^(٣)
وأطلّس ملء العين يحول زوره وأضلاعه من تحتهن شوى نهد^(٤)
له ذئبٌ مثل الرشاء يجره ومتنّ كمتن القوس أعوج مناد^(٥)
طواه الطوى حتى استمرّ مريره فلم يبق إلا الروح والعظم والجلد
يقضّض عصلاً في أسرتها الردى كقضّضه المقرور أرعده البرد^(٦)
سما لي وبني من شدة الجوع مابه بيناء لم تُعرف بها عيشة رغد
كلانا بها ذئبٌ يحدث نفسه بصاحبه والجِدُّ يُتعبه الجِد
عوى ثم أقمى فارتجزت فهجته فأقبل منه البرق يتبعه الرعد^(٧)
فأوجرته خرقاء تحسب ريشها على كوكب ينقضُّ والليل مُسود^(٨)

(١) أفرند السيف: جوهره ووشيه.

(٢) ابن ليل: أي سار، يعني نفسه.

(٣) الكذري: المائل إلى السواد والغبرة.

الرئد: جمع أريد، وهو الأسد، وقيل: الحية الخبيثة، أو الأسود المنقط بالحمرة.

(٤) الأطلّس: الذئب.

(٥) الرشاء: الحيل. المناد: الموعج.

(٦) يقضّض عصلاً: يصوت بأستان صلبه معوجة. الأسرة: الخطوط. المقرور: الذي أصابه البرد.

(٧) أقمى: جلس على مؤخرته، ارتجز: رفع صوته.

(٨) أوجرته: طعنته. الخرقاء: أراد بها السهام.

فما ازداد إلا جراً وصرامة
فأتبعتها أخرى فأثبتت نصلها
فحَرَ وقد أوزدته متهل الردى
وقمت فجمعت الحصا فاشتويته
ونلت قليلاً منه ثم تركته
فمات وأحياني وقد كنت قبله
لقد حكمت فينا الليالي بحكمها
من الحق أن يصلى الكريم بحرّها
كربني من ضرب القداح على السرى
ليعلم من هاب السرى خشية الردى
وإن عشت محموداً فمثلي حوى الغنى
وإن ميت لم أظفر فليس على امرئ
وأيقنت أن الأمر منه هو الجد
بحيث يكون اللب والرغب والحقد
على ظمأ لو أنه عذب الورد
عليه وللرمضاء من تحته وقد
وأقلعت عنه وهو منعبر فرد^(١)
يذل لي ضرغامه الأسد الورد
وحكم بنات الدهر ليس لها رد
ويأخذ منها صفوها القعدد الوغد^(٢)
فعزمي لا يشبه نحس ولا سعد
بأن قضاء الله ليس له رد
ليكسب مالا أو يثوب له مجد
غدا طالباً إلا الترحل والجهد

قال: ثم رمانا الدهر بسرعة النوى، وتشعبنا أيدي سبأ، وتفرقنا صدوعاً كأننا
لم نجتمع جميعاً، فلم أزل في حل وترحال، حليف هموم وأوجال، فلما مضى
حول، لقيت البحترى فنافسته حديثي، وبائثته أمري، وأخبرته الخبر، وأنشدته الشعر،
فقال: هذه قصيدتي، وهي طويلة، فعجبت من ذلك، ثم دعا ابنه أبا الغوث، فقال:
جنني بالدفتري الفلاني، فجاءه به، فلم يكن فيه شيء، فجاءه بآخر، فلم يكن فيه
شيء، فجاءه بآخر، وكانت هذه صفته، فقال: مجنون! إذا كان في غد أخرجته إليك،

(١) المنعبر: المرغ بالتراب.

(٢) القعدد: الجبان والليليم.

فلما كان من الغد، أخرج إليّ دفترًا مكتوباً بخط رطب قد وشر بنشارة خشب مما صنعه أيديهم، وإذا به قد حفظها من وقته وسرقها، وأدعاها لنفسه، وصنع لها أولاً، فقال:

سلام عليكم لا وفاء ولا عهد أما لكم من هجر أحباكم بد
أحبابنا قد أنجز البين وعده وشيكاً ولم ينجز لنا منكم وعد
ومر في القصيدة إلى حيث شاء، ثم جاء بالأبيات فيها، وأثبتها في ديوانه.
وقد أحس أحد المعاصرين بهذا، مع أنه لم يشر إلى المصدر المذكور، فقال:
"ويلوح لي أن القطعة مقحمة إقحاماً في وسط قصيدة خصصت في...".
وهو يعلل هذا بقوله:

"ويطالعنا البحرني بشجاعة غريبة، لم نعهدها فيه، فهو الذي توارى خلف
ستائر الشبابيك حين قتل الخليفة المتوكل على مرأى ومسمع منه، وصف البحرني
الذئب والمركة التي نشبت بينهما، بدأها بوصف الليل، ثم ادعى البداوة، وما هو
منها بشيء، ومضى ينسج خيوط المركة متكلفاً كأنه ممثل على خشبة مسرح يؤدي
دوره في تسلسل منطقي، فقد عوى الذئب، ولم يهجم بل أقعى، وانتظر البحرني
حتى يتم ارتجازه فيثيره، ثم يقبل مهاجماً مسرعاً كالبرق، ولا يعجبه أن تنتهي المركة
بالسهم الأول، فلا بد من كر وفر ويعدهما يسقط الذئب صريع السهم الثاني، الذي
استقر في القلب موطن اللب والرعب والحقْد"^(١).

إن عودة إلى رواية الخبر، تجعلنا نعيش في القرن الثالث الهجري، إذ توفي
أبوعبادة البحرني (سنة ٢٨٤هـ)، وابن دريد توفي (سنة ٣٢١هـ)، وهو الذي نقل الخبر
عمن عاصر البحرني واتهمه. ولكن أبا العلاء المعري (ت ٤٤٩هـ)، ينص على أن

(١) عبدالقادر حسن أمين، شعر الطرد عند العرب (النجف: مطبعة النعمان، ١٩٧٢م)، ص ٢٦٧.

التهمة قديمة جداً. ونكون حينئذ قد وقعنا في تضارب الروايات، التي تجعل المتهم متهماً، وتميل بعد ذلك إلى إنصاف المتهم. ثم يأتي المعري ليلغي أي شك تبقى حول الاتهام، فيقول تعليقاً عليه:

"ولا ريب أن ذلك باطل"^(١).

هذا من زاوية موضوعية، أما من زاوية نقدية، فإن أبيات الأعرابي، تختلف بعض الشيء عن أبيات البحري، فليس فيها أبيات الفخر الأخيرة التي ذكرها الأعرابي، ولا تتضمن الأبيات الثلاثة الأولى منها. وجوهر العام قريب جداً من البدواة والتوحش. حقاً هناك تشابه في بعض ألفاظها وعباراتها، كما تتفق معها في الوزن والقافية، ولكن ذلك لا يجعل القصيدة مسروقة، إذ يمكن أن يكون البحري قد استلهمها فنياً، وقد يكون تأثر بها - إن أخذنا برواية الاتهام - فصاغها صياغته الخاصة بها.

ثم جاء الشريف الرضي، واستوحى الصورة نفسها، والأحاسيس ذاتها، فقال قصيدة في لقاء الذئب، أنهاها بما يعني أن الجماعة أكلت الذئب، يقول:

له الويل من مستطعم عاد طُعْمَةً لِقَوْمٍ عِجَالٍ بِالْقِسِيِّ النَّوَازِعِ^(٢)

وهناك أبيات رجل مجهول من أهل اليمن يذكر فيها أن أمه أكلها الذئب، وتدل على أن الذئب يهجم على الإنسان، ويفترسه حقاً، حتى أنه، كما يقول:

فلم يَبْقَ منها غيرُ نِصْفِ عِجَانِهَا وَشُتْرَةٍ مِنْهَا وَإِحْدَى الذَّوَابِ^(٣)

(١) المعري، عبث الوليد، ص ص ٩٦-٩٧.

(٢) أبو الحسن، محمد بن أبي أحمد الشريف الرضي، ديوان الشريف الرضي، (بيروت: دار صادر، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م) ص ٦٦٢.

(٣) البكري، أبو عبيد، عبدالله بن عبدالعزيز، سمط اللالكسي، تحقيق: عبدالعزيز الميمني (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٣م) ج ١، ص ٣٧٨. العجان: بلغتهم، موصل العنق في الرأس. الشترة: الإصبع.

وربما كان ذلك راجعاً إلى حالة مرضية أصابت الذئب، وربما يكون بتأثير الجوع، وربما هو واقع الذئب، وربما يقول قائل: إن هذه الأبيات مصنوعة من أجل اللغة، لما تحتويه من ألفاظ لغوية غريبة نُسبت إلى اليمن.

ولكن عبيد الله بن ربيع يذكر حالة يؤيدها التراث الشعبي المعاصر في الجزيرة العربية - وهي أن الذئب إذا رأى إنساناً، راح يعوي مستدعياً الذئاب الأخرى، لكي تنقض على الإنسان، فهو يقول:

عوى عند نضوي يستغيث أليفه ^(١)

وفي صورة أخرى ماثلة يشبه سليمان بن عياش اللصُّ مجموعةً لصوص من قبائل سليم وعامر وعبس، وهم يلقون ركباً، فيتنادون من كل جانب لسلبهم، كما تتعوى الذئاب للافتراس، فيقول:

ذئاب تعاوت من سليم وعامر وعبس وما يلقى هناك ذئابها ^(٢)

وهم يذكرون أن في شمال القصيم حتى الحفر ذئاباً تأكل الناس ^(٣).

وقد مرّ بنا تهدد الطرماح الذئب بالألأ يعوي، فتجتمع إليه الذئاب، كما مر بنا قول ذي الخرق:

لَعَاكَ مِنْ دُعَاءِ الذَّئْبِ عَاقٍ

وذلك على الرغم من أنه أخطأ المرمى، ثم إنه أنهى القصة دون أن تجتمع عليه

الذئاب.

وهكذا، يتبين لنا أن علاقة الإنسان بالذئب في الصحراء العربية، تكشف عن إعجاب شديد بشجاعة الذئب وسعيه للحصول على طعامه، حتى إن عبيد الله بن

(١) ياقوت، معجم البلدان، "بتيلة".

(٢) المصدر نفسه، "سيان". سليمان بن عياش أحد اللصوص، في العصر الأموي.

(٣) المصدر نفسه، "الفرع".

ربيع يتمنى أن لو كان الذئب أخاه، فيقول:

فولّي فتىّ شاكِي السلاح لو أنه أخِي لم أبعه من معدّ بواحد
فتىّ يكسب المعدوم حتى رفيقُهُ مُدْلٌ يشدّات الكميّ المناجد^(١)

ولعل في قصة الرجل الذي التقى الذئب ليلاً، وقد كان الظمأ يقتله، فحملة فوق راحته حتى أوصله إلى الماء، وترك معه بقية زاده، ما يُبرِّز تلك العلاقة على أكمل وجه، والقصة تدور في الإطار السابق في محاولة اقتراب كل من الذئب والإنسان أحدهما بالآخر، إلا أن عامل التوجس يحول دون تعميق ذلك إلى تكوين صداقة مستمرة، ويبدو أن الإنسان هو الذي يحمل الجانب السلبي تجاه الذئب، خاصة مع ما أشيع عن الذئب من خيانة وغدر، يقول ذلك الرجل:

أراقب رِدْفِي خشية أن يخونني وفي منكبي إن حاول الغدر زاجره^(٢)

وعلى هذا يمكن أن نستنتج قلة الذئاب العربية، فعلى الرغم من هذه الأشعار التي تدور حول الذئاب، فإنه لمن الطبيعي ألا تكثر الذئاب في الجزيرة العربية، وذلك يرجع إلى البيئة نفسها، وإلى علاقة الإنسان بالذئب. فالطعام ليس متوافراً في هذه الأرض، كما أن الإنسان يطارده، ويقتله عندما يقترب من منزله. أما في البيئات الأوروبية والأمريكية، ومناطق الأعشاب (السافانا)، فإن الذئاب كثيرة العدد، ولها مناطق محمية تصل إلى مئات الكيلومترات^(٣).

وهذا واضح من الشعر العربي نفسه، حيث وجدناهم يُشيرون في لقاءهم كثيراً إلى ذئب واحد، كما في قصص المرقش والفرزدق^(٤) والبحثري سابقاً. أو إلى ما نفترض

(١) المصدر السابق، "بتيلة".

(٢) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ص ٢٠٦-٢٠٧. يعني: في منكبه سيفه.

(٣) انظر، Mech, The Way of the Wolf, pp. 15-16.

(٤) انظر، الأنباري، شرح ديوان المفضليات، ص ٤٦٦؛ الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج ٢، ص ٣٢٩.

أنه أعداد قليلة جداً، كما في قصة لبيد^(١)، ولعل أعداد الذئب تزيد نوعاً ما في الأطراف الجنوبية للجزيرة العربية، كما ذكر ذلك الشنفرى مثلاً في لاميته.

وتجدر الإشارة إلى أن الخيال ربما لعب كثيراً فيما تداوله الشعراء بينهم عن الذئب، ولعل الفخر بلقاء الذئب ليلاً، والاستعداد له بالسهم والنبال، هو فخر تعويضي عن حالة العجز والخوف التي يشيعها الذئب في نفس الإنسان عند أول لقاء، إذ إنه من المعروف أن الذئب يهاجم بسرعة فائقة، وينقض انقضاضاً جارحاً قد يعيق الإنسان عن الحركة نهائياً، وهو يهاجمه، إذا ما هاجمه، متوخياً القبض على رقبتة، فيمزقها بأنيابه التي تشبه المعاول، بينما تمزق مخالبه جسده، وليس أمام الإنسان في هذه اللحظات إلا الاعتماد على ذكائه وقدراته العضلية التي تُخفق في التغلب على قوة الذئب، ومن هنا يصبح استخدام النبال والسهم في رمي الذئب، مسألة مشكوكاً في تأثيرها، مهما بلغ الإنسان من القدرة على تحديد الهدف، وذلك إزاء مراوغة الذئب واستعدائه.

أما الأمر الآخر، فإن تلك الصورة التي حاولت أن تقرّب علاقة الذئب الجائع بالإنسان في الصحراء، كانت تحمل في طياتها عدم الاطمئنان منه، وكانت تتعامل معه بحذر شديد؛ ولهذا، فإن لوحة الذئب الرائعة التي قدمها الشنفرى في لاميته، لم تعد رسم المشهد من بعيد، ولم توجد أي نوع من الاتصال بين الشنفرى في اختراقه الأرض والذئب في تشرده، وها هو الأحيمر السعدي الشاعر الصعلوك، يقول:

عوى الذئب فاستأنست للذئب إذ عوى وصوت إنسان فكادت أطيّر^(٢)

كما يقول:

أراني وذئبَ القفر إلفين بعدما بدأنا كلانا يَشْمِزُّ وَيُدْعَرُ

(١) ابن ربيعة، شرح ديوان لبيد، ص ص ٢٧، ٣٨.

(٢) حبيب بن أوس، أبو تمام، الوحشيات، تحقيق: عبدالعزيز الميمني (القاهرة: دار المعارف، ط ٢،

تألّفني لما دنا وألّفته وأمكنني للرّمّي لو كنت أغدر
ولكنني لم يَأتمنيَ صاحب فيرتابَ بي ما دام لا يَتغيّر^(١)
وتحاول هذه الصورة أن تجمع بين لقاء الذئب والاطمئنان إليه والخوف منه،
فهل تحوّل هذا اللقاء هنا إلى صداقة حقيقية؟ إنه يقول: إنهما أصبحا إلفين، وربما كان
ذلك، وربما يكون مجازاً تعبيراً عن الوحشة والانقطاع في الصحراء، وربما يكون ذلك
صحيحاً، ولكن الصورة العامة عن الذئب تظل هي الصورة في جميع الآداب العالمية،
وهي الخوف البشري المتأصل من الذئب.

وعلى الرغم من تلك الصورة التي قدمها الأحيمر، فإن صورة ذئب تأبط شراً
مختلفة عن ذئب نظيره الشنفرى مثلاً، فذئب تأبط يمثّل تأبط في البسالة والإقدام، أما
الشنفرى، فيلتقي مع تأبط شراً في تشبيه نفسه بالذئب، وهو: "يعس"، على حين أن
لوحة الذئب عنده ترسم جوّ الوحدة والاجتماع: تفرّق ثم اجتماع، فتفرّق، وفق
تخطيط مُعيّن.

وفي ضمن هذا الإطار، يمكن القول: إن صورة القتل التي ترددت في بعض
الأشعار كان سببها الإنسان نفسه، فلقد اختزن الإنسان في ذاكرته صورة موحشة
مرعبة للذئب، وإنه ليعكس هذه الصورة إذا ما اصطدم فجأة به، وحيث إن الذئب
قد اختزن هو نفسه أيضاً صورة مرعبة عن الإنسان، فإن الاثنين ينفران من بعضهما
عند أول لقاء، ويتحول ذلك النفور إلى تناقض نفسي في الموقف، مما يحمل بعضهما
على بعض. ولعل ذلك القتل المنسوب إلى الذئب، أو محاولة الهجوم، إنما كانا من
ذئب ينتسب إلى الطبقة العليا Alpha، أو من يأتي عقبها مباشرة Beta، فهما النوعان

(١) أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر (القاهرة: ج ٢،

الذئبان يتميزان بخصائص شخصية بارزة. أما حوادث المسألة، فلعلها وقعت من ذئاب دُنياً، أو من ذئب النوعين، بعد ما حدث تراسل بين الطرفين: الإنسان والذئب، وانتقلت بينهما شفرة موادعة ومسألة، كانت نتیجتها عقد مصالحة ومودة وإخاء.

وفي القرآن الكريم حكاية عن تأمر إخوة يوسف عليه السلام، وادعائهم أن الذئب أكله، ولكن الله سبحانه وتعالى يدحض هذا الادعاء، فيقول: ﴿وَجَاءُوا عَلَيَّ قَعِصِهِ يَدْمٍ كَذِبٌ﴾ (يوسف: ١٨).

إن هذا يدلنا على أن الذئب السليم، أو غير المشرف على الهلاك جوعاً، لا يعتدي على الإنسان أبداً، وقد أقر بعض العرب بهذا، فقال عوف القوافي:
لولا سواه لَجَرَّرْتُ أَوْصَالَه عُرْجُ الضَّبَاعِ وَصَدَّ عَنْه الذَّيْبُ
يقول: "لولاه، لتركه جيفة تجره الضباع، ولا يقربه الذئب؛ لأنه لا يأكل الميتة"^(١).

ولكنهم يتناقضون، فيعلقون على قول حميد بن ثور الهلالي:
إذا ما غدا يوماً رأيت غيابة من الطير ينظرن الذي هو صانع
"أن الذئب يتبع الجيش طمعاً في أن يتخلف رجل يشب عليه؛ لأنه من بين السباع ما يرغب في القتل، ولا يكاد يأكل إلا ما فرسه"^(٢).

ومن التناقض رواية قول ربيعة بن الجحدر الهلالي، وشرحه على أنه في الذئب:

وقرن صريع قد تركتُ مجدلاً يطوف به العاسلات اللغاوس^(٣)

(١) العسكري، جمهرة الأمثال، ج ١، ص ٤٦١.

(٢) الهلالي، ديوان حميد بن ثور، حاشية ص ١٠٦.

(٣) العسكري، شرح أشعار الهلاليين، ج ٢، ص ٦٤٦. مجدلاً: مصروعاً مقتولاً. اللغاوس: الذئاب التي

وهذا أيضاً يتناقض مع الظن بأنه :

"إذا ذمَّ الإنسان، وشم الذئب منه ريح الدم، فما أقل ما ينجو منه، وإن كان أشد الناس بدنأً وقلباً، وأتمهم سلاحاً، وأنقفهم ثقافة"^(١).

وقول ابن فضل الله العمري :

"إن دمي إنسان، فشم الذئب رائحة الدم منه، قاتل عليه، حتى يبلغ إليه، فيأكله"^(٢).

ومع كل هذا، فإن تأكيدات العلم التي جاءت من مناطق أوروبية، وإن كان بعضها يتطلب الدليل، مازالت تحتاج إلى توثيق أكيد من تجارب تُجرى، وملاحظات تُبدى على ذئاب الجزيرة العربية.

وربما ذهب الظن بنا إلى أن هذه الصورة هي صورة للضبع، والذي ظن كثيراً بأنه الذئب، ثم عممت الصورة، لتجعل كل الذئاب على هذه الشاكلة، ولعل رواية متن بيت ربيعة بن الجحدر الهذلي السابق: "يطوف به الخامعات" هي الرواية الصحيحة، حيث تعني الضباع.

والسؤال بعد :

إذا كان الذئب الطبيعي، لا يعتدي على الإنسان، فلماذا قالوا في أمثالهم :

"من لم يكن ذئباً، أكلته الذئاب"^(٣)؟

هل هذا إسقاط لما في النفس، أو هو هروب من الاعتراف بواقع الإنسانية

نفسها؟

(١) الجاحظ، الحيوان، ج٧، ص٦٤.

(٢) العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ص٦٠.

(٣) أبو عمر، يوسف بن عبدالله بن محمد النمري، بهجة المجالس، تحقيق: محمد مرسي الخولي (بيروت :

دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨١م) ج١، ص٣٦٣.

وَألا يتبين هذا في قول ابن الرقيات :

ذاك خير من البليخ ومن صَوِّت ذئابِ عَلَيَّ يَدْعُونَ ذِياباً؟^(١)

وَأليس هذا أَكثَر وضوحاً في قول ابن هرمة :

ليت السباع لنا كانت مجاورة وأتأنا لا نرى ممن نرى أحداً

إن السباع لتهدأ عن فرائسها والناس ليس بهادٍ شَرُّهم أبداً؟^(٢)

والسباع يعنون بها: الذئاب"^(٣).

بل إن هذه الفكرة قديمة نجدها في قول المثقب العبدي :

لا تراني راتِعاً في مجلس في لحوم الناس كالسَّبْع الضَّرِمِ"^(٤)

وعلى العموم، فإن التراث الأدبي يتوافق مع التراث الشعبي المعاصر في اتهام الذئب

بالاعتداء على الإنسان، ولكن من المثير جداً أن نجد التراث الأدبي يقول في الذئب :

"ومن شأنه أنه إذا لقي الفارس والأرض مثلوجة أن يخذش الأرض بيديه،

ويرمي وجه الإنسان بالثلج ليدهشه، ثم يبعج دابته ليصرعه، فيتمكن منه، فإذا رأى

ذلك الفارس المجرب، عاجله بالركض والقتال، فقطع المفازة"^(٥).

وفي التراث الشعبي المعاصر في الجزيرة العربية ما يشبه هذا، إذ يقال :

"معروف عنه أنه لا يفترس الإنسان النائم حتى يستيقظ ثم يهجم عليه، كان

(١) عبيدالله بن قيس الرقيات، ديوان عبيدالله بن قيس الرقيات، تحقيق: محمد يوسف نجم (بيروت: دار

بيروت، ١٤٤٠هـ/١٩٨٠م)، ص ١١٠. البليخ: نهر بالرقعة، يصب في الفرات.

(٢) ابن منظور، اللسان، "هداً".

(٣) انظر، العماري، الذئب في الشعر العربي القديم، ص ١.

(٤) الأتباري، شرح ديوان الفضليات، ص ٥٨٩. الضرم: الشديد الثَّهْم.

(٥) أبو أحمد بن محمد الحشاء، المنصوري في البيزرة، تحقيق: عبدالحفيظ منصور (تونس: بيت الحكمة،

١٩٨٩م) ص ١٥٤-١٥٥.

المسافرون قديماً عند رؤيتهم له يقومون فوراً بلف قطع من القماش أو أشمغتهم حول حلوقهم ويطونهم^(١).

على أن الشعر العربي يقرن دائماً بين القتلى في المعارك ووجود الذئب، كقول عبدالمسيح بن عسلة:

وَمُسْتَلَبٍ مِنْ دَرَعِهِ وَسِلَاحِهِ تَرَكْنَا عَلَيْهِ الذَّئْبَ يَنْهَسُ قَائِماً^(٢)
وقالت الخرنوق:

وَأرْدِينَا ابْنِ حَسْحَاسٍ فَأُضْحَى تَجُولُ بِشِلْوِهِ غُبْسُ الذَّئَابِ^(٣)
ويقول طرفة:

بِأَسْفَلِ وَادٍ مِنْ أَخْلَةِ شِلْوِهِ تُمَزَّقُهُ ذَوْبَانُهُ وَجِيَائِلُهُ
ويقول مالك بن الحارث الهذلي:

وَيَوْمًا نَقَتَلُ الْأَبْطَالَ شَفْعًا فَتَرَكَهُمْ تَنَوُّبُهُمُ السَّرَاحَ^(٤)
ولكن الصورة البشعة جداً، هي الصورة التي نقلها جرير، متهماً الفرزدق:

وَكَمْ لَكَ يَا بَنَ الْفَيْنِ قَدْ جَاءَ سَائِلًا مِنْ ابْنِ قَصِيرِ الْبَاعِ مِثْلُكَ حَامِلُهُ
أَتَيْتَ بِهِ بَعْدَ الْعِشَاءِ مَلْفَفًا فَأَلْقَيْتَهُ لِلذَّئْبِ فَالذَّئْبُ أَكَلَهُ^(٥)

(١) بنونة، التعايش، ص ٢٠٣. أشمغتهم: أغطية الرأس.

(٢) الأباري، شرح المفضليات، ص ٦٠٧. وانظر: قول حميد بن ثور الآتي.

(٣) الخرنوق بنت بدر بن هفان، ديوان شعر الخرنوق، تحقيق: حسين نصار (القاهرة: دار الكتب، ١٩٦٩م)، ص ٢٣.

(٤) طرفة بن العبد، ديوان طرفة بن العبد، تحقيق: درية الخطيب ولطفي الصقال (دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، ص ١٨٧. أخله: واد باليمن. جيائل: جمع جبال، وهو الضبع.

(٥) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج ١، ص ٢٣٧. شفعا: اثنين اثنين. السراح: الذئاب.

(٦) جرير بن عطية، ديوان جرير، تحقيق: نعمان محمد أمين طه (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١م)، ج ٢، ص ٩٧٣.

أكل لحم الذئب:

يتضح من قول البحثري، أو الأعرابي، أنهم كانوا يأكلون الذئاب حقيقة، ولا سيما عندما يضطرهم الجوع إلى ذلك، ونجد تصديق هذا في الحكاية التالية:

"أضافني رجل من الأعراب، فجاءني بقدر جماع ضخمة، ليس فيها شيء من طعام إلا قطع لحم، فإذا بضعة تنمات في فمي، وبضعة كأنها بضع ساق، وبضعة كأنها شحم زخم. فقلت: ما هذا؟ قال: إني رجل صياد، جمعت بين ذئب، وظبي، وضيع"^(١).

وتثبت الملاحظات العلمية المعاصرة أن البدو يأكلون الذئاب، لاعتمادهم بمنافعه^(٢).

والدليل على أن العرب كانوا يأكلون الذئب أن الرسول ﷺ نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع^(٣)، وهذا يعني أن العرب أكلت الذئب^(٤) من بين السباع. وإن كنا نجد من ناحية أخرى، أن العرب كانت تدع الأسد والنمر والذئب تحريماً له بالاستقذار^(٥). ولعل هذا التحريم بالاستقذار بعد أن حرمه الإسلام.

وقد اتهم أبو نواس العرب (وبالتأكيد، فهو يعني الأعراب) بأكل الذئب، يقول:

ولا تأخذ عن الأعراب لهواً ولا عيشاً فعيثهم جديب

(١) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٣، ص ٢٠٩. جماع: عظيمة. تنمات: تمتد وتمتطط. ساق: السابق.

شحم زخم: كربه، خبيث الرائحة.

(٢) Harrison, The Mammals of Arabia, N.2. p. 205.

(٣) كشاجم، المصايد والمطار، ص ١٤.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٧.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٤.

ثم يقول:

بأرض نبتها عُشْر وطلح وأكثر صيدها كلب وذئب^(١)

والحقيقة هي:

"أن لحم الذئب غير مستساغ، ولا يمكن أكله، بل حتى الكلاب ترفض تناوله، طالما أنه لم يطبخ، ولم يعالج لتهيئته لها"^(٢).

الذئاب في لامية الشنفرى

استتجنا مما مر أن الذئب لا يعتدي على الإنسان إلا بدوافع غاية في الشدة والحاجة، وما تزال هذه أيضاً قصصاً مشكوكاً فيها، حتى مر بنا حديث البحري في لقائه الذئب، وكونها قصة فنية استلهمها من التراث، إن لم يكن سرقتها جملة وتفصيلاً، كما يُزعم.

وجدنا أن الإنسان يتخذ مبدئياً موقفاً عدائياً من الذئب، فهو الذي يبادره بالرمي والمجالد. وتجد في لوحة الذئاب الجمالية في لامية الشنفرى، مجموعة من الذئاب، يراقبها الشاعر، ويسجل أحاسيسه تجاهها، ولم ينقل لنا مشهد اقتتال أو سفك دماء، مع أنه من المعروف جيداً أن الذئاب تعتمد في صيدها على حاسة الشم كثيراً^(٣)، ولو كانت الذئاب تعتدي على الإنسان، لاعتدت عليه، وهكذا، لوجعنا

(١) عبدالله بن المعتز، طبقات الشعراء، تحقيق: عبدالستار أحمد فراج (القاهرة: دار المعارف، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م) ص ٢٠٠؛ وانظر، أبا نواس، الحسن بن هانئ، أبا نواس، ديوان أبي نواس، تحقيق: أحمد عبدالمجيد الغزالي (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م) ص ١١.

(٢) Daniel Barnard, Wolf und Mensch (Saarbrucker: Saarbrucker Drukerei und Verlag, 1983), s. 97.

(٣) Mech, the wolf, p. 74.

كل لقطات الصورة المختلفة، لتكونت لنا صورة واحدة ذات قواسم مشتركة، تثبت ما ذكرناه آنفاً، مع بعض الاستثناءات التي عللنا وجودها.
ومن أجل إيضاح هذا الموقف جلياً، نأخذ مقطوعة الذئب في شعر الشنفرى، لنجد مدى تأثيرها في الشعر العربي بعد ذلك.

يقول الشنفرى:

- وأغدو على القوت الزهيد كما غدا أزلُّ تهاده التئاف أطحل^(١)
غدا طاوياً يعارض الريح حاكياً يخوت بأذنان الشعاب ويمسيل^(٢)
فلما لواه القوت من حيث أمة دعا فأجابه نظائر نُحل^(٣)
مهللة شيب الوجوه كأنها قداح بكفي ياسر تتقلقل^(٤)

- (١) الأزل: القليل لحم الوركين، صفة للذئب المهدوف. تهاده: تترامي به. التئاف: جمع تنوفة، وهي الفلاة التي لا تنبت شيئاً، الأطحل: الذي لونه بين الغبرة والبياض، كلون الطحال. شبه نفسه بالذئب الذي يسير صباحاً وزاده قليل جداً، وهو يقطع المفاوز.
- (٢) طاوياً: جامعاً، وهو من الطوى. يعارض الريح: أي يفعل مثل فعلها من الجري، يخوت: ينقض. الشعاب: الطرقات الجبلية. يعسل: يسرع باهتزاز. يشبه نفسه بالذئب الذي ينقض في الطرقات الوعرة وهو يسرع محتالاً.
- (٣) لواه القوت: امتنع عليه. أمه: قصده. النظائر: الأشباه والأمثال. نحل: ضعيفة لشدة الجوع. يقول: لما عز عليه القوت طلبه عند غيره فعوى، فأجابه أشباه حاله كحالها في الجوع والهزال.
- (٤) المهللة: خفيفة. شيب الوجوه: تغيرت ألوانها، فكأنها من ضمرها شيب. قداح: جمع قده، وهو السهم قبل أن يراش ويركب عليه نصله. الياسر: اللاعب بسهام الميسر يحركه بين يديه. تتقلقل: تتحرك وتضطرب.
- هنا تمة البيت الذي سبق، يقول، لما دعا أجابته ذئاب شيب الوجوه ليس لها غير الجلد والعظم، فمسي مضطربة تتقلقل عظامها، فتسمع لها صوتاً كصوت القداح التي تحركها كف المقاس.

- أو الخشرم المبعوث حثحث ذبّره محاييض أرساهن سام مُعسل^(١)
 مهرة فوه كأن شدوقها شقوق العصي كالحاتّ ويُسَل^(٢)
 فضجّ وضجّت بالبراح كأنها وياه نوح فوق علياء تُكَل^(٣)
 فأغضى وأغضت وابتسى وابستت به مراميلُ عَزَاهَا وَعَزْتَهُ مُرْمِل^(٤)
 شكا وشكت ثم ارعوى بعدُ وارعوت وللصبر إن لم ينفع الشكو أجمل^(٥)
 وفاءً وفاءت بادراتٍ وكلُّها على نَكْظٍ مما يُكاتم مُجول^(٦)

- (١) الخشرم: رئيس النحل. المبعوث: النبعث للسير. حثحث: حض وطلب منه الإسراع. الدبر: جماعة النحل. المحاييض: جمع محبض وهي عيدان مشتار العمل فيشير بها النحل. أرداهن: ثبتهن وأركزهن. سام: فاعل أرداهن وهو الذي يرتقي كي يشتر العسل.
 المعنى: لقد هيج دعاء، هذه النظائر، فأجابته بدوي كدوي النحل الذي حرك جماعته مشتار العسل بعوده، ليحصل عليه.
- (٢) مهرة: واسعة الأشناق. فوه: جمع أفواه، المفتوح الفم. كالحات: عابسات الوجوه، وهنا يشبه أفواه الذئب بالعصي المشقوقة. بسل: جمع باسل، هو الكريه المنظر والشديد.
- (٣) البراح: الأرض الواسعة لا نبت فيها. نوح: جمع نائحة. علياء: جمع العليا، وهي البقعة المشرقة. تكل: جمع تاكل، التي فقدت أولادها أو زوجها.
 والمعنى: أن هذا الذئب استعوى رفاقه، فعوت، وكان هذا العواء صراخ نساء فقدن رجالهن وأولادهن.
- (٤) ابتسى: امثل واقتضى. مراميل: جمع مرمل وهو الذي لا زاد معه. عزاهَا: سلاها.
 يقول: عبر الذئب بإغفائه عن خبيته ثم إجابته الذئب بمثل ما فعل واقتدى كل بأخيه، فكان الإغفاء والافتناء بمثابة التعزية. وهي صورة نفسية بديعة لهذه الحيوانات فاقدة الزاد التي أضناها الجوع في هذه الصحراء الجرداء القاحلة.
- (٥) شكا: بث حزنه. ارعوى: ترك. يقصد أن الذئب بث شكواه لأخوته، ولكنه تنرّع بالصبر عندما لم تنفعه هذه الشكوى. نكظ: عجلة واغتمام.
- (٦) الشنفرى، شعر الشنفرى، ص ص ٧٤-٧٧. فاء: رجع. بادرات: مسرعات. النكظ: شدة الجوع. الجمل: المحسن حاله. والمعنى: لما فقدت الذئب الصبر، رجعت مسرعة، كل يكتم ما عنده من ألم الجوع، ويعامل رفيقه بالحسنى.

ولكي نكون أدق في توضيح الصورة علينا أن نلاحظ أن المجموعة مجموعة متوافقة في أشكالها الجمالية، حتى استخدم هولها كلمة: "تظائر"، فهي:

مهلهلة شيب الوجوه

كالخات وُسُل

وهي فوق ذلك، كئيبه حزينة، قانطة بائسة:

كأنها / وإياه نوح فوق عليا نكل

فلا فوارق جسدية فيها، ولا اختلافات نفسية فيما بينها، وإنما هي كل سواء، مما يعطي كل ذئب منها صورة واحدة، وهذا أمر واقعي لتفكير الشنفرى نفسه، إنه يصف نفسه، ويصف أمثاله من الغزاة الفرسان، الذين يجتمعون إن اجتمعوا فرحاً وغبطة، كما هو هدف "العويل"، وتحتّم لوحة الذئب، بما يتوافق وصورة الذئب:

ثم ارْعَوَى بَعْدُ وَاِرْعَوَتْ

على نَكْظٍ مِمَّا يَكَايِمُ مُجْمَل

لقد تفرقت الذئب التي اجتمعت، فمضى كل ذئب يعود سيرته الأولى في البحث والسعي، وبهذا نرى أنها مجموعة واحدة متواصلة، مشدودة إلى بعضها بعضاً، وإن تفرقت، وتباعدت بينها المسافات، وهي تنتمي إلى عائلة واحدة: أبوين، وأبناء، كما هي طبيعة الذئب^(١)، ومكانها الصحراء، وكما هي حالة الصعاليك في الانتماء إلى عشيرة واحدة، وتعود إلى موطن واحد. والجامع بينها هو "الكسب"، استجابات لندائها الغريزي، فتجمعت، ولكن تجمعها هذا الذي حقق حينها، نقل قلقها وإشفاقها على مصيرها، إن كل مفردة وعبارة من تلك الأبيات، تتحدث بواقعية وصدق عن نفسية الصعلوك الشجاع، أي: عن الشنفرى، ومن هم في صنفه وصفه،

إنهم: "مراميل"، خرجوا بدافع توفير الغذاء لمن يعولونهم، إلى جانب أسباب شخصية أخرى لا تعيننا هنا.

وينسدل الستار بعد هذا المشهد على خاتمة تحكي الواقع، كما هو:

وللمصبر إن لم ينفع الشكو أجمل

فالشكوى لم تعد تجدي، والعيول ليس له تأثير، ولم يبق إلا الصبر الجميل.

إذن، فالذئب هنا ليس هو الذئب الذي كرس النثر العربي بلاغته لتصويره، بأنه:

الغادر - العادي - الفاجر -... إلخ^(١).

إنما هو الذئب الذي عكسه الشعر العربي بشكل عام، سعيداً في قفوه،

مكافحاً من أجل البقاء، يواجه ظروف الطبيعة القاسية بكل صبر وتحمل.

المرأة والذئبة

ارتبطت المرأة في كثير من الآداب العالمية الشعبية خاصة بالشر والخيانة، ولعل

أهم تلك الشرور في الذئبة هي الرغبة الجنسية الشديدة في أوقات الإخصاب الجنسي - كما

ترى تلك الآداب - حيث تلح الذئبة على الحصول على أكبر قدر من الذئاب القوية،

ومعلوم أن هذا الرأي الشعبي غير صحيح، كما أثبتت الدراسات الميدانية المعاصرة.

وفي الأدب العربي نجد أحد الرجاز يشبه كئنه بالذئب، وفرق بين وصف المرأة

بالذئبة والذئب، والراجز لم يلصقها بتلك الشرور المألوفة عن الذئاب، بل اختار لها

صفة غريبة، وهي الشك، وقال إنها:

كالذئب وسط القنّه^(٢) إلا نوره تظنّه^(٣)

(١) انظر، العماري، رسالة في الذئب، ص ص ٢١٣-٢٣٤.

(٢) القنة: الجبل السهل المستوي المنبسط على الأرض، أو الجبل الصغير.

(٣) ابن منظور، اللسان، "بقت".

كما قرن أحد الرجاز إحدى النساء بالذئب أيضاً، وذلك لما أشيع عنه من نهم في الأكل، فقال:

أَمْ حُورٌ غَيْرُ أَمْرٍ صَهْصَلَقُ الصَّوْتِ بَعَيْنِهَا الصَّبِيرُ^(١)
سائِلةٌ أَصْدَاغُهَا لَا تَحْتَمِرُ^(٢) تَعْدُو عَلَى الذَّئْبِ بَعُودَ مَنْكَسِرٍ
يَقْرَمَنَّ قَاتِلَهَا وَلَا تَوْفِرُ لَوْ نُحِرَتْ فِي بَيْتِهَا عَشْرُ جُزُرٍ
لَأَصْبَحَتْ مِنْ لَحْيِهِنَّ تَعْتَذِرُ^(٣)

ويشبه الأعمى، عبدالله بن الأعمور امرأته بالذئبة الغبساء في ظل السرب^(٤).
ومن ثم، فقد قيل في أمثالهم: أسلط من سلقة. والسلقة: الذئبة، وتشبه بها المرأة
السليطة، فيقال: هي سلقة^(٥).

وقالوا: الإلقة: توصف بها السعلاة، والذئبة، والمرأة الجريئة، لخبثهن^(٦).
وقالوا: امرأة سممعة: كأنها غول أو ذئبة^(٧).

وقد بلغ التضايق بأحدهم من امرأته، التي أنجبت له ولداً، آذاه كامه، أن
قال فيهما:

وَهَبَّيْهِ مِنْ سَلْفَعِ مَشَانٍ كَذْبُةٌ تَنْبَحُ بِالرُّكْبَانِ^(٨)

(١) الصهصلق: العجوز الشديدة الصوت الصخابة.

(٢) الأصداغ: جمع صنغ، وهو ما انحدر من الرأس إلى مركب اللحيين، أو ما بين العين والأذن.

(٣) المصدر نفسه، "صهصلق".

(٤) المعري، الفصول والغايات، ص ٣٥٢.

(٥) الميداني، مجمع الأمثال، ص ٣٥٣.

(٦) ابن منظور، اللسان، "ألُق".

(٧) المصدر نفسه، "سمع".

(٨) المصدر السابق، "مشن". امرأة مشان: سليطة، مشاقمة، أي: يارب هذا الولد من امرأة غير مرضية.

وخاطب الشاعر امرأته: فقال:

فلا تكوني يا بنة الأشمِّ ورَقَاءَ دَمَى ذئبها المَدْمَى^(١)

ولكن من الغريب أن نجد المجنون يشبه محبوبته ليلى بالذئب - وليس الذئبة - مكنياً بها عن الغدر والخيانة، وهو أمر غير طبيعي في العلاقة بين المحبين ومحبوباتهم، ولعل مما يخفف من هذا الاتهام للمحجوبة أن الأبيات غير منسوبة في جمهرة الأمثال للعسكري، ولكنها، مع ذلك، تظل أبياتاً في العلاقة بين الذئب والمرأة، يقول المجنون:

وكنت كذئب السوء إذ قال مرة لِيَهُم رَعَتِ وَالذئبُ غَرثَانُ مُرْجِل^(٢)

ألسن التي من غير شيء شتمتني فقالت متى ذا قال ذا عام أول

فقلت ولدتُ العام بل رُمَتَ كذبةً فهاك فكلني لا يُهَنِّك مَأْكَل^(٣)

ولقد دفع الشعور بالضيق من المرأة، الرَّحَال بن عروة إلى تمني التخلص

منها، وأن يحل الذئب محلها، مع ما يشاع عنه من افتراس، يقول:

ألا ليت أن الذئب جُلِّلَ بِرَعْمِهَا وإن كان ذا نابٍ حَدِيدٍ وَذَا ظُفْر^(٤)

أما سيطرة الدافع الجنسي على الذئبة، المرأة، فنجده في قول أحدهم:

قَدِ أَرْسَلُونِي فِي الْكُوَاعِبِ رَاعِيًا فَقَدِ وَأَبِي رَاعِي الْكُوَاعِبِ أَفْرَسُ
أَتْتَهُ ذئَابٌ لَا يُبَالِغِينَ رَاعِيًا وَكُنْ ذئَابًا تَشْتَهِي أَنْ تُفْرَسَا

(١) البكري، سمط اللالكئ، ج ١، ص ٢٤٤.

(٢) غرثان: جائع، مرمل: نافذ الزاد.

(٣) قيس بن الملوح المجنون، ديوان المجنون، جمع وتحقيق: عبدالستار أحمد فراج (القاهرة: مكتبة مصر،

١٩٧٩م) ص ٢١٧-٢١٨.

(٤) جران العود، ديوان جران العود، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٥٠هـ/١٩٣١م)

ص ١٣. يقول: ليت الذئب مكانها، ولم أرها.

وجاء في شرح هذين البيتين:

"أي: كانت هذه النساء مشتبهيات للتفريس، فجعلهن كالسوام، إلا أنهن خالفن السوام؛ لأن السوام لا تشتهي أن تفرس، ففي ذلك حثفها والنساء يشتهين ذلك لما فيه من لذتهن، إذ فرس الرجال النساء ههنا إنما هو مواصلتهن. وأفرس من قوله: فقد وأبى راعي الكواعب، أفرس موضوع موضع فرست، وأبى، خفض بواو القسم، وقوله: راعي الكواعب، يكون حالاً من النساء المقدرة، كأنه قال: فرست راعياً للكواعب: أي: وأنا إذ ذاك كذلك، ويجوز أن يكون أته ذئاب لايبالين راعياً قوله: وأبى مضاف إلى الكواعب، وهو يريد يراعي الكواعب ذاته، أي، رجال سوء فجأر لا يبالون من رعي هؤلاء النساء، فنالوا منهن إرادتهن وهواهم، وتلن منهم مثل ذلك، وإنما كتى بالذئب عن الرجال؛ لأن الزناة خبثاء كما أن الذئاب خبيثة"^(١).

ويقول المجنون في قصة رمزية كذلك، بعد أن رأى ظيباً مرة، فتأمله، وذكر ليلي، فجعل الظبي يزداد في عينه حسناً، ثم إنه عارضه ذئب وهرب منه، فتبعه حتى خفيا عنه، ثم وجد الذئب قد صرع الثاني، وأكل بعضه، فرماه بسهم، فقتله، وبقر بطنه، فأخرج ما أكل منه، ثم جمعه إلى بقية جسده، ودفنه وأحرق الذئب، وقال في ذلك:

أبى الله أن تبقى لِحِيّ بشاشة فصبراً على ما شاءه الله لي صبرا
رأيت غزالاً يرتعي وسط روضة فقلت أرى ليلي تراءت لنا ظهرا
فيا ظبي كل رعداً هنيئاً ولا تحف فإنك لي جار ولا ترهب الدهرا

(١) ابن منظور، اللسان، "فرس". وفي البيت الثاني إقواء، أو فيهما كليهما. وربما تطلب البيت الثاني زيادة (و) في بدايته.

وعندي لكم حصن حصين وصارم حسام إذا أعملته أحسن الهبر^(١)
 فما راعني إلا وذئب قد انتحى فأعلق في أحشائه الناب والظفرا^(٢)
 فَبَوَّأْتُ سَهْمِي فِي كَتُومِ غَمَزَتْهَا فخالط سهمي مهجة الذئب والنحرا^(٣)
 فأذهب غيظي قتله وشفى جوى بقلبي أن الحُرَّ قد يُدرِك الوِترا^(٤)

ومهما كان الموقف من المرأة في تلك الأقوال، فإن هذا يمثل وجهة نظر خاصة،
 إذ نسمع قولاً آخر، شديد الولاء والمحبة للمرأة، يقول:

وأقسم لو أنني أرى نسباً لها ذئب الفلا حَبَّتْ إليَّ ذئابها^(٥)

التشبيه بالذئب

مما هو مثير حقاً أن تُلصق بالذئب كل صفات الشر من غدر وخيانة، وأن تتفق المجتمعات البشرية على هذه الصفات، حتى بلغ الحال ببعض الجماعات أن شخّصت الذئب في أوضاع وحشية جداً، مثلما هو الحال في غرب أوروبا، ولا سيما في فرنسا، حيث أشيعت القصص الخيالية عما عرف بـ"الشبيه بالذئب The werewolf"، وبالذات حكاية وحش جيفودان Gevaudan Beast. ولم تكن قصص الصداقة مع الذئب خالية من

(١) الهبر: القطع.

(٢) انتحى: اعترض.

(٣) بؤ السهم: سده، الكتوم من القسي: التي لا ترن إذا انبضت، الوتر: الثأر.

(٤) المجنون، ديوان مجنون ليلى، ص ١٧١-١٧٣.

(٥) أبو علي، أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام

هارون (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٢، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م) ج ٣،

ص ١٢٥٣، وانظر، ص ١٣٣٠.

شك وريبة واتهام، حيث نُسب لأصحابها حكايات السحر والشعوذة، وذلك واضح فيما عرف بـ "أصدقاء الذئب Der Wolfsbandiger"^(١).

وفي التراث العربي يقولون:

"لَبَسْتُ لِلْكُمَاةِ جِلْدَ الْنَمْرِ"^(٢)

أو: عَلَيْنَا جِلْدَ أَخْنَسِ قَرَشَعٍ"^(٣)

أي: "لَبَسْنَا جِلْدَ الْأَسْوَدِ"^(٤)

قال عوف بن عطية:

ونلبس للعدو جلود أسد إذا نلقاهم وجلود نمر"^(٥)

وقالوا:

"تذأب: إذا لبس لباساً يتشبه به بالذئب"^(٦).

ويدل هذا على أن التزيي بزئ الذئب أمر وارد في التراث العربي.

ثم إن تكرار صورة الذئب في شعر الصعاليك قد ينقلنا إلى افتراض أن الصعاليك ربما كانوا يتزيون بزئ الذئب، فيهاجمون المقيمين في شكل ذئب، وعلى الرغم من أن الأدب العربي لم يحفظ لنا مثل هذه الصورة التي عُرفت في الآداب الغربية منذ عصور قديمة، فإن نقلهم لصور تسللهم، وتكرار تشبيههم أنفسهم

(١) Lawra Bour, Kine Angst vorm bosen wolf (München: Southwest Verlag, 1978) ss. 10 - 25.

Bernand, Wolf und Mensch, ss. 69 - 150.

(٢) السكري، شرح أشعار الهلاليين، ج ١، ص ٣٦٩.

(٣) الأخنس: القصير الأنف، القرشع: الأسد.

(٤) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٦٠٤.

(٥) الأنباري، شرح ديوان المفضليات، ص ٦٤٠.

(٦) الزبيدي، التاج، "هول".

بالذئب، إضافة إلى استخدام ألفاظ معينة تدل على تحركاته، مثل: "عس"، ليجعل احتمال وجود هذه الحالة عند بعضهم وارداً، خاصة وهم يعيشون ظروفاً تطابق حياة الذئب.

ويمكن أن نجد ذلك التشابه بين مهاجمة الذئب للأغنام، لاختطافها، ومهاجمة الصعاليك للأحياء، للسلب والنهب، في قول الشنفرى:

فقالوا لقد هَرَّتْ بليلى كُلابنا فقالوا أذئبٌ عَسٌّ أم عَسٌّ فُرْعَلٌ^(١)
وقوله أيضاً:

كلانا طوى كشحاً عن الحيّ بعدما دخلنا على كلابهم كلٌّ مدخَلٌ^(٢)

أما ما يؤكد وجود هذه المجموعة في الجزيرة العربية، فهو أن أهل اليمن المعاصرين يعتقدون بوجود الإنسان المفترس، أو الإنسان الشيطان، أو الإنسان الحيوان، الذي يطلقون عليه اسم: "بده"، والاعتقاد عندهم هو:

"أن بعض الناس يتحولون إلى شبه حيوانات في الليل، فيعتدون على المزارع، ويأكلون أوراق الشجر، ويطاردون الناس والحيوانات في الجبال والأودية، (إلى وقت قريب)... كان الناس في عدن يسمعون عواء ذئب في الليل، وانتشرت الشائعات أنه عواء إنسان له ذيل، يعيش في الجبل، وينزل إلى المدينة يبحث عن حيوانات ميتة في القمامات يحملها معه إلى الجبل ويأكلها عفنة نيئة، وفي أول الليل رآه أطفال قذفوه بالحجارة، فنظر إليهم، لكنه لم ينطق بكلمة، بل هرب منهم إلى الجبل بسرعة فائقة"^(٣).

(١) المصدر نفسه، "فرعل"، الفرعل: ولد الضبع.

(٢) الشنفرى، شعر الشنفرى، ص ١٠٨.

(٣) حمزة علي لقمان، أساطير من تاريخ اليمن (بيروت: دار المسيرة، ط ٢، ١٩٨٨م) ص ٩٤.

وينقلنا هذا إلى التطرق إلى موضوع الغول:

إن نماذج الغول في الأدب العربي كثيرة، نجدها في حديث الثعلبي عن العرائس، وفي حكايات ألف ليلة وليلة، وفي تساؤلات الجاحظ في رسالة إلى أحمد بن عبد الوهاب^(١).

ولا يهمننا تشكل الغول من أي حيوان مفترس، وإنما الذي يهمننا هو علاقة ذلك بالذئب، فقد رسم س. م. دوتي C. M. Doughy، صورة نقلها عن تصور البدو المعاصرين للغول، استناداً إلى الشخصيات الأسطورية في الأدب العربي، وجاءت صورته على أنها، كما يتصورون:

نصفها ذئب ونصفها ضبع.

ونقل دوتي عن البدو في الصحراء، أنهم أقسموا برؤيتهم لها، وأن صوتها شبيه بصوت الأم حين تدعو أطفالها^(٢).

ولقد أعطوا العنزة (وهي على رأيهم نوع من الذئب)، صورة خرافية فزعوا أنها شيطان^(٣).

وعلى هذا، فإن احتمال تذؤب بعض العرب أمر جائز، خاصة أن الصعاليك أنفسهم، كانوا يعرفون بـ"ذؤبان العرب"، إما مجازاً، وإما لأن بعضهم - كما أشرنا - كان يفعل ذلك، وإضافة إلى هذا، وما يؤيد التذؤب في اليمن، أنه في جنوب بلاد اليمن، تقطن قبيلة تدعى: "الذئب"، وهم:

"قبيلة من اللصوص... شعارهم: أنا ذئب حمير"^(٤).

(١) انظر تفصيل ذلك في:

خورشيد، الإنسان الوحش، مجلة الدوحة (فبراير، ١٩٨١م) صص ٦٢-٦٦.

(٢) Stephen Longon, The Mythology of All Races (U.S.A., The Plimpton Press, 1931) p. 354.

(٣) ابن منظور، اللسان، "عنز".

(٤) أحمد الشنتاوي وآخرين، (دائرة المعارف الإسلامية (بيروت: دار المعرفة) ١٩٩٣م) ٩م، ص ٤٣٥.

وليس بعيداً بعد ذلك، أن تكون التسمية بـ"الذئب"، وهي كثيرة في الجاهلية، ذات علاقة بفكرة التذؤب هذه، إلى جانب أنها مستوحاة من شجاعة الذئب وصبره... إلخ. وقد تكون - على رأي أصحاب الطوطمية - فكرة طوطمية أصلية.

يقول عبدالمسيح بن عمرو الغساني في سطوح الكاهن:

وأمة من آل ذئب بن حجن أبيض فضفاض السرداء والبدن^(١)

تربية الذئاب

أصبحت تربية الذئاب في الوقت الحاضر مسألة مقرأً بها، ولها مشاهدات مسجلة في أنحاء كثيرة من العالم، حتى إن بعض الدراسات الميدانية نبعت أصلاً من هذه المعاشة والاتصال.

جاء في دائرة المعارف الإسلامية:

"والذئب يدجن كالكلب بسهولة إذا أخذ صغيراً، ويستأنس كالكلب بكل إنسان"^(٢).

وتربية الأسود والفهود للصيد في الحياة العربية الأرستقراطية مذكورة في كتب الصيد المعنية به. أما الذئب، فكان بعيداً عن هذا الحقل، ولم يتم ترويضه لمثل هذه الأعمال. وقد قرر الجاحظ هذه الحقيقة، فقال:

"الذي عندنا في الذئب أنه (لا) يَأْلَف، ولو أخذ إنسان جرواً صغيراً من جرائه، لما نزع إلا وحشياً غدوراً مفسداً"^(٣).

(١) السهيلي، الروض الأنف، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل (القاهرة: مطبعة دار نصر، ط١، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م) ج١، ص١٤١.

(٢) بطرس، البستاني، دائرة المعارف (بيروت: دار المعرفة دت) ج٨، ص٤٣٥. وانظر على سبيل المثال:

Bour, Keine Angst vorm wolf. Lawrence, Der Ruf der wolfe.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج٧، ص٢٥٣. ولا بد أن (لا) سقطت من الأصل؛ لأن المعنى يتطلبها.

وقول الأعرابي الذي رى جرّواً، فلما كبر، أغار على غنمه، مشهور ذائع:

أكلت شويهي ونشأت فينا فمن أنباك أن أباك ذيب^(١)

وهو قول يرمز إلى التنافر الذي نشأ بين الذئب والإنسان منذ عصور سحيقة،

ومن ثم إلى استحالة تعايش الذئب والإنسان.

ولقد أبدى الجاحظ دهشته واستغرابه من زعم عبويه بإمكان تربية الذئب

وترويضها، فعلق على ذلك الزعم بقوله:

"الذي حكى عبويه من شأن هذا الذئب من غريب الغريب".

أما الحكاية، فهي كما يقصها الجاحظ:

"وزعم عبويه أن الخصي العبدى الفقيه من أهل همدان، السوداني

الجبلي، وهو رجل من العرب، قد ولدته حليمة، ظن النبي ﷺ، وهو من بني سعد بن

بكر، فزعم أن السوداني أشبه خلق الله بمجارحة، وأحكم بتدبير ذئب، وكلب، وأسد،

ونمر، وتعليم وتثقيف، وأنه بلغ من حذقه، ورفقه، أن ضرى ذئبا وعلمه، حتى

اصطاد له الطباء والثعالب، وغير ذلك من الوحوش، وأن هذا الذئب بعينه سرحه،

فرجع إليه من ثلاثين فرسخاً"^(٢).

وإذ تبرهن التجارب المعاصرة على ما قاله عبويه، فإنه لمن المؤكد أيضا

استحالة التعايش بين الذئب والأغنام، فهذه هي القطيعة الأبدية بين النوعين، فهو إن

صلح للحراسة، أو الصيد، فهو لا يؤتمن أبداً على الأغنام.

(١) المصدر نفسه.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج٧، ص ٢٥٢-٢٥٣.

صيد الذئب

وسائل الصيد

لجأ الإنسان منذ وعى الصراع بينه وبين الذئب إلى طرق متعددة، إما لإبعاده عن محيطه، وإما للقضاء عليه والتخلص منه.

وتكاد وسائل الصيد القديمة تكون واحدة في كثير من بقاع الأرض، ولا تختلف هذه عند العرب من غيرها إلا في الكيفية التي تُشكّل فيها أدوات الصيد، والتي قد تكون متقاربة أيضاً في الأنواع والأحجام، بل حتى في مادة الصناعة وهندسة الآلة^(١) فمن وسائل الصيد عند العرب:

الحُفْر:

ولها مسميات متعددة، منها:

الأوجار:

وهي حفرة يجعل للوحوش فيها مناجل، فإذا مرت بها، عرقتها، الواحدة: وجرة، ووجرة.^(٢)

الرُيْبِيَّة:

وهي حفرة يتزوى فيها الرجل للصيد، وتحفر للذئب، فيصطاد فيها، وهي حفرة للأسد أيضاً، ولا تحفر إلا في مكان عال من الأرض، لئلا يبلغها السيل، فتنتطم.^(٣) وهي أيضاً: " أن تأخذ التيس فتربطه على شجرة، وتحفر دونه رُيْبِيَّة، فتغطيها،

(١) Bernard, Wolf und Mensch, ss, 53-68; Bour, Keine Angst, S. 13. Brown, The Wolf in the

Southwest, pp. 33-34, 40.

(٢) ابن منظور، اللسان، "وجر".

(٣) المصدر نفسه، "رُيْبِيَّة". وجمعها: رُيْبِيَّة. وانظر، الأشنانداني، معاني الشعر، ص ص ١٨-١٩.

فيصيح، فيسمع الذئب صياحه، فإذا جاء إليه، وقع في الزبية^(١).
المُعَوَّات:

واحدتها مُعَوَّاةٌ : وهي حفرة كالزبية، تحفر للذئب ويُجعل فيها جديّ، إذا نظر الذئب إليها، سقط عليها، يريده، فيصطاد.^(٢)
المهلكة :

مثل الزبية تُحفر للذئب، ويُجعل فيها جدي، إذا نظر إليه، سقط يريده، فيصطاد.^(٣)

الحديد:

وأشهر آلة منه هي:

اللُّبْجَة أو اللُّبْجَة:

وهي حديدة ذات شعب، كأنها كفٌّ بأصابع تنفرج، فيوضع في وسطها لحم، ثم يشد إلى وُتْدٍ، فإذا قبض عليها الذئب، التبجت في خطمه، فقبضت عليه، وصرعته.^(٤)

النامرة:

شيءٌ يتخذ من حديد، ينصب للذئب^(٥).

(١) العسكري، جمهرة الأمثال، ج ١، ص ١٦٨.

(٢) ابن منظور، اللسان، "غوى".

(٣) الزبيدي، التاج، "غوى".

(٤) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت: دار العلم للملايين، ط ١، ١٩٧٠م)، ج ٤، ص ٦٧٨. وانظر، ابن منظور، اللسان، "لجج". والجمع: اللُّبْج، واللُّبْج، ومعنى لُبْج: صُرْع، وسقط من قيام.

(٥) أبويكر، محمد بن الحسن بن دريد، الاشتقاق، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (بغداد: مكتبة المشي، ط ٢، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص ١٨٤. وانظر، جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ٤، ص ٦٧٨.

الحظائر:

المعروف منها التالي:

الرُداعة:

وهي مثل البيت، تُجعل فيه لحمه، يصيد الصائد به الضبع والذئب.^(١)

الشَّهْم/السَّهْم:

حجر يجعلونه في أعلى بيت بينونه من حجارة، ويجعلون لحمه السَّبْع في

مؤخر البيت، فإذا دخل السبع، فتناول اللحمه، سقط الحجر على الباب، فسده.^(٢)

الكَمْحَة:

هي خشب، أو قصبات، يُشد في وسطه حبل يجمعه.^(٣)

الشبكة:

ينصب الصياد الشبكة، ويحبل الذئب، فيصيده.^(٤)

اليعر:

اليعرة: الشاة، أو الجدي يُشدّ عند زِيَّة الذئب أو الأسد، رُبط أو لم يربط.^(٥)

الفخ:

وهو اسم من أسماء وسائل صيد الذئب. يُقال: خَشُّ ذُوالة بالحباله. أي:

خَوْفه، من خشيتته. وهي الحُبالة.^(٦)

(١) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، ج ٢، ص ٦٧٧.

(٢) ابن منظور، اللسان، "شهم".

(٣) كشاجم، المصايد والمطارذ، ص ١٠٥.

(٤) القزويني، آثار البلاد، ص ١٠٦.

(٥) الزبيدي، التاج، "يعر".

(٦) ابن منظور، اللسان، "ذال".

الأعشاب والسموم:

خائق الذئب والنمر: وهو عبارة عن أربع حشائش: الأول مشرف الأوراق، مَرْغَب، يشبه الدُّلْب. والثاني كذئب العقرب، بَرَّاق، نحو شير، لا تزيد أوراقه عن خمسة، وكلاهما ربيعي. وهو من أنواع السموم، يقتل سائر الحيوانات، وإنما خص النمر والذئب، لسرعة الفعل فيهما. وإذا خُلط بالشحم، وخُبز بالخبز، وأطعمم الذئب، قتلها^(١).

العنصل: هو البصل البري، ورق مثل الكُرَّاث، يظهر منبسطاً، سَبَطاً، وهو شجيرة سهلية، تنبت في مواضع الماء والندى، ولها نور كنور السوسن الأبيض.^(٢) ولا بد أن العرب فرشوه في طريق الذئب؛ لأنهم اعتقدوا أنه: إذا وطأ الذئب ورقه، مات لوقته.^(٣) غير أن العزّي يرفض هذا رفضاً تاماً، ويقول: "وهم محض؛ لأن العنصل وإن كان ساماً فإنه لا يقتل الذئب ولا أي حيوان إذا أكلته"^(٤).

التخدير: "ومما تصطاد به السباع العاوية، أن يؤخذ سمك البحر الكيبار السَّمان، فتمتطع، قطعاً ثم تُشْرَح، وتُكْتَل كُتْلاً، ثم توجَّج ناراً في غائط من الأرض يقرب فيه السباع، ثم تُقذف تلك الكُتْل فيها واحدة بعد أخرى حتى ينتشر دخان تلك النار، وتُتار تلك الكتل في تلك الأرض، ثم تُطرح حول تلك الأرض قِطْع من لحم قد جُعل في الخَرْبِقِ الأَسْوَد والأَفْيُون، وتكون تلك النار في موضع لا تُرى فيه، حتى تُقبِل السباع لريح القُتار وهي آمنة، فتأكل من قطع ذلك اللحم، ويُغشى عليها، فيصيدها الكامنون لها كيف شاؤوا"^(٥)

(١) الزبيدي، التاج، "خنق". مزغب: عليه زغب، أي عليها مثل زغب الوبر. الذئب: نوع من الأشجار.

(٢) التويري، نهاية الأرب، ج ٩، ص ٢٧١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) العزّي، الحيوان في تراثنا، ص ٤٨.

(٥) أبو محمد، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٢، ص ٨٤. الغائط: المظمن الواسع من الأرض. القُتار: ريح الشواء. الخرق: نبت كالمُسم، يُغشى على أكله، ولا يقتله.

المباغحة والترصد:

يقولون: " إذا هجم الصياد على الذئب والذئبة ، وهما يتسافدان ، قتلهما كيف شاء".^(١)

الرمي:

السهام: ينبل الصائد المحترف الذئب بسهامه ، فيصيب منه مقتلاً ، ويصطاده.
يقول أعرابي قتل ذئباً:

أقولُ له والنَّبلُ تكوي إهابَهُ

إلى جَازِبِ المِعْرَاءِ^(٢)

الرماح: قال الفرزدق:

ولو غيرنا نبهت تلتمس القرى أتاك بسهم أو شاة سنان^(٣)

طرد الذئب:

الخيال: شيء يُصنَع للذئب أن يقرب الغنم ، أي: حتى يبدو كأنه إنسان.

قال الأعلام الهذلي:

هواءٌ مثلُ بعلك مستعتب على ما في وعائك كالخيال^(٤)

(١) الأبيهي ، المستطرف ، ج ٢ ، ص ١٢٨.

(٢) الحموي ، معجم البلدان ، "دائرة واسط"

(٣) الفرزدق ، ديوان الفرزدق ، ج ٢ ، ص ٣٢٩ .

(٤) السكري ، شرح أشعار الهذليين ، ج ١ ، ص ٣١٩.

علاقة الذئب بالحيوانات

الحيوانات الأليفة

الإبل

إذا كان الذئب بمفرده، لا يقوى على الهجوم على الحمار الوحشي أو البقرة الوحشية، فكيف يستطيع الهجوم على الناقة، وهي كما هو معروف أشد حُطاً، وأقوى جسماً، إن النظر فيما ذكر عن محاولة الذئب الهجوم على النياق، لا يدل على هذا الهجوم، وإنما يدل على أن الإنسان نفسه كان في حالة خوف من الذئب، فما أن رأى اقترابه منه، حتى سارع بالهجوم عليه، لظنه أن سوف يفترس الناقة، وهذا واضح من قول الأعرابي الذي قتل الذئب:

قَلَانَصُ أَصْحَابِي وَغَيْرِي وَلَمْ أَكُنْ إِذَا مَا كَبَا الرَّعِيدُ ذَا كَبَوَات^(١)
وكذلك في أبيات الكميت التي تهدد فيها الذئب^(٢).

ولكن الأمر مختلف في قصة ذي الخرق الطهوي، فهو قد بين أن الذئب لم يُقدم على الهجوم على ناقته، بل عوى منادياً صاحبه ليجتمعاً، فيحتالا على الهجوم على الناقة، وربما كان أكثر من ذئب سيأتي، وهو الوضع الطبيعي في مثل هذه الحالات، يقول:

(١) الحموي، معجم البلدان، "دابة واسط". كبا: سقط.

(٢) الأسدي، شعر الكميت، ج ٣، ص ٣٤.

ألم تَعْجَبَ لِلزُّبَيْرِ بات يَعْوِي لِيُؤَدِّنَ صاحباً له بِاللِّحَاقِ
حَسِبْتَ بُغَامَ راحلتي عَناقاً وما هي وبب غيرك بالعناق (١)
ويقول أحدهم:

أذنبُ القفر أم ذنب أنيس سطا بالبكر أم صرْفُ الليالي (٢)

وعلى هذا، تكون الصورة التي قلّمها الصّمة بن عبدالله القشيري، صورة للذئبة تهاجم الحوّار الصغير، فتمزّقه تمزيقاً من ناقة فتية قليلة التجربة "بكر"، حيث يقول:

ولا وجد بكر حُرّة أُرْحِيّة تَرُودُ حِوَالِي طفُلها قد أَتَمَّتْ (٣)
أُتِيحَ لها فيما تروح وتقتدي خشارم منه رعبها فاشمَعَلَّتْ (٤)
وجاءت مفاجأة ترى فَرَثَ طفُلها يسِرْحَانَةً أظفارها قد تَدَمَّتْ (٥)
تَهْزُ من الوجد الحَصِيلَ وراعها صَوِيَّتْ خَفِيٌّ خلفها فاقشَعَرَّتْ (٦)
فما وَجَدت من طفُلها غير شلوه شماطيط لم تقنع بها حيث شَمَّتْ (٧)
فظَلَّتْ تُراعي (شلوها) مُسْتَجِنَّةٌ إذا سَلَيْتِ رَجَعَ الحنين اسْتَهَلَّتْ (٨)

(١) ثعلب، مجالس ثعلب، ج١، ص ١٥٤، وانظر ص ٦١. البغام: صوت الإبل. العناق: الأثني من المعز.

(٢) الحطينة، ديوان الحطينة، ص ٣٩٥. البكر: الفتية من الإبل.

(٣) أرحية: إبل منسوبة إلى أرحب: قبيلة من همدان.

(٤) الخشارم: الأصوات.

(٥) الفرث: ما في الكرش. السرحانة: الذئبة.

(٦) الحصيل: شعر الذنب.

(٧) الشماطيط: القطع المتفرقة.

(٨) عبدالعزيز محمد الفيصل، شعراء بني قشير في الجاهلية والإسلام (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي

وشركاه، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ج ٢، ص ٧٧. الشلو: البقية الباقية من الفريسة.

كما يذكر لنا أحد بني عقيل حقيقة الذئب مع الإبل، فهو يهاجم صغارها
"الفصلان" التي لا تستطيع الدفاع عن نفسها، يقول على لسان الذئب:
لِي الصَّغِيرُ مِنَ الْفِصْلَانِ أَكَلَهُ (١)

ويذكر الأخطل أن الذئب تأتي، لتأكل أجنة النياق الحوامل التي تطرحها في
الطريق، فيقول:

تَرَى الْعَرْمِيسَ الْوَجْنَاءَ يَضْرِبُ حَاذَهَا صَثِيلٌ كَفَرُوجِ الدَّجَاجَةِ مِعْجَلٌ (٢)
يَشُقُّ سَمَاحِقَ السُّلَا عَنْ جَنِينِهَا أَخُو قَفْرَةَ بَادِي السَّغَابَةِ أَطْحَلٌ (٣)

ويذكر الطرماح الوضع نفسه، فيقول:

عَلَى حَوْلَاءَ يَطْفُو السُّخْدُ فِيهَا فَرَاهَا الشَّيْثِمَانُ عَنِ الْجَنِينِ (٤)

وهكذا، يقول أبو النجم، يذكر جنيناً ألقته ناقته:

يَشُقُّ عَنْهُ كَفَنًا لَمْ يَخْلُقِ عَارِي الشَّوَى مِثْلَ الدُّخَانِ الْأُورَقِ (٥)

ومع أن الذئب لا يقدر على الناقة المطلقة - فإنه كما تبين لنا - يتعقب

المسافرين والمحاربين على ظهور إبلهم، لعله يظفر بناقة منهكة، أو جنين ساقط، أو

(١) القزويني، آثار البلاد، ص ١٠٦. الفصلان: جمع فصل، وهو الصغير الذي فصل عن الرضاعة.

(٢) العرميس: الناقة الصلبة، الوجناء: الغليظة الشديدة، حاذها: ما عن يمين ذنبها أو شمالها.

(٣) الأخطل، شعر الأخطل، ج ١، ص ٣٤. السماحيق: جمع سمحاق، وهو ما خرج على الوليد من
السُّلَا. السُّلَا: غشاوة رقيقة. أخو قفرة: الذئب. السغابة: الجوع.

(٤) ابن حكيم، ديوان الطرماح، ص ٢٩٣. وانظر، ابن قتيبة: المعاني الكبير، ج ١، ص ٢٠٤، الحولاء:
الجلدة التي تخرج مع الولد من بطن الناقة. يطفو: يرتفع. السخد: الماء الأصفر الذي يكون في
الحولاء. فراها: قطعها وشقها. الشيثمان: الذئب.

(٥) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ١٨٩. كفنًا: يعني السلا. عاري الشوى: ذئب لا لحم على قوائمه.
مثل الدخان الأورق: في لونه ميل إلى السواد.

لعله يجد عند أحد أولئك بعض زاده، فيتبعه في طريقه، يصاحبه، إلا أن هذا غير ما قاله بشر بن أبي خازم:

حتى يَجْرُ الجازران جَنِينَهَا وَالْحَدُّ منها بالنَّجِيعِ مُضْرَجٌ
فَيَصِيبُ مَنْحَرَهَا بِأَغْبَرَ مُجْمَلٍ ذئب يُنَازِعُهُ الغُرَابُ الأعرج^(١)
إذ هي منحورة هنا.

وقد ذكرت العرب حالة مدهشة حقاً، إن صحت، فهي ترىنا ذكاء الذئب وحيته، وقدرته على التكيف مع ظروفه الصحراوية القاسية، فهم يقولون: إن أصل التقريد: وهو أن يُمَسَّح البعير، ويُرفَق به، ويُنَزَع صاحبه القُرَادَ منه هو: أن الذئب يأتي البعير، وهو بارك، فيحك أصلَ ذنبه، كأنه ينزع القراد منه، فيستلذ ذلك البعير، ثم يدنو إلى جنبه، فيفعل كذلك، فإذا التفت البعير، التحس عينه بلسانه، فقلعها. وفي هذا يقول أحد الرجّاز:

ومن طويل الخطم ذي اهتماط^(٢)
ذي ذئبٍ أجردٍ كالمسواط^(٣)
يمتلحُ العيينين بانتشواط
وقرورة الرأس عن الملطاط^(٤)

(١) بشر بن أبي خازم، ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق: عزة حسن (دمشق: مطبعة محمد هاشم الكتبي، ٢٤، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م) ص ٢٩٠. وتروى لغيره. النجيع: الدم المتخثر. مضرج: ملطخ بالدم.

(٢) الاهتمام: ركوب الشيء والإقدام عليه.

(٣) المسواط: الشيء الذي يسوط به القدر. الملطاط: عظم الرأس.

(٤) الحطية، ديوان الحطية، ص ٦٥. والقراد: دويبة تلتصق في جلود الإبل، فتؤذيها، فلا ترتاح حتى

وتجدر الإشارة، فيما يخص الحديث عن الذئب والإبل، إلى ذلك النوع المعروف عندهم بـ"العَنْزَة"، والتي ذكرناها في أول هذا الكتاب، فقد قيل إنه: "يَدْنُو مِنَ النَّاقَةِ وَهِيَ بَارَكَةٌ، ثُمَّ يَثِيبُ، فَيَدْخُلُ فِي حَيَاثِهَا، فَيَنْدَمِصُ فِيهِ حَتَّى يَصِلَ إِلَى الرَّحْمِ، فَيَجْتَبِزُهَا، فَتَسْقُطُ النَّاقَةُ، فَتَمُوتُ"^(١).

قال الأزهري: "ورأيت بالصَّعْمانَ ناقةً مُخْرَتَ من قَبْلِ ذَنْبِهَا لَيْلًا، فَأَصْبَحَتْ وَهِيَ مَمْحُورَةٌ، قَدْ أَكَلَتِ الْعَنْزَةَ مِنْ عَجْزِهَا طَائِفَةً، فَقَالَ رَاعِي الْإِبِلِ، وَكَانَ تُمَيْرِيًّا فَصِيحًا: طَرَقَتْهَا الْعَنْزَةُ، فَمَخَّرَتْهَا، وَالْمَخْرُ: الشَّقُّ"^(٢).
وجاء في أمثالهم:

رَكِبْتَ عَنْزًا يَجْزُجُ جَمًّا^(٣)

ولقد بلغ من خوف العرب على إبلهم من هجوم الذئب، أنهم كانوا في فترات الجذب، التي تدفع الذئب فيها نفسها إلى المجازفة والمخاطرة، يضعون سياجاً من الإبل الميتة حول الإبل التي ما تزال حية، خوفاً عليها من عدوان الذئب. يقول الفرزدق:

بِحَيْثُ رَأَيْتُ الذَّئْبَ كُلَّ عَشِيَةٍ يَرُوحُ عَلَى مَهْزُولِكُمْ وَيُبَاكِرُهُ
لِيَجْتَرَّ مِنْكُمْ إِنْ رَأَى بَارِزًا لَهُ مِنَ الْجَيْفِ اللَّائِي عَلَيْكُمْ حَظَائِرَهُ^(٤)

بقي أن نشير إلى ظاهرة غريبة في تعاملهم مع الذئب، ذلك أنهم - على الرغم من خوفهم على نياقهم منها، وعلى الرغم من أنها تأكل الأحياء الساقطة من أمهاتها - كانوا يلبسون لباساً يشبه الذئب، وهو أن يستخفي أحدهم للناقة إذا أظارتها على غير ولدها، فتكون أرام لها عليه^(٥).

(١) ابن منظور، اللسان، "عنز".

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج ١، ص ٢٤٩.

(٥) الزبيدي، التاج، "هول".

وإذا كانت الناقة مخاضاً مقيدة، أو وحيدة، فإنه من الممكن أن يعدو الذئب على ولدها:

"قال رجل، وقد نتج ناقته، لما مخضت، يت أصاديها طول ليلي، وذلك أنه كره أن يعقلها، فيعنتها، أو يتركها، فتتد في الأرض، فيأكل الذئب ولدها"^(١).

وإذا كانت الدراسات المعاصرة تثبت أن الذئب تأكل الجيف في وقت المجاعة والاضطرار^(٢)، فإن الأدب العربي يحدثنا أنها تقبل على أكل الإبل الميتة تَوّاً، فمن ذلك قول أحد الرجاز:

تَرى رذَايا الكُومِ فوق الخال
عيداً لكل شيهَمِ طمَلال^(٣)

وهذا أيضاً ما يقوله ذو الرمة الذي ذكر أن الإبل التي تنقطع ميتة في الطريق تقبل عليها الذئب، لتأكلها:

تعاوى إحسراها الذئبُ كماعوت
من الليل في رَفْضِ العواشي فصالها^(٤)
أما الفرزدق، فيقول:

ورحل حملنا فوق رحل وناقّة
تركنا يعطشى لا يُزجى حسيها
تركنا عليها الذئب^(٥)

(١) ابن منظور، اللسان، "صدي".

(٢) انظر، س. ط. نباهة الحيوان، ص ٢٥٧.

(٣) ابن منظور، اللسان، "سرح". رذايا: جمع رذوية، وهيا ناقة المهزولة من السير، والمتروكة التي حسرها السفر لا تقدر أن تلحق بالركاب. شيهم: الشيهم في الأصل: ما عظم شوكة من ذكور القنفذ، ولعل الشاعر استعاره للذئب. طملال: الذئب الأطلس الحفي الشخصي.

(٤) ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ج ١، ص ص ٥١٦-٥١٧. الرفض: ما انتشر من العواشي، وهي الإبل التي تعشى بالليل.

(٥) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج ١، ص ٣٤. يزجي: يدفع. حسيها: الناقة الحسير: التي أعيّت وكئت وتعبت، فسقطت.

وفي هذا يقول بشر بن المعتمر في أرجوزته:

وَلَطَمَةُ الذَّئْبِ عَلَى حَسَنِهِ

أي: أن الذئب يأتي الجمل الميت، فيُفضي إليه، وهو يغمغم، فيعتمد على حجاج عينه، فيلحس عينه بلسانه حسيماً، فكأنما قورّت عينه تقويراً، لما أعطي من قوة الردّة^(١).

ويضاف إلى كل ذلك تلك الصورة التي تجعل سبب إسرار الناقة في سيرها

أنها تشعر بأن ذئباً حذاءها، فهي تخاف أن ينهشها، يقول سويد بن كراع:

كَانَ خِيَالِ الذَّئْبِ تَحْتُ دُفُوفِهَا إِذَا مَا غَدَتِ فُتْلًا مَرَاقُهَا دُفُقًا^(٢)

وقال عمارة بن صفوان:

وتصبح عن غيب السرى وكأتما ترى الذئب منها بين دفٍّ ووبرق^(٣)

ولعل من هذا قول ذي الرمة:

وَرَجُلٌ كَظِلِّ الذَّئْبِ أَلْحَقَ سَدَّوَهَا وَظَيْفٌ أَمَرْتَهُ عَصَا السَّاقِ أَرْوَحَ

فشبه رجل الناقة برجل الذئب في سرعته^(٤).

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٦، ص ٤٣٦. الردة: ردة لسانه.

(٢) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ١٨٧، وانظر، الضامن، شعراء مقلون، ص ٦٣. دفوفها: جنبها. الفتل: أن يفتق المرقق عن الإبط، فلا يجزه. دفقاً: متدفقة بالعدو.

(٣) أبو الحسن، علي بن سليمان بن الفضل، الأخصف الأصغر، كتاب الاختيارين، تحقيق: فخر الدين قباوة (دمشق: مطبعة محمد هاشم الكتبي، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) ص ١٧٦.

(٤) ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ج ٢، ص ١٢١٩. الوظيف: ما فوق الرسغ إلى مفصل الساق. السدو: الحظو. أمرته عصا الساق: فتلته عظم الساق. الروح: اتساع في الرجلين، وميل إلى الخارج.

الأغنام

إذا كان الشعراء قد ذكروا علاقة الذئب بالبقر الوحشي أو الحُمُر الوحشية أو الظباء، فقد كان ذلك في معرض تشبيههم للناقة بتلك الحيوانات التي أكلت الذئباب أبناءها في أثناء سفرهم، كما في تشبيه ابن أحمر ناقته بالبقرة الوحشية التي أكل ولدها الذئب^(١)، وتشبيه عدي بن الرقاع ناقته بالأثنان التي أكلت ولدها السباع^(٢)، وتشبيه الأعشى ناقته بالظبية التي أكلت السباع (الذئباب) ولدها^(٣). ولم يكن الهدف أساسا البقرة أو الظبية. أما علاقة الذئب بالغنم، فهي علاقة أبدية شرطية، فما إن يتبادر إلى ذهن الذئب، حتى ينتقل بشكل تلقائي إلى الغنم، حتى ضُربت في ذلك الأمثال، وجاء القصص الكثير الكثير عنها. ويرجع بعض العلماء عداوة الإنسان للذئب إلى تناقص الغذاء في العصور الأولى، ثم ابتداء نزعة الملكية الفردية في التنامي عند الإنسان، وكانت من ممتلكاته الأولى الماشية^(٤).

ولقد حفل الشعر العربي بقصائد شعرية، وإشارات عديدة إلى العلاقة التناقضية بين الذئب والغنم، فهي علاقة حميمة: بمعنى الارتباط الشديد بالغنم من ناحية الذئب، أي: حب الذئب افتراس الأغنام، وهي علاقة ذميمة، من ناحية علاقة الغنم بالذئب، أي: نفور الأغنام وخوفها البالغ.

(١) الباهلي، شعر عمرو بن أحمر، ص ص ٩٧-١٠١.

(٢) عدي بن الرقاع العاملي، شعر عدي بن الرقاع العاملي، تحقيق: نوري حمودي القيسي وحاتم صالح الضامن (بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ص ١٨٠. وانظر، عمير بن شبيب القطامي، ديوان القطامي، تحقيق: إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب (بيروت: دار الثقافة، ط ١، ١٩٦٠م) ص ١١٩.

(٣) الأعشى، ديوان الأعشى، ص ص ٢٠٩-٢١١.

(٤) John C., Mecloughlin, The Canine p. 27, Hall & Sharp. Wolf and Man, pp. 154-156. Kingdon,

وحيث إن مدلول الأغنام يتصرف إلى الماعز، فإن المفهوم العام له في الشعر العربي يعني الخراف، ويشمل ذلك أيضاً الماعز، فقول الراجز مثلاً:

والشاةُ لا تُمشي على الهمْلَع^(١) أي: لا تُنسل مع الذئب.

يعني به النعجة أو الخروف. ودلالة هذا ما جاء عن الشمردل اليربوعي:

كان ذئبٌ قد لازم مرعى غنم للشمردل، فلا يزال يقرس منها الشاة بعد الشاة، فرصده ليلة حتى جاء لعادته، ثم رماه بسهم، فقتله وقال فيه:

هل خُبِرَ السُّرْحانُ إذ يستخبرُ عني وقد نام الصحاب السُّمرُّ
لما رأيت الضانَّ منه تُنفرُ نَهَضْتُ وَسَنانَ وطار المُشزِرُ
وراعَ منها مَرِحُ مُسْتِيهِر^(٢) كأنه إعصار ريح أغبر
فلم أزل أطرُده وَيَعكُر^(٣) حتى إذا اسْتَيْقَنْتُ ألا أعذر
وأن عَقْرَى غَمِي سَتَكْثُر^(٤) طار بكفي وفوادي أوجر
نَمَتْ أهْوَيْتُ له لا أُرْجِرُ سَهْمًا فوَلَّى عنه وهو يعثر
ويست ليلى آمناً أَكْبُر^(٥)

وهذا المعنى واضح في قول أبي عينة المهلي:

وَأَلْؤَيْتُكَ فوق ما أذَيْتَنِي ولأوسِدَنَّ على نعاكك ذيبِي^(٦)

(١) الحطيئة، ديوان الحطيئة، ص ١٠٤. تمشي: يقال: مشى المال، إذا أنسل وكثر..

(٢) المستيهر: الذاهب العقل.

(٣) يعكر: يكر وينصرف.

(٤) العقري: الجرحى. الأوجر: الخائف.

(٥) القيسي، شعراء أمويون، ج ٢، ص ٥٥٧.

(٦) ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ٢٨٨. ويريد بـ"النعاك" هنا: بنيه.

ومن ثم، تنكشف العلاقة صريحة بين الذئب والغنم، كما في قول امرئ

القيس:

كَمَا دَعَرَ السُّرْحَانَ جَنْبَ الرِّيبِضِ^(١)

ويقول الشنفرى:

تَعْسِلُ تَحْتِي عَسْلَانًا كَمَا يَغْسِلُ نَحْوَ الْغَنَمِ الذَّيْبُ^(٢)

ويقول ابن مقبل:

حَتَّى تَشُولَ لِقَاحًا بَعْدَ قَارِحِهَا تَحْرَبُوهَا، كَحَرْبِ الذَّيْبِ لِلْغَنَمِ^(٣)

وقال عروة بن أذينة:

كَرَوَعَةٍ ثُلُوءِ لِمُغَارِ ذَيْبٍ فَلَمَّا غَابَ عَادَتِ رَاتِعَاتُ^(٤)

وقال ابن الرقيات في مصعب بن الزبير:

لَوْ تُفْقِي وَتَتْرَكَ النَّاسَ كَانُوا غَنَمَ الذَّيْبِ غَابَ عَنْهَا الرُّعَاءُ^(٥)

وفي صورة لافتة يقول الغاضري:

وَهَاجِرَةٌ يَقِيلُ الذَّيْبُ فِيهَا عَنِ الْغَنَمِ الرُّتَاعِ وَهُوَ يَرَاهَا

يُلَوِّي رَأْسَهُ أَسْفَاً عَلَيْهَا وَلَوْلَا حَرُّ سَاعَتِهِ أَتَاهَا^(٦)

(١) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص ٧٦. الريبض: الغنم.

(٢) الشنفرى، شعر الشنفرى، ص ٧٥. تعسل: عسلان الذئب، نوع من العدو فيه اضطراب.

(٣) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٤٠٠.

(٤) عروة بن أذينة، شعر عروة بن أذينة، تحقيق: يحيى الجبوري (مطابع التعاونية اللبنانية،

١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، ج ٣، ص ٣١٠. التلة: القطعة من الغنم. المغار: مصدر ميمي من أغار.

(٥) المبرد، الكامل، ج ٣، ص ٢٠٦.

(٦) أبو علي، هارون بن زكريا الهجري، التعليقات والنوادر، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض: شركة

المبنيان، ط ١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م) ج ٣، ص ١٣٥٣.

وفي أبيات عمرو ذي الكلب نرى كيف أن اللذب: "أويس"، انقضى على الأغنام انقضاؤا السهم، فاخطف منها إحدى سميناتها، ولم يقتصر ذلك على بيان الاختطاف فحسب، بل أشاع الذعر والفرع فيها، كما عبر عن ذلك قائلاً:

يا ليت شعري عَنكَ وَالْأَمْرُ عَمَّ (١)
 هل جاء كعبٌ عنك من بين النَّسَمِ (٢)
 ما صَنَعَ اليوم أُويسٌ في الغنم
 صُبُّ لها في الرِّيحِ مِرْيَحٌ أَشَمِ (٣)
 فاعتامٌ منها لَجَبَةٌ غَيْرَ قَزَمِ (٤)
 حاشِكَةَ الدَّرَةِ وَرِهَاءَ الرِّخَمِ (٥)
 فجنثتُ لا يَشْتَدُّ شَدِّي ذو قَدَمِ
 وفي الشُّمَالِ سَمْحَةٌ مِنَ النَّشَمِ (٦)
 صفراءُ من أقواسِ شيبانَ القُدَمِ (٧)

(١) عمم: عام.

(٢) النسَم: الناس.

(٣) مريح: من المرح، ولعله مريح، كما في اللسان.

(٤) اعتام: اختار. لجة: هي التي أتت عليها أربعة أشهر من ولادها، فخف لبنها.

القزم: اللثيم من كل شيء.

(٥) حاشكة: حافل. ورهاء: مجنونة. الرخم: المحبة. يقول: هي حاشكة الدرة وقد ولّى لبنها. ورهاء الرخم: ترام ولدها وتحبه.

(٦) سمحة: قوس سهلة ليست بكزة. النشم: شجر.

(٧) شيبان: رجل كان يعمل القسي. القدم: العتق، صفة للقسي.

تَعَجُّ فِي الكَفِّ إِذَا الرَّامِي اعْتَزَمَ^(١)
 تَرْتُمَ الشَّارِفِ فِي أُخْرَى النُّعْمِ^(٢)
 قَلَّتْ خَذَمَا لَا شَوَى وَلَا شَرَمَ^(٣)
 قَدْ كُنْتُ أَقْسَمْتُ فَتَيْتُ القِسْمِ
 لئن نَأَيْتُ أَوْ رَمَيْتُ مِنْ أَمَمِ^(٤)
 لِأَخْضِيَنَّ بَعْضَكَ مِنْ بَعْضِي بِدَمِ^(٥)

وقال أعرابي آخر:

أودى بوردة أمّ الورد ذو عَسَلٍ من الذئب إذا ما راح أو بكرا^(١)
 لولا ابئها وسليلاّت لها غُرَّرُ ما انفكت العين تذري دمعها نُررا
 كأنما الذئب إذ يعدو على غنمي في الصبح طالبٌ وثرٍ كان فاثّارا^(٢)
 اعتمها اعتماه شئنٌ برائنه من الضّوّاري اللواتي تقصم القصّرا^(٣)

(١) تعج: تصوت. اعتزم: اعتمد.

(٢) ترثم: تحسن. الشارف: الناقة المسنة. النعم: الإبل.

(٣) خذلها: خذ الرمية. الشوى: الذي يتعدى المقتل. الشرم: شق الجلد من عرض.

(٤) من أمم: من قصد.

(٥) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج ١، ص ص ٥٧٥-٥٧٧. وانظر

، ابن منظور، اللسان، "مرح".

(٦) وردة: اسم الشاة، وكنيتها: أم الورد.

(٧) اتأر: أدرك ثأره.

(٨) الجاحظ، الحيوان، ج ٢، ص ٢٠٣. اعتماه، اختاره. شئن: غليظ. البرائن: الأصابع، وعنى بها

الأنياب. تقصم: تقطع: القصر: الرقاب، جمع قصرة.

ونجد في أقوالهم تأييداً لهذا، يكشف عن الأثر الذي يتركه الذئب في الأغنام وأصحابها، فهم يقولون:

أفرس الراعي: غفل، فأخذ الذئب شاةً من غنمه^(١).

أنشع، أو أنشل الذئب في الغنم: أغار فيها^(٢).

الذئب يحوس الغنم: يتخللها ويفرقها^(٣).

ولأن الغنم تضعف أمام الذئب، حتى إنها تستسلم لرؤيته، وتسلم نفسها دون حركة له، قالوا:

"سَبَّعَتِ الذئاب الغنم، أي: فرستها، فأكلتها"^(٤).

ومن طريف ملاحظاتهم أن الحيوان المفترس، كالأسد، والذئب، إذا عض شاة، ثم طرد عنها، أو سبقته، أقبلت الأغنام تشم موضع العض، فيفترسها السبع، وهي تشم^(٥).

وقد بلغ من التنافر بين الذئاب والأغنام حداً، جعل الأغنام لا تقرب من رائحة الذئب، قال أحدهم:

وَتَكَرَّهُ بَنَّةَ الْغَنَمِ الذَّائِبِ^(٦)

وهو معنى مقلوب، يُقصد منه أن الغنم هي التي تكره رائحة الذئاب، أما الذئاب، فأحب شيء إليها هو رائحة الأغنام، فالذئاب لا تكره بَنَّةَ الْغَنَمِ أبداً.

(١) ابن منظور، اللسان، "فوس".

(٢) الزبيدي، التاج، "فوس".

(٣) المصدر نفسه، "شع".

(٤) ابن منظور، اللسان، "سبع".

(٥) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٧، ص ٣١٩.

(٦) ابن منظور، اللسان، "بنن".

أما وقت هجوم الذئب عليها، فهو مع الصبح، لأنه يظل يرقب فترة الكلب وكَلالته، لأن الكلب يبات ليلته دائماً يحرسها^(١).

هذا من حيث اعتدائه وافتراسه، أما طريقته في أكل الأغنام، فقدّموا عنها ملاحظاتهم التالية:

"إذا دنا من الغنم يعوي حتى يستمع الكلب عواه، فيقصد تلك الجهة ثم يمتنع إلى جهة غير تلك الجهة، فيكون الكلب بعيداً عنها، ويسلب شاة يأخذ بقفاها، ويضربها بذنبه، وتبقى الشاة تعدو معه، ولا يفعل ذلك إلا قبل طلوع الشمس، ويعلم أن الكلب بعيد عنها، وكذلك الراعي يحرس طول الليل، وفي ذلك الوقت يغلبه النوم، وهو أيضاً الوقت الذي ينام فيه الكلب على ما عُرف من نومه عند هبوب نسيم السَّحَر"^(٢).

"أن الذئب يأخذ السخلة، فيحملها، وينهب بها زاماً، أي: رافعاً رأسه، حتى قيل: زَمَّها الذئب وازدمها"^(٣).

ومن ملاحظاتهم الطريفة قولهم عن الشاة، إضافة إلى ما سبق:

"إذا أخذها الذئب، عدت معه، حتى لا يكون عليه منها مؤونة، وهو إنما يريد أن يُتَحَّيها عن الراعي والكلب، وإن لم يكن هناك كلب ولا راع، فيرى أن يجري على عادته في التحفظ"^(٤).

على أنهم لاحظوا أن:

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٢، ص ٢٠٣.

(٢) العمري، مسالك الأبيصار وممالك الأمصار، ص ٥٨. وانظر: القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٣٤.

(٣) ابن منظور، اللسان، "زَمَم".

(٤) كشاجم، المصايد والمطاردة، ص ٤٤.

"الذئب لا تجتمع على قطع واحد، والذي يُخاف من الذئب السُّلَّة والحُطْفَة"^(١).

وليس ذلك فحسب، بل إنهم ذكروا أفاعيل الذئب في الشاة المفروسة، فقالوا: "الذئب يفرفر الشاة، أي: يمزقها"^(٢).

والذئب يأكل، أول ما يأكل، الأحشاء من الفريسة، ولهذا قالوا: "أفرس الذئب بطن الشاة: إذا شَقَّه"^(٣).

ثم هو، كما لاحظ العرب، يعمد إلى عين الشاة، فيبتلعها؛ ولهذا قالوا: "أكل الذئب عين الشاة: إذا شرب ما فيها من المخ والبياض"^(٤).

أو قالوا:

"أكل الذئب من الشاة الحدلقة، أي: العين"^(٥).

أو قالوا:

"ألتحص الذئب عين الشاة: إذا شرب ما فيها من المخ والبياض"^(٦).

ولكن الذئب تعمد أيضاً إلى التهام لحم الشاة من غير الاقتصار على الأحشاء، أو العين، ولذلك قالوا:

"أكل الذئب الشاة، فما ترك منها تاموراً، أي: شيئاً"^(٧).

أما حكاياتهم حول هذه العلاقات المتوترة بين النوعين، فمنها ذلك الخبر

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٣٠٣.

(٢) الزبيدي، التاج، "قرو".

(٣) ابن منظور، اللسان، "فرا".

(٤) الزبيدي، التاج، "لحص".

(٥) ابن منظور، اللسان، "حلق".

(٦) الزبيدي، التاج، "لحص".

(٧) ابن منظور، اللسان، "تمر".

المشهور عن الأعرابي الذي ربى ذئباً، فلما نشأ الذئب، عدا على بعض غنمه، فافترسها، فقال الأعرابي:

فَرَسْتَ شَوْيَهَتِي وَفَجَعْتَ طِفْلاً
وَنَسَوْنَا وَأَنْتَ لِهِمْ رَبِيبٌ
نَشَأْتَ مَعَ السُّخَالِ وَأَنْتَ طِفْلٌ
فَمَا أَدْرَاكَ أَنْ أَبَاكَ ذَيْبٌ
إِذَا كَانَ الطَّبَاعُ طَبَاعَ سَوْءٍ
فَلَيْسَ بِمُصْلِحٍ طَبِيعاً أَدِيبٌ^(١)

وهذه حكاية رمزية بطلاها الذئب والنعجة، وفحواها هذه العداوة الأبديّة بينهما، قدّم لها حمزة الأصبهاني بقوله:

"وهذه الأبيات منقولة من حديث طويل من أحاديث الأعراب".

وَأَنْتَ كَذِئْبِ السَّوِّءِ إِذْ قَالَ مَرَّةً
لِعُمْرُوسَةَ وَالذَّئْبُ غَرَثَانُ مُرْمِلٌ^(٢)
أَنْتَ الَّذِي مِنْ غَيْرِ جُرْمٍ سَبَّيْتَنِي
فَقَالَ مَتَى ذَا؟ قَالَ ذَا عَامٍ أَوَّلٌ
فَقَالَ وَوُلِدْتَ الْعَامَ بَلْ رُمْتَ ظَلَمْنَا
فَدُونُكَ كُلَّنِي لَا هُنَاكَ مَاكَلٌ^(٣)
ومن أقوالهم التي ما زالت تحتاج إلى تحقيق قولهم: اللَّهُمَّ ذُئْبًا وَضَبْعًا^(٤).

أي: اجمعهما في الغنم.

وقال الشاعر:

وكان لها جاران لا يخفراها
أبو جعدة العادي وعرفاء جبال
والمعنى: أن أبا جعدة، أي: الذئب، والعرفاء الجبال، أي: الضبع، إذا
اجتمعا في الغنم، منع كل منهما صاحبه^(٥).

(١) العسكري: جمهرة الأمثال، ج ٢، ص ٣٠.

(٢) العمروسة: النعجة. غرثان: جائع.

(٣) الأصبهاني، الدرر الفاخرة، ج ١، ص ٢٩٤ - ٢٩٥. وينسب للمجنون.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه، ص ٣٢٩.

إن تكرار هذا الاستعمال يعني كونه فكراً معيناً ثابتاً، يمكن البناء والقياس عليه، فمثلاً يقول أحدهم:

تَفَرَّقَتْ غَنَمِي يَوْمًا فَقَلْتُ لَهَا يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذَّئْبَ وَالضَّبْعَا

أي أنه دعا لها بالسلامة؛ لأنهما إذا وقعا في الغنم، اشتغل كل منهما بصاحبه، فتسلم الغنم^(١).

وهذا هو المعنى المتفق مع المطلوب، والمسائر للنمط العام. أما أن نفهم عكس ذلك، كما رجَّح ابن منظور، أي:

"دعا عليهم بأن يقتل الذئب أحياءها، وتأكل الضبع موتاها"^(٢).

فهو مناقض للمصلحة الشخصية لصاحب الغنم، كما أنه غير متفق مع عدم اجتماعهما معاً على الفريسة.

وبهذا لا يصح ما رآه قطامش، بناء على ترجيح ابن منظور للرأي الأول من أن:
"العربي إذا غضب على غنمه، دعا عليها بتسليط الذئب والضبع"^(٣).

الكلاب

تبيّننا من قَبْلُ أن العرب اعتقدوا أن "الديسم" تولد من اجتماع الذئب والكلبة، وهو أمر لا صحة له، ذلك أن تحديد الجنس المتوالد من هذا الاجتماع علمياً، يقع في جنس الكلاب، وليس في جنس الذئاب، وله طبيعة خاصة شبيهة جداً بطبيعة الكلاب، وإن أخذت شيئاً من طبيعة الذئاب، إذ يغلب عليها النُباح

(١) ابن منظور، اللسان، "ضبع".

(٢) المصدر نفسه.

(٣) عبدالمجيد قطامش، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية، (دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع

والعواء، لا العويل، وهي تتجمع في شكل جماعات كلبية، أكثر من تجمعها في جماعات ذئبية^(١).

ولقد عرض الجاحظ إلى فكرة تلاقح السبع والكلبة. ومرة أخرى، فإن المقصود بـ"السبع" أو "السباع"، هو "الذئب"، أو "الذئب"، وهو النوع الوحيد الذي يمكن اجتماعه بالكلاب، لائتلاف النوعين في فصيلة واحدة، وهي الفصيلة الكلبية. يقول الجاحظ:

"زعم صاحب المنطق أن أصنافاً أخرى من السباع المتزاوجات المتلاقيات مع اختلاف الجنس والصورة، معروفة مثل الذئب التي تسفد الكلاب في أرض رومية.... قال: وبين الحيوان الذي يسمى باليونانية طاغريس وبين الكلب، تُحْدَث هذه الكلاب الهندية. قال: وليس يكون ذلك من الولادة الأولى"^(٢).

ثم يضيف:

"وزعموا أن نتاج الأولى يخرج صعباً، وحشياً، لا يُلقَن، ولا يُؤلف"^(٣).
وقد بين الجاحظ بعض هذه الملاحظات في قوله:

"وزعم لي بعضهم، عن رجل من أهل الكوفة من بني تميم، أن الكلبة تعرض لهذا السبع حتى تلقح، ثم تعرض مثله مرارا، حتى يكون جرو البطن الثالث قليل الصعوبة يقبل التلقين، وأنهم يأخذون إناث الكلاب، ويربطونها في تلك البراري، فتجيء هذه السباع، وتسفدها، وليس في الأرض أنى يجتمع على سفدها، ولا ذكر يجتمع له من النزوع إلى سفاد الأجناس المختلفة، أكثر في ذلك من الكلب والكلبة. قال: وإذا ربطوا هذه الكلاب الإناث في تلك البراري، فإن كانت هذه السباع هاتجة، سفدها".

(١) انظر ماسبق، ص ص ٩-١٣.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ص ١٨٣-١٨٤.

(٣) المصدر نفسه. وانظر عن الكلاب الذئبية: Scott, Painted Wolves

وعلى الرغم من أن الجاحظ قال في جملة من ذلك: "إذا ربطوا هذه الكلاب الإناث... وإن لم يكن السبع هائجاً، فالكلية مأكولة"^(١).

ومن الثابت علمياً أن الذئب تغذى على الكلاب^(٢)، ويبدو أن هناك نوعاً من الكلاب المدربة الخاصة، تستطيع مهاجمة الذئب والتغلب عليها؛ ولذلك حددوها بأنها "الكلاب السود" خاصة، حتى قالوا: كخوف الذئب من سود الكلاب^(٣). أو هي البقع، وروي: كخوف الذئب من بقع الكلاب^(٤). ذلك أن:

"البقع شر الكلاب، والتبقع هجنة، وسودها أكثر عقوراً، وهي شرها"^(٥). وعلى الرغم من غموض هذا التعريف، فإنه يمكن الاستدلال عليه بما جاء عن بدو سينا:

"أما كلابهم، فثلاثة أنواع؛ العكَل: لحماية الغنم من الذئب والضباع؛ والسلق...؛ والضُّري؛ وهو... جنس مولد من العكَل والسلق... والبدو يقتنون كلاب الضُّري، لمنع أذاه".

أي: لمنع أذى الذئب^(٦).

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ١٨٤.

(٢) Mech, The Wolf, p.173.

(٣) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ٢٣٩.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٢٦١.

(٥) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ٢٤٠.

(٦) نعوم بك شقير، تاريخ سينا القديم والحديث وجغرافيتها (بيروت: دار الجيل، ط ١،

١٤١١هـ/١٩٩١م)، ص ١٠٠.

ولعل الضري هو: الجعري (كما يُسمى في نجد والخليج).

ومن أمثالهم حول الذئب والكلب، قولهم:

"وقع الكلب على الذئب، ليأخذ منه مثل ما أخذ".

يضرب في الانتصار من الظالم^(١).

ومن أشهر أقوالهم قول النابغة:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتنتفي مَرَضَ المستأسد الحام^(٢)

الحيوانات البرية

الأرانب

الأرانب من الحيوانات التي يصطادها الذئب بعد مطاردة وشيكة^(٣). وقد نقل

أحدهم صورة ذئب قبض على أرنب، فقال:

وَالسُّعْسُعُ الْأَطْلَسُ فِي حَلْقِهِ عِكْرَشَةٌ تَنْتَقُ فِي اللَّهْزَمِ^(٤)

البقر الوحشي

من أقدم الصور التي تشكلت لدينا عن علاقة الذئب بالحيوانات الأخرى

صورة البقرة في أبيات لبید من معلقته المشهورة، إذ قدم تفصيلاً دقيقاً لهذين الحيوانين

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٣٧٣.

(٢) زياد بن معاوية، النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة:

دار المعارف، ط ٢، ١٩٨٥م) ص ٨٤.

(٣) Fareley Mowat, Never Cry wolf in great stories of the Animal (Hong king) Toppen Pirikktng co.

ltd., n.d) p.179.

(٤) الزبيدي، التاج: "سعسع". السعسع: الذئب. العكرشة: الأرنب. تنتق: تصيء. الهمزم: مجتمع اللحم

بين الماضع الذي يكون في أصل الحنك عند منحنى اللحيين، أسفل من الأذنين.

الذين يشتركان في معيشتها في الخلاء والبعد عن أعين الصيادين. ومن المعروف في الدراسات العلمية الحديثة التي قُدِّمت عن الذئب أنه لا يهاجم بمفرده الحيوانات الكبار: كالأبقار، والإبل، والحمير، وإنما يهاجم أبناءها، عندما يتأكد من ابتعاد أمهاتها عنها. وفي تلك الصورة نرى البقرة سائرة مع القطيع، وهو منظر ركزت عليه الدراسات الحديثة أيضاً، وكانت منشغلة عن ابنها، وهي ترعى مع القطيع نهاراً، وبعد أن قرر القطيع مغادرة المكان، بعد أن اقترب المساء، التفتت نحو ابنها الذي كان يرعى بمحذاتها، فلم تجده، فراحت تبحث عنه في ذلك المكان، وقد داخلها هاجس الخوف عليه، ولكنها مع ذلك كانت مطمئنة إلى العثور عليه؛ لأنها حين صاحت بصوتها الحزين ذاك (بغامها)، وكانت تأمل أن يجاوبها بصياح مثله، تستدل به على مكانه بين النبات، ولذلك قال:

خنساء ضيعت الفريز فلم يرِمَ عُرَضَ الشقائق طَوْفُهَا وَيُغَامِهَا^(١)

ولكنها أدركت بعد قليل أن الذئب افترسته، فعدت حزينة بائسة، تُكِنُّهَا الخمائل عن الأمطار الغزيرة التي تهطل عليها. ولم تختلف قصة البقرة عند الأعشى^(٢) عنها عند ليبي، إلا أن بقرة الأعشى لم تكن مع قطع، بل كانت بمفردها مع عجلها، وكذلك كانت بقرة النابغة الجعدي^(٣) وحيدة مع عجلها. كما قدّم ليبي صورة أخرى للبقرة وحيدة في أبياته اللامية^(٤). ومن الملاحظ أن طبيعة البقر تكاد تكون واحدة، فهي إذ تذهب للرعي، تنهك فيه، وتنشغل عنه من غدوتها حتى المساء.

(١) ابن ربيعة، شرح شعر ليبي، ص ٣٠٨. خنساء: تأخر أنفها وقصر. الفريز: ولد البقرة. لم يرِم: لم يبرح. بغامها: صوتها.

(٢) الأعشى، ديوان الأعشى، ص ١٥٥، وانظر ص ١٣٢.

(٣) الجعدي، شعر النابغة الجعدي، ص ص ٦٢-٦٣.

(٤) ابن ربيعة، شرح ديوان ليبي، ص ٢٧٠.

ونجد الصورة نفسها عند ابن مقبل، فهي تجمع بين بقرة لبيد وبقرة الأعشى، وبقرة لبيد كانت مع قطع، فتأخرت عنه بسبب ابنها، وبقرة ابن مقبل كذلك، أخذها عن صواحبها ابنها:

أَوْعَجَّةٌ مِنْ إِرَاحِ الرَّمْلِ أَخَذَلَهَا عَنْ إِيْفِهَا وَاضِحُ الْخَدَّيْنِ مَكْحُولٌ^(١)

وأبقار لبيد كانت في شقائق من الرمل، والعبارة نفسها لمجدها عند ابن مقبل:

يَشْقُوهُ مِنْ نَقَا الْعَرَافِ يَسْكُنُهَا جِنَّ الصَّرِيمَةِ وَالْعَيْنِ الْمَطَافِلِ

ومع أن لبيداً يختصر القصة، فيجعل الذئب قد أكل الابن، نجد ابن مقبل يوجد نوعاً من الحوار الداخلي عند البقرة، يعيدنا إلى صورة البقرة عند الأعشى في عينيته حيث تعود البقرة، وأنداؤها مليئة بالحليب، فتجد الابن مأكولاً:

حَتَّى إِذَا فَيْقَةً فِي ضَرَعِهَا اجْتَمَعَتْ جَاءَتْ لِتُرْضِعَ شِقُّ النَّفْسِ لَوْ رَضَعَا^(٢)

وابن مقبل يقول: إن إحلليها - أي: مخرج اللبن منها - مليء بالحليب

أيضاً:

تَعْتَادُهُ بِفُؤَادِ غَيْرِ مُقْتَسَمٍ وَوَرَّةٌ لَمْ تَخَوَّنْهَا الْأَحَالِيلُ^(٣)

ولكن ابن مقبل طور الصورة كثيراً، فقد توقف لبيد والأعشى عند قتل العجل، مع اختلاف يسير، كما قال لبيد: "تنازع شلوه..."^(٤)، أما ابن مقبل، فقد

(١) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٣٨٤.

(٢) الأعشى، ديوان الأعشى، ص ١٥٥. الفيقة: اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين. شق النفس: أي قطعة من نفسها.

(٣) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٣٨٥، تعاده: تلمم بولدها. فواد غير مقتسم: أي لم يقتسم فواد البقرة همً غير ولدها. الدرّة: الحليب. لم تخونها: لم تنقصها، لم تحلب، ولم ينقص لبنها. الأحاليل: جمع إحلليل، وهو مخرج اللبن من الضرع.

(٤) ابن ربيعة، شرح ديوان لبيد، ص ٣٠٨.

بين لنا كيف قتل الذئب العجل الرضيع، ووصف الذئب نفسه، وإذا كان الاثنان قد بينا انصراف البقرة يائسة حزينة، فإن صورة ابن مقبل، إنسانية خالدة للأمومة، حين يصور شدة فجيعتها عندما سمعت نغاء ابنها، فطار قلبها نحوها، فإذا النبات اللين الناعم، يكاد يمزق أحشاءها، والزبد يطفح على جوانب خديها، ثم هي لا تبالي ما تطأ بالأرض وهي منطلقة نحوها. ثم تبلغ الصورة أقصى روعتها، فيمثلها حينما يشبهها، وهي تقلب ابنها المتمرغ في دماثة، بشأبة فقدت سيوارها، وكانت فرحة به؛ لأنها خضبت يديها، وفجأة تفقد ذلك السوار، فتفقد معه فرحتها به، وهو تمثيل يشير إلى أن العجل كان أول ولد للبقرة، وهي إشارة أخرى إلى أنها كانت بكرًا، فكانت أشد فرحاً بمولودها الأول وأكثر فجيعة به، يقول:

كاد اللعاعُ من الحوذانِ يَسْحَطُها ورجرجُ بين لَحْيَيْها خَنَاطيلُ^(١)

ويتوافق ابن أحمَر في تقسيمات الصورة مع سابقه، فهذه بقرة أجبرها ولدها على التأخر عن رفيقاتها، وهي تعرف أن هذا الموقع تكثر فيه الذئاب، فهي تحوم حوله، ولكنها مثل بقية البقر، شغلها الأكل عن شقيق نفسها، مما مكن الذئب من اقتناصه. وكذلك كانت بقرة النابغة الجعدي وحيدة.

وهذا المناخ الجغرافي هو مناخ الربيع في صحراء الجزيرة العربية، كما هو معروف. ومن المهم أن نلاحظ أن زمن وجود هذه الأبقار كان ربيعاً، لأنه هذا الزمن الذي يتناسب مع زمن ولادة البقر، وهذا واضح في قول ابن أحمَر:

في يومِ طُلٍّ وأشباؤٍ وضافيةٍ شهباً وثلجٍ وقَطْرٍ وَقَعَهُ دَرَرٌ^(٢)

(١) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٣٨٧. اللعاع: أول النبت. الحوذان: نوع من النبات. يحطها: يقتلها. الرجرج: اللعاب. الخناتيل: القطع المتفرقة من لعابها.

(٢) يوم طل: ذو طل. أشباؤ جمع الشبه: شجرة كثيرة الشوك. الضافية: السحابة الكثيفة التي دنت من الأرض، يقال سنة شهباء: إذا كانت كثيرة الثلج مجدبة. الدرر: جمع درة، وهي الصب أو الأمطار التي تتبع بعضها بعضاً.

حتى تنأهى به غَيْثٌ وَكَجَّ بِهَا بَهْوٌ تَلَاقَتْ بِهِ الْأَرَامُ وَالْبَقْرُ^(١)
 إن السؤال الذي يدور بخلد قارئ هذه الأشعار هو: لماذا نفهم أن "السبع"،
 الذي يرد في هذه القصائد، دون التصريح بأنه الذئب، وليس سواء؟
 وقد تبدو الإجابة مضللة، لو اعتمدنا على الاستنتاج الشخصي، ولكن حين
 نعود إلى قول الشُّرَّاح، فس نجد أنهم يتفقون على أنه الذئب، والذئب وحده، وليس
 هو الأسد، أو الضبع، أو غيرهما، كما قد يتبادر إلى الذهن. جاء في اللسان:
 "ابن مقبل يصف بقرة أكل السبع ولدها:

كاد اللعاع من الخوذان يسحطها ورجرج بين لحبيها خناطيل
 أي: لما رأت الذئب أكل ولدها"^(٢).

وفي: موضع آخر قال:

"ابن أحمر يصف بقرة يختلف الذئب إلى ولدها:

تُرِي لَه فَهوَ مَسْرُورٌ بَطْلَعْتَهَا طَوْرًا وَطَوْرًا تَنَاسَاهُ فَتَمْتَكِرُ^(٣)
 ولتأكيد هذا من الشعر الذي يصرِّح أن الذئب هي التي تقتل الصغار،
 نستشهد بقول أحدهم:

كَأَطُومٍ فَقَدَتْ بُرْزُغَهَا أَغْصَبَتَا الْغُبْسُ مِنْهُ عَدَمًا^(٤)
 غفلت ثم أتت تطلبُّه فإذا هي بعظامٍ ودما^(٥)

(١) الباهلي، شعر ابن أحمر، ص ٩٧. تنأهى به: كانت نهايته سقوط المطر. البهو: أماكن البقر. لج بها
 بهو: اختلف صوتها مع صوت الأرام والبقر في البهو. الأرام: مع رثم، وهو الظبي الخالص البياض.

(٢) ابن منظور، اللسان، "رجرج".

(٣) المصدر نفسه، "ربأ".

(٤) الأطوم: البقرة الوحشية. البرزغ: ولدها. الغبس: الذئب.

(٥) ابن الشجري، الأمالي، ج ٢، ص ٢٢٩.

فهذه صور لا تبيّن منها فقد الولد عياناً، ولكننا ندركه ونعيه، سيراً على النمط التصويري عندهم، وهذا ما يقوله زهير صراحة في صورة موسّعة لصورة طرفه، وفي القالب نفسه:

تَنجُو كَذَلِكَ أَوْ نَجَاءَ فَرِيدَةٍ ظَلَّتْ تَتَّبِعُ مَرْتَعاً بِالْفَرَقْدِ ^(١)
 بَيْنَا تُرَاعِيهِ بِكُلِّ خَمِيلَةٍ يَجْرِي عَلَيْهَا الظَّلُّ ظَاهِرُهَا نَدِي ^(٢)
 غَفَلْتُ فَخَالَفَهَا السَّبَاعُ فَلَمْ تَجِدْ إِلَّا الْإِهَابَ تَرَكْتَهُ بِالْمَرْقَدِ ^(٣)
 حَتَّى إِذَا مَا انْجَابَ عَنْهَا لَيْلُهَا وَتَلَدَّدَتْ بِالرَّمْلِ أَيُّ تَلَدُّدِ ^(٤)
 وَرَأَيْتَهَا نَكْبَاءً تَحْسَبُ أَنَّهَا طَلَيْتْ بِقَارٍ أَوْ كَحَيْلٍ مُعَقَّدِ ^(٥)
 وَتَيَمَّمَتْ عُرْضَ الْفَلَاةِ كَأَنَّهَا غَرَاءٌ مِنْ قِطْعِ السُّحَابِ الْأَقْهَدِ ^(٦)

وقول الأعشى:

(١) تنجو: أي ناقته تسرع، كذلك - إشارة إلى تشبيه الحمار قبل هذا. فريدة - بقرة منفردة. بالفرقد: أي مع الفرقد، والفرقد، هو ولد البقرة الوحشية.

(٢) تراعيه: ترعى معه أو تحفظه. الخميعة: رملة فيها شجر. الطل: الندى. ظاهرها ند: لقلعة الماء، لم يبلغ الأوصول.

(٣) خالفه السباع: أي إلى ولدها، فأكلته. الإهاب: الجلد. المرقد: حيث يرقد ولدها.

(٤) انجاب: المكشف عن البقرة ليلها، أي أصبحت. تلددت: ترددت وتلفتت تطلب ولدها.

(٥) رأيتها: أي البقرة. نكباء: متكببة مائلة عن الطريق. القار: هناء الإبل الرقيق، وهو يعني سواد خديها وقوائمها. الكحيل: الخضخاض الرقيق يخرج من عين من الأرض مثلما يخرج ال: يعقد بالثار.

(٦) زهير بن أبي سلمى، شرح شعر زهير بن أبي سلمى، تحقيق: فخر الدين قباوة (حلب: دار القلم، ط٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م) ص ١٩ ناحية الفلاة. كأنها كأن البقرة غراء: سحابة بيضاء، شبه بياض البقرة الوحشية بياض السحاب. الأقهة: الأبيض، شبه بياض ظهر البقرة بالسحاب؛ لأن البقرة في خديها وقوائمها سواد، وسائرهما أبيض.

وَعَيْنٍ وَحَشِيئَةٍ أَغْفَتَ فَأَرَقَهَا صَوْتُ الذَّنَابِ فَأَوْفَتَ نَحْوَهُ دَابًّا^(١)

بل إن اللغويين فصلوا بين الذئب والضبع في السبعية، فقالوا:

"السبع المفترس من الحيوان، الأسد، والذئب، والنمر، والفهد، وما أشبهها؛ مما له ناب، ويعدو على الناس والدواب، فيفترسها. أما الثعلب، وإن كان له ناب، فإنه ليس بسبع؛ لأنه لا يعدو إلا على صغار المواشي، ولا يُنِيب في شيء من الحيوانات، وكذلك الضبع، لا يُعَدُّ من السَّبَاعِ العَادِيَةِ... وأما ابن أوى، فإنه سبع خيث، ولحمه حرام؛ لأنه من جنس الذئب، إلا أنه أصغر جُرْمًا، وأضعف بَدَنًا"^(٢). وهناك سبب علمي يدفعنا إلى تأكيد معنى السبع في الذئب لا الضبع، وهو أن الضباع تكون مجتمعة، على عكس الذئب العربية أو في صحراء العرب التي توجد في أغلب الأحيان منفردة^(٣).

وإضافة إلى هذا، وبما يتوافق مع طبيعة الذئب في الاختلاس والاختصاص والسطو، فإن الأسد، أو النمر، مثلاً، لن يتحاشى الاصطدام بالبقرة نفسها، كما يفعل الذئب، وإنما ستكون البقرة، وما في حجم البقرة، هي نفسها عرضة لافتراس الأسد أو النمر، وليس الذئب.

وقد تولد عند الأبقار حس حذر من الذئب، ولذلك يركز الشعراء على إيجاد الأبقار في كئناها، تحت شجرة أرطاة، أو مكان أمين، يقول أحدهم:

أنت سِلْدَرَةٌ من رمل حَوْمَلٍ فابتن (لها بيتاً فلا) تحاذر ذيباً^(٤)

(١) الأعمى، ديوان الأعمى، ص ٤١١. أوفت: أنت نحو الصوت. دابا: مخففة من داب، أي مضت واستمرت.

(٢) ابن منظور، اللسان، "سبع".

(٣) Milles, Kalahari Hyeanas, pp. 93, 99 - 100, 103 - 111.

(٤) الحشاء، المنصوري في البيزة، ص ١٣٠. والشطر الثاني مكسور. ولعل الرواية: "بها بيتها فلا....".

ولو أردنا أن نتوسّع شيئاً ما في الاستنتاج، فقد يساعدنا ما تقدم على فهم الصور الإشارية إلى فقدان البقر أولادها، على أن ذلك الفقد تم على يد الذئب وحده، فمن هذا قول طرفة في ناقته:

طَحُورَانِ عُوَارِ الْقَدَى فَتَرَاهُمَا كَمَكْحُولَتَيَّ مَدْعُورَةَ أُمَّ فَرَقْدٍ (١)

فطرفة في صورة إشارية يقول القصة نفسها التي فصلّ فيها سواء. ونجد هذا أيضاً في قول ابن الدمينية في تشبيهه محبوبته:

بِيضَاءُ مِثْلُ مِهَاءِ الرَّمْلِ أَخَذَلَهَا عَنْ الْمَهَا جُوْدُرٌ قَدْ رَادَ أَوْ كَرَبَا (٢)

وفي تفصيل أكثر يقول النمر بن تولب:

وَكَانَهَا عَيْنَاءُ أُمَّ جُوَيْنِيرٍ خَذَلَتْ لَهَا بِالرَّمْلِ خَلْفَ صُورَاهَا (٣)

خَرِقٍ إِذَا مَا نَامَ طَافَتْ حَوْلَهُ طُوفَ الْكَعَابِ عَلَى جَنُوبِ دَوَارِهَا (٤)

على أن الملاحظة المهمة هنا هي التعبير بـ "جوذر"، و"فرقد" و"جوينر" و"برزغ"، و"خرق"، بل بكل وضوح: "جاءت لترضع" و"درة لم تخونها الأحاليل"، فكل ذلك يدل على حداثة الولادة. ثم إن البقر ترعى نهاراً، وهي تضع مولودها في خميلة "بكل خميلة" أو وسط متعرجات الرمال، ويبدو أن الذئب تحتل العجل أول النهار، وهو وقت يمكن أن تخرج فيه، وهو وقت يتناسب أيضاً مع خروج البقر للرعي.

(١) ابن العبد، ديوان طرفة، ص ٢٣. أم فرقد: البقرة الوحشية. طحوران: تطرحان. عوار القدى: وسخ العين. مدعورة: تشوّف النظر إلى ولدها وأخذت النظر إليه إشفاقاً.

(٢) عبدالله بن عبيدالله بن الدمينية، ديوان ابن الدمينية، تحقيق: أحمد راتب النفاح (القاهرة: مطبعة المدني، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م) ص ١٢٢. راد: ذهب وجاء. كرب: كثرت نفرته.

(٣) أم جوذر: البقرة الوحشية.. الصوار: القطع من البقر..

(٤) النمر بن تولب، شعر النمر بن تولب، صنعة نوري حمودي القيس (بغداد: دار المعارف،

الحمر الوحشية

فهمنا قبل قليل أن الذئاب هي التي تفترس العجول، ولم نشاهد قصة تقتل فيها الذئاب البقرة الوحشية، ولعل الأمر يعود إلى أن البقر الوحشي يكون قطعاً باستمرار، وأنها تخذل صواحبها - أي: تتأخر عنها اقتراباً من ابنها وشفقة عليه - وسرعان ما تعاود اللحاق بها والانضمام إليها. وغالباً ما يحتمي الثور الوحشي، أو البقرة الوحشية، في الليل، في كناسه تحت أرطاة، أو غرقد، ووسيلة دفاعها هي قرونها.

أما الحمر الوحشية، فهي عادة ما تكون قليلة العدد، ومعروف أنها تسير ليلاً، وترتاح نهاراً، وهي حذرة، يقظة، شديدة الاحتراس، تدافع عن نفسها بحوافرها الصلبة.

ومع كل هذا، فقد اقتصرت أحاديث الشعر الجاهلي على البقر، واستمر ذلك في الإسلام، وهذا واضح على الأقل من شعر ذي الرمة الذي أفاض في علاقة البقر والحمير بالصيد.

غير أنه في أواخر الجاهلية وجدنا العباس بن مرداس يقول في قتلى هوازن:

حتى تركنا جمعهم وكأنه عَيْرٌ تَعَاقَبَهُ السَّبَاعُ مُفْرَسٌ^(١)

وتمشياً مع صور البقر الوحشي، التي لم تفترس الذئاب إحداها، فإن هذا العير (الحمار) قتله الذئاب (السباع)، ولم يظفر به ذئب واحد بمفرده، لعدم قدرته عليها.

وطبقاً لما فهمنا من تعريفهم للسباع، فإن المحتمل هنا أن تكون السباع هي الذئاب أيضاً.

(١) أبو محمد، عبد الملك بن هشام، السيرة، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط ٢، ١٣٩١هـ/١٩٧١م) ج ٤، ص ١١١. مفرس: معقور، افترسته السباع.

وعلى العموم، فهذا هو شاهد نادر مقطوع، ولكن الشواهد الأخرى التي تتفق حقيقة مع الشواهد سالفة الذكر عن أكل الذئب للعجول، هي ذكرهم لأكل الجحشان، أي: أولاد الحمير. ومن اللافت للنظر أن هذه الصور كلها إسلامية، وليست من الجاهلية في شيء. وأول ما نصادفه منها، قول القطامي في تشبيه ناقته:

شِيهُ الأَثَانِ تَوَحَّشَتْ فِي قَفْرَةٍ يَهْمَاءَ فَاخْتَلَسَ السَّبَاعَ طَلَاهَا^(١)
وبعد ذلك نجد عدي بن الرقاع يصف ناقته، ويشبهها بالأثان، قائلاً:

وَعَدَتْ تَنَازِعُهُ الجَدِيلَ كَأَنَّهَا يَبْدَأُ أَكَلَ السَّبَاعَ طَلَاهَا^(٢)
حَتَّى إِذَا يَسْتِ وَأَسْحَقَ ضَرْعُهَا وَرَأَتْ بَقِيَّةَ شِلْوِهِ فَشَجَّاهَا
قَلَبَتْ وَعَارِضَهَا حِصَانُ نَحَائِصِ صَحْلُ الصَّهِيلِ وَأَدْبِرَتْ وَتَلَاهَا^(٣)
يَتَعَاوَرَانِ مِنَ الغُبَارِ مُلَاءَةً بِيضَاءَ مُحَدِّكَةً هُمَا نَسَجَاهَا^(٤)

وفي أواخر العصر الأموي نجد الطرماح يأتي بالصورة نفسها، فيقول:

ذَلِكَ أُمَّ جَيْدَاءُ يَبْدَأُ غَرَبَةَ العَيْنِ جَهَادُ المَسَامِ^(٥)

(١) القطامي، ديوان القطامي، ص ١١٩. طلاها: ولها الصغير.

(٢) الجديل: الحزام. بيدانة: أثنان تكون في البيداء. أسحق: ذهب ما فيه من اللبن.

(٣) الحصان: أي الحمار الوحشي. النحائص: جمع نحوص، وهي الأثان، لا حمل ولا لبن لها. صحل: أبح أجش. تلاها: تبعها.

(٤) العاملي، ديوان شعر عدي بن الرقاع، ص ص ١٠٤ - ١٠٥. وهي تسائر النمط في أكل الذئب ولد البقرة الوحشية.

(٥) ذلك: إشارة إلى الثور الوحشي الموصوف سابقاً. الجيداء: الطويلة العنق. البيدانة: التي تسكن البيداء، أي الصحراء. غربة العين: حديدة النظر. الجهاد: الأرض المستوية الغليظة. المسام: الموضع الذي تسوم فيه، أي ترعى.

أَكَلَ السَّبْعُ طَلاها تَسْأَلُ الأَشْباحُ غَيْرَ انْهزام^(١)
ضَمَّها الخوف إلى شُئع أَبَدَتْ الأَصْغَانُ بَعْدَ الكِتَامِ^(٢)

على أنه مما يدل على أن الذئب تأكل الحمير، هو اشتهاار أحد الأمكنة بذلك، ففي "ذغنان": في طرف "النير"، ذئب تأكل الحمير^(٣). قال الجعفري:

ولكنها سَمَاعَة صوتَ عانَةٍ تُحاذِر من ذئب يدَغنان آكل^(٤)

والصورة لا تدل على أن الحمير هنا حمير وحشية، بل هي حمير أهلية، وإن كان المقصود هو صغار تلك الحمير، أي: الجحشان.

والصورة النمطية الشائعة، سواء مع الأبقار أو الحمير الوحشية، أن الذئب تفرس صغارها، ولا تقدر على مهاجمة كبارها، وعلى هذا نفهم أن عبارة الجاحظ: "الذئب... يقع على البقر والحمير"^(٥).

تعني صغار البقر والحمير، وإن كانت البقر والحمير من طعامها.

الظباء

وهي من الحيوانات التي تقع فريسة للذئب، والذئب أكثر رغبة في لحومها، غير أنه من المعروف أن الظبية سريعة العدو، ولذلك، فإن وضع المطاردة يتطلب جهداً كبيراً، لا يقوم به ذئب بمفرده، وتعتمد الذئب في حالة مطاردة الظباء والغزلان

(١) فما تسأل الأشباح: أي إنها لا تلتفت إلى شيء مما عراها من الخوف. غير انهزام: أي إنها تعدو مهزومة.

(٢) ابن حكيم، ديوان الطرماح، ص ٢٣٨. شنع: أتن قبيحات المنظر. الكتام: اللقاح.

(٣) الأصفهاني، بلاد العرب، ص ١٦٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٦١.

(٥) الجاحظ، الحيوان، ج ٢، ص ٥١.

والوعول على وضع التطويق من كافة الجهات، ثم الهجوم دفعة واحدة^(١). ولا يقدم الشعر العربي مثل هذا الوضع، حتى إن الذئب لا يطارد الغزلان^(٢) إذ طالما تحدث الشعراء عن تجمّع على القتلى، والملاحظ أن الذئب العربي يصطاد فردياً، أو ثنائياً، ولا يشكّل مجموعة أكبر^(٣).

ونجد أحد الرُجّاز يصف وضع وثوب فقط في قوله:

يا رُبَّ أَبازٍ من العُفرِ صَدَعٌ^(٤) تَقْبِضُ الذئبُ إليه فَاجْتَمَعَ^(٥)

لما رأى أن لا دَعَةً ولا شَبَعَ مال إلى أرطاةٍ حِقْفِهِ فاضْطَجَعَ^(٦)

فالذئب تهيأً للانقضاض على الظبي، إلا أنه فقد الأمل في صيده، فمال إلى شجرة أرطاة في كتيب، فأخذ إلى الراحة.

وقدّم لنا أحمد غسان سبانو وصفاً جميلاً لمثل حركة ذلك الذئب، فقال:

"الذئب إذا أراد أن يفترس يقعي كالكلب ويزحف ويقترب من فريسته، ثم يقفز قفزة طويلة وينقض عليها..."^(٧).

ونجد الأعشى يحدثنا عن شعور الخوف والحذر عند الظباء من الذئاب، وذلك نتيجة معرفتها المسبقة بمكامن الذئاب وحالات هجومها، فهي على العكس من تلك البقرة التي تنكب على الأعشاب أكلاً، فتغفل عن عجلها، كما في معلقة لبيد مثلاً،

(١) Bradenburg, White Wolf, pp.120, 125, Seidensticker & Susen Lumpkin, dangerous Animals

(Sydney: Weldon Owen Pty., 1995) p22 .

(٢) Harrison, Mammals of the Arabian Gulf, p. 49, Gross, Mammals of Southern Gulf, p43.

Gross, Mammals of Southern Gulf p.43. (٣)

(٤) الأباذ: الوثائب. العفر: الظبي الذي يعلو بياضه حمرة.

(٥) تقبض: جمع قوائمه ليثب على الظبي. الحقف: المعوج من الرمال.

(٦) ابن منظور، اللسان، "أباز".

(٧) سبانو، حيوانات وطيور بلاد الشام، ص ٣٢ .

وكذلك بقرتنا الأعشى والناطقة الجعدي. وعلى الرغم من أن بقرة ابن مقبل كانت حديثة عهد بالتاج مثل سواها، فقد جعل الظبية تدع ابنها أمامها، وتراقبه طيلة النهار. وذلك فرق بين طبيعة الحيوانين نفسيهما، ذكاء، ويقظة، حتى ليمثل الأعشى لنا خوفها بقوله، "قد شف جسمها الإشفاق". ومع هذا، فإن ابنها لم ينج من الذئب. وهكذا، يقول:

حُرَّةٌ طَفْلَةٌ الْأَنَامِلُ كَاللُّمِّ ية لا عابِسٌ ولا مهزاقٌ^(١)
 كخذول ترعى النواصف من تده لميثَ قَفْرًا خَلا لها الْأَسْلَاقُ^(٢)
 تَنْفُضُ الْمَرْدَ وَالْكَبَابَ بِجَمَلَا ج لَطِيفٌ فِي جَانِبِهِ انْفِرَاقُ^(٣)
 فِي أَرَاكٍ مَرْدٍ يَكَادُ إِذَا مَا دَرَّتِ الشَّمْسُ سَاعَةً يُهْرَاقُ^(٤)
 وَهِيَ تَتَلَوُ رَخْصَ الْعِظَامِ ضَيْلًا فَاتِيرَ الطَّرْفِ فِي قُورَاهِ انْسِرَاقُ^(٥)
 مَا تَعَادَى عَنْهُ النَّهَارَ وَلَا تَعُد جَوَاهِرَ إِلَّا عَفَاقَةً أَوْ فُوقَ^(٦)
 مُشْفِقًا قَلْبَهَا عَلَيْهِ فَمَا تَسُدُّ لِدَوَاهِ قَدْ شَفَّ جَسْمُهَا الْإِشْفَاقُ^(٧)

(١) حرة: كريمة. طفلة: ناعمة رخصة. الدمية: التمثال والصورة. مهزاق: كثيرة الضحك.

(٢) خذول: خذلت الظبية وغيرها من الدواب تخلفت عن صاحبها وانفردت، فهي خاذل وخذول.

النواصف: جمع ناصفة وهي مجرى الماء والمكان الكثير النبات الخصب. تثليث: بلد في جنوب شرق

نجد. الأسلاق: جمع سلق (بفتححتين) وهو القاع، والقاع الوادي المظمن الذي يستقر فيه الماء.

(٣) المرء: عمر الأراك الأخضر، فإذا نضج وأدرك، فهو كباب (بفتح الكاف)، الحملاج: متفاح الصائغ شبه به قرنيها. الانفراق انفساح ما بين القرنين.

(٤) الأراك: شجر تستعمل أجزاء منه في السواك. يهراق: هراق الماء وأراقه صبه.

(٥) تتلو: تتبع. رخص: لين. انسراق: نقص وضعف.

(٦) تعادى تتباعد. تمجو: عجت الأم ولدها: أخرجت رضاعته عن مواقيته، وعجته أيضاً أرضعته، من الإضداد، العفاقة: اجتماع اللبن في الضرع بعد ما استنزف أكثره. الفواق: ما بين الحلبتين من الوقت.

(٧) تعدوه: تتجاوزته وتتركه. شف جسمها: أغله وأسقمه.

وإذا خافت السباع من الغَيِّىِّ ل وأمست وحان منها انطلاق (١)
رَوْحَتَهُ جَيِّدَاءُ ذَاهِبَةٌ الْمَرُّ نَعَّ لَا حَبَّةٌ وَلَا مِغْلَاقٌ (٢)

ولا شك أننا هنا أمام ظبية، ولسنا أمام بقرة أو وعلي، فالوعول تسكن الجبال، والأراك ينبت في الوديان، وقد اقترنت صورة الأراك بالظباء في الشعر القديم، بالإضافة إلى ما قلناه عن اختلاف طبيعة كل من البقر والظباء، فهذه حالة ظبية وليست حالة بقرة. وطريقة تناول الأراك هذه هي طريقة تناول الظباء، ثم هم إذا شبهوا المرأة بالبقرة الوحشية، اختصوا منها عينيها، أما الظبية، فتشبههم لها للتماثل التام، خاصة عنقها. واختار الأعشى لها منطقة وديان "تثليث".

وفي مثل هذا يقول علقمة الفحل:

ثُرَاعِي خَذُولًا يَنْفُضُ الْمُرْدَ شَادِنًا تَنُوشُ مِنَ الضَّالِّ الْقَدَافِ وَتَعْلَقُ (٣)

وينقلنا هذا إلى افتراض ما افترضناه سابقاً في البقر الوحشي، أي: أن الغزال، كالبقرة، اختارها الشعراء كي تغفل عن ابنها، فتفترسه الذئب، أي: أن قول زهير: يَجِيْدُ مُغْرِزِلَةً أَدْمَاءَ خَاذِلَةٍ مِنْ الظَّبَاءِ ثُرَاعِي شَادِنًا خَرِقًا (٤)

(١) الغيل: الشجر الملتصق. أمست: حل بها المساء.

(٢) الأعشى، ديوان الأعشى، ص ص ٢٥٩-٢٦١. روحته: من الرواح وهو العودة إلى المنزل في آخر النهار. جيداء: طويلة العنق. المرتع: المكان الذي ترتع فيه أي ترعى وتلعب ذاهبة المرتع، يريد أنها إذا أمست لم تبت في المرتع. حبة: تحباً درتها ولينها. مغلّاق: من علق الرجل (كفروح) إذا ضجر وقلق.

(٣) علقمة بن عبدة الفحل، ديوان علقمة، تحقيق: لطفي الصقال ودرية الخطيب (حلب: مطبعة الأصيل، ١٤، ط ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م) ص ١٢٧. المرء: العَصْ من ثمر الأراك. الضال: السدر البري. تنوش: تتناول. الشادن: ولد الظباء الذي قد قوي، وطلع قرناه، واستغنى عن الرضاعة. القداف: ما أطاق الوصول إليه. تعلق: من علق بلسانه، أي تناوله.

(٤) ابن أبي سلمى، شرح شعر زهير، ص ٣٩.

أدماء: بيضاء. خرق: الصغير الضعيف.

يعني الصورة نفسها في البقرة الوحشية مع صواحبها وابنها. وهكذا يعني قول طرفة في تشبيهه محبوبته خولة:

وفي الحيّ أَحْوَى يَنْفُضُ الْمَرْدَ شَادِنًا مُظَاهِرُ سِمَطِي لُولُوٍ وَزَيْرَجَدٍ^(١)

خَذُولٌ تُرَاعِي زَيْرِيًّا بِخَمِيلَةٍ تَنَاطُلُ أَطْرَافَ الْبَرِيرِ وَتُرْقِدِي^(٢)

وفي مثل هذا يقول أبو ذؤيب، يشبه محبوبته بظبية فقدت ولدها:

كَانَ ابْنَةُ السُّهَيْبِ يَوْمَ لَقَيْتَهَا مُوشِحَةً بِالطَّرْتِينِ هَمِجٍ^(٣)

بِأَسْفَلِ ذَاتِ الذَّبْرِ أَفْرَدَ خَشْفُهَا فَقَدَ وَلَهْتَ يَوْمِينَ فَهِيَ خَلُوجٌ^(٤)

ولكي نقتنع مرة أخرى بأن المقصود بـ"السباع"، في قول الأعشى، الذي جرى النمط عليه عند غيره: "وإذا خافت السباع"، نستشهد بقول ابن منظور في تفسيره الذي يقول:

"الأعشى يصف ظبية وغزالها:

وَتَعَادَى عَنْهُ النَّهَارَ فَمَا تَعُدُّ جَوْهَ إِلَّا عُفَاقَةً أَوْ فُوقَ

تَبَاعَدَ عَنْ وَلَدِهَا فِي الْمَرْعَى، لثلاثا يستدل الذئب بها على ولدها"^(٥).

وربما توقفتنا أخيراً عند قول أحدهم:

(١) الأحموي: الذي في شفثيه حمرة تضرب إلى السواد.

(٢) ابن العبد، ديوان طرفة، ص ٨-٩. البرير: ثمر الأراك. الريرب: القطيع من الظباء ويقر الوحش.

السمطان: السمط، الخيط من اللؤلؤ.

(٣) الهميج: الأدم من الظباء. الطرتان: طريقتان في جنبيها.

(٤) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج ١، ص ١٣٦. الخلوج: التي نزع عنها ولدها. الخشف: ولد

ذات الذئب: موضع.

(٥) ابن منظور، اللسان، "عدا".

يَذُودُ بِسَحْمَاوَيْنِ لَمْ يَتَّقَلَّا وَجَى الذئب عن طفلٍ مَناسِمُهُ مَحْلِي (١)

فهنأ خرجت الصورة على الأئمأط التي رأينأها سبقأً، لنجد الظبي يهأجم

الذئب بقرنيه الطويلين الحأدين "بسحمأوين" دفاعأً عن الغزال الصغير:

يقول عروة بن أذينة:

لها واردٌ دانٍ على جيد ظبية بسائللة ميثأً عفرٍ ذئابها (٢)

دعأها طلاً خأفت عليه بجزعها كواسبٍ لحم لا يُمنٍ أكتسأها

إذا سمعت منه بغمأاً تعطفٌ وراع إليها لُبها وانسلاها (٣)

ثم يقول:

ومن فؤرٍ يومٍ نأجم متضرمٌ بأجوازٍ مومأةٍ تعأوى ذئابها (٤)

ويقول الصمة بن عبدالله القشيري:

ولا أمٌ أأوى شادنٍ عطفٌ له قبيل طلوع الشمس أو حين ذرت (٥)

فلما سقته الدأرٌ أأجم قائماً إليها قليلاً ثم ولئى وولت

إلى مرتعٍ قد عودته ومهملٍ (سليلى) فظلت يومها حين ظلت (٦)

(١) ابن منظور، اللسان، "سحم"، "أحي". الزبيدي، التأج، "نسم". السحمأوان : القرنان. وحي:

صوت. الطفل: الظبي الرُخص. المناسم : للآبل، فاستعاره للظبي. محل : أصاب خلأً.

(٢) جيد: عنق. ميثأ: أرض سهلة ممتدة. وفي المتن "ميسأ" تصحيف. عفر: مقبرة.

(٣) تعطفت : أشفقّت. لُبها: عقلها. انسلاها: إسراعها.

(٤) ابن أذينة، شعر عروة بن أذينة، ص٢٦٢-٢٦٣، ٢٧٤. الفور: الجيشان وشدة الحر. نأجم: ظاهر

وطالع. متضرم: ملتهب شديد الحر. أجواز : جمع جوز وهو وسط كل شيء. المومأة: المفأزة.

(٥) الشادن: ولد الظبية. ذرت : طلعت.

(٦) سليلى : مصحفة صوابها ظليل.

فلما دنا الإظلام أدرك سمعها صوتاً خفياً راعها فاحزألت
تَمَارَتْ عَلَى جَرَسٍ فَتَصَّتْ بِجِيدِهَا وَكَانَتْ عَلَى طُولِ الْحَلَاءِ أَدَلَّتْ^(١)
وَدَارَتْ بِأَدْنَى عَهْدِهِ ثُمَّ رَاجَعَتْ (أماقي) ثَكَلَى مَا تَجِدُ مَا أَضَلَّتْ^(٢)
وقال مسلم بن عسكر اللين:

فَمَا مُغْزَلٌ أَدْمَاءُ جَمٍّ جُفُوئُهَا تَتَّبِعُ مَوْلِيَا (بعد بان) جَائِعٍ
أُتِيحَ لِمُعَبَّرٍ (المقاط) مُنْصَبٍ أَمِينِ الْقُوَى هَيَّامٍ بَعْضِ الرِّائِعِ^(٣)

وإذا كانت الذئب تحتل العجل الصغير أول النهار، وهو مكشوف غالباً، فإن
الظباء التي لا تدع صغارها منفردة "ما تعادى عنه النهار"، وهو أبداً تحت مرأى منها
ومسمع "تراعي شادناً خرقاً"، تكنه مساءً وسط الأشجار الملتفة، قبل حلول الظلام،
فيقتنم الذئب هذه الفرصة التي تتوافق مع ميعاد خروجه الطبيعي، ليفترس الصغير:
"فلما دنا الإظلام"، مع ملاحظة أن مرعى الظبية كان قريباً من كناس صغيرها.

وهذه هي الصورة النمطية في علاقة الذئب بالظباء، غير أنه من الممكن أن
يحاول الذئب اصطياد الغزال عن طريق المراوغة والتخفي، كما قالوا:
"الذئب يأدو للغزال"^(٤).

لقد لاحظ ابن منظور سابقاً:

"ظبية.. تباعد عن ولدها في المرعى، لثلا يستدل الذئب بها على ولدها".

(١) تمارت: شكّت. الجرس: الصوت.

(٢) الفيصل، شعراء بني قشير، ج ٢، ص ٧٧-٧٨. (أماقي) مصحف، صوابها "ماقي".

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٢٢.

(المقاط): يبدو أنه مصحف، وصوابه، فيما يتعلق بالذئب: "الملاط": يعني عضديه.

أما "بعديان"، فتصحيف. وهكذا، "جائع".

(٤) العسكري، جمهرة الأمثال، ج ١، ص ٦٤. يأدو للغزال: يختله ليأكله.

وهذه حالة غريزية عبّر عنها ذو الرمة أبلغ تعبير في قوله :
 إذا استودعته صنفصفاً أو صرمة تَنَحَّتْ وَنَصَّتْ جِيدَهَا لِلْمَنَاظِرِ^(١)
 فالظبية ابتعدت قليلاً تمويهاً عن الذئب، إلا أن عينيها وكامل جوارحها موجهة
 نحو موضع اختبائه، تنظر إليه خلصة، مخافة أن يسطو عليه الذئب.

الحيوانات المفترسة

الثعلب

إن عداوة الذئب للثعلب معروفة، إذ إن الذئب يرى الثعلب، حتى يلحق به
 ليقتله، فيأكله. ولقد قالت العرب:

"أجبن من هجرس"

أي: ولد الثعلب...؛ لأنه لا ينام إلا وفي يده حجر، مخافة الذئب أن يأكله^(٢).

وهذا التصرف هو كناية عن تلك العداوة بينهما.

وقالوا كذلك: "الثعلب (بصل الفار)، فيلقيه في جحره،

لثلا يقربه الذئب؛ لأن الذئب يخافه"^(٣).

وهذا يعني أن الذئب يترصد الثعلب في جحره، ويكمن له عنده، والثعلب

يلجأ إلى حيلته ودهائه، فيجلب إلى جحره ما يخيف به الذئب، ويبعده عنه.

الضباع

هل حقيقة ما يرويه التراث العربي من أن الذئبة تتولى إرضاع جراء الضباع؟

(١) ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ج٣، ص ١٦٧٢-١٦٧٥.

(٢) الزبيدي، التاج، "هجرس".

(٣) كشاجم، المصايد والمطارد، ص ١٤٩. وصوابه ما جاء في الحشاء، المنصوري، البيزرة، ص ١٥٧:

الثعلب... يجيء ببصل الفار. بصل الفار: البصل البري، أو بصل البرّ، ورق مثل الكُرَات، يظهر

منسطاً، وله في الأرض بصلة عريضة.

إن هذا الاعتقاد يعني أن الذئبة حمقاء. حقاً، وُصفت في التراث بالحماقة، ولكن ذلك لا يتفق مع الذكاء الشديد المعروف في الذئب. وفي ذلك الاعتقاد يقولون:

"إن الضبع إذا صيدت، عال الذئب ولدها، وأتاها باللحم. وذلك أنه يشب على الضبع، فتحمل منه، وتلد له"^(١).

وابن جذل الطعان يقول: إن الذئبة تقوم بإعالة أبناء الضبع، مهملة أبناءها:

كمرضعٍ أولادٍ أخرى وضِيَعَت بِنَيْهَا فلم تَرْقِعْ بِذَلِكَ مَرْقَعًا^(٢)
والكميت بن زيد لا يذكر الذئبة، وإنما الذئب، وهذا أشد تناقضاً، يقول:

كما خامرت في حِضْبِهَا أُمُّ عامرٍ لذي الحَبْلِ حتى عَالَ أَوْسٌ عِيَالَهَا^(٣)
وعلى هذا النحو قال الآخر، موضحاً أن الذئب يظن أن بنات الضباع بناته:

والذئبُ يَغْذُو بنات الدِّيخِ نافلةً بل يَحْسَبُ الذئبُ أن التَّجْلَ للذئب^(٤)
وإن حُصَّ بهذا الفعل الذئبة: "جهيزة"^(٥).

(١) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ٢١٣.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ١٩٧.

(٣) الأسدي، شعر الكميت بن زيد، ج ٢، ص ٨٠.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ج ٦، ص ٣٩٨. النجل: النسبة.

(٥) النويري، نهاية الأرب، ج ٩، ص ٢٧٣.

ثم قالوا: "وكذلك من عاداتها أن تُلجم الضبع إلى أن تفرغ من تربيته"^(١).

وإزاء تلك الأقوال حول إعالة الذئاب لجراء الضباع، يتساءل المرء، لماذا هذا

التركيز على هذه الإعالة؟

إن العلم يؤكد أن الضباع لا تكترث كثيراً بجرائها في جحورها، ولا سيما بعد

فترة وجيزة جداً من فترة الحضانة، وربما وُجد جحر فيه جراء من غير رعاية^(٢). وقد

أثبتت الدراسات الميدانية أن العسبار Aardwolf: (نوع من الضباع)، هو الذي لوحظ

قيامه بإعالة الجراء بشكل منتظم، وذلك خشية تعرضها لابن أوى Black - Backed

Jackal، الذي يفترسها^(٣).

ومن الغريب أن الضباع تحاول اقتراس جراء العسبار^(٤).

(١) الأصهباني، الدرر الفاخرة، ج ١، ص ٨٢.

أم عامر: الضبع. أوس: الذئب. الذئخ: ذكر الضبع.

وقد صَحَّف ابن فضل الله العمري، في كتابه، مسالك الأَبصار وممالك الأمصار، ص ٥٥، حين قال

عن الذئبة:

"وربما تدع أولادها، وتلعب، وترضع ولد الضبع، ولهذا، تقول العرب: فلان أحقق من جهير، وهي أثنى الدب".

فالقول الشائع هو عن علاقة الذئبة بالضبع، وليس "الذئبة"، و"جهيرة"، اسم من أسماء الذئبة، وليس

"جهير". وحدث مثل هذا التصحيف عند الأثنانلاني، معاني الشعر، ص ٢٠، الذي ذكر اللدسيم:

زعموا أنه ولد (الدب). ذلك أن الدب لا يعيش في جزيرة العرب. انظر، خالد بكر كمال، حديقة

الحيوان (المدينة المنورة: دار الزمان، ط ١، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٠م) ص ١١٤. ومن المؤكد أن كل ما يتعلق

بعلاقة الأسد بـ(الدَّب) في كلام العرب هو في الثَّئب، وليس (الدب). انظر، كمال الدين الدميري،

حياة الحيوان الكبرى (القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م) ج ١، ص ٣٢٦.

Milles, Kalahari Hyacens, p. 221. (٢)

Ibid, p. 222. (٣)

Ibid, p. 91. (٤)

وفي تصحيح لهذا الاعتقاد الخاطئ يقول ابن منظور، في تعليق له على بيت الكميت: "أوس: يعني أكل جراءها"^(١).

كما جاء تعليق له آخر عليه، فقال:

"أي: بقي جراؤها، لا كاسب لبن ولا مُطعم، فهن يتبعن ما بقي للذئب وغيره من السباع، فيأكلنه. والحبل على هذه الرواية: حبل الرمل لذي الحبل: الذئب غلب جراءها، فأكلهن، (فعال) على هذا: غلب"^(٢).

ويذكر إدوار غالب أكل الذئب جراءه فيقول: "إن الذكر إن جاع لا يتردد في افتراس أولاده، فالأنثى لا تترك صغارها قبل مرور أربعة أشهر، وإذا قضت حاجة القوت بالتغيب، فلا تسرح بمفردها، بل تذهب برفقة الذكر"^(٣).

ويعزو الكتاني هذه الظاهرة - وهي ظاهرة صحيحة في الأسابيع الأولى من الولادة، حيث لا تترك الأم أولادها آنذاك - إلى الذئب المعروف بالكويوت Coyote القَيْوُط/الخَيْوُط: وهو كلب الخبث، أو كلب البرية، أو الذئب العادي"^(٤).

ولا تشير المراجع العلمية إلى وجود ذلك النوع في المنطقة العربية، وإنما تعدّه من حيوانات شمال أمريكا الشمالية وبعض أجزائها الوسطى، من جنوب كندا حتى

(١) ابن منظور، اللسان، "حبل".

(٢) المصدر السابق.

(٣) إدوار غالب، حيوانات لبنان البرية والمائية، (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٧٠م) ج ١، ص ٢٩.

(٤) مصطفى سعيد الكتاني، أسس بيولوجيا وإدارة الحيوانات البرية، (الموصل: مطابع جامعة الموصل،

١٩٨٠م) ج ١، ص ٣١٦. Marc Bekoff, Coyotes (London: Academic press, 1978) p.99.

وانظر بقية الكتاب عن الكويوت، وانظر أيضاً H. Hartley & T. Jackson, The Clever Coyoteo

(London: Univ. of Nebraska Press, 1931). Annie p. Gray, Mammalian Hybrids (Edinburgh: R. &

Clare ltd., 1971) pp. 45, 49. William Henry Burt & Richard p. Grossenheider, A. Field Guide to

the Mammals (Boston: Houghton Hifflin Co., 3rd, 1976) pp.69-70.

أواسط المكسيك. ووجوده يمتد على طول المحيط الهادي حتى شمال كندا وأمريكا، وهو من الحيوانات التي تستوطن الصحارى والجبال. واللافت للنظر أنهم يسمونه: The Prairie Wolf، أي: ذئب البرية، وربما دلت التسمية العربية على وجود ثمة تشابه بينه وبين نوع من أنواع الحيوانات المفترسة المماثلة للذئب العربي، والتي ربما وجدت ذات يوم في جزيرة العرب.

إلا أنه من المؤكد علمياً أن الضباع الذكور تأكل أبناءها الضباع الصغيرة، إذا ما خلّت بها^(١).

حتى إن ابن مهراس يقول:

كأن نداءهن قشاع ضبع تفقد من فراعلة أكيلا^(٢)

تقول العرب:

أبر من الذئب بولده:

وذلك أن الذئبة إذا وضعت، لم تبعد عن أولادها إلا مقداراً لا تغيب فيه عن عينها، فهي تلازم أولادها حتى تكمل تربيتها، وكذلك من عاداتها أن تلحم الضبع إلى أن تفرغ من تربيتها^(٣).

وكان في هذا القول إشعاراً بخوف الذئبة على جرائها من أبيها الذئب الذي يتحين الفرصة لأكلها في أثناء غياب أمهاتها، وهذا غير صحيح، فالذئب لا تأكل صغارها^(٤)، إذ يتعاون الاثنان على تغذية الصغار، بل يقوم الذئب أحياناً بذلك نيابة عن الأم^(٥).

(١) Cynthia Moss, Portraits in the Wild (London: Harnish Hamilton, 1971) pp. 306-307.

(٢) ابن منظور، اللسان، "فرع". قشاع: صوت الضبع الأم.

(٣) الأصبهاني، الدرر الفاخرة، ج ١، ص ٨١-٨٢.

(٤) Hall, & Sharp, Wolf & Man, p34.

(٥) انظر، Mech, The Way of the Wolf, pp.97-101.

ومن المعلومات التي كررها العرب حول علاقة الذئاب بالضباع قولهم باجتماعها على القتلى، وفي ذلك يقول أبو حنشل، عصم بن نعمان التغلبي في قتلهم بني أكل المرار: أصبحوا بالكُلاب تعضر الضبَّ حُ عليهم وعاوياتُ الذئاب^(١) ويقول بشر بن أبي خازم:

وهم تركوا غداة بني نُمير شُرَيْحاً بين ضيعانٍ وذيب^(٢)
أما تأبط شرأ، فيقول:

تَضْحَك الضبع لقتلى هذيل وتُرى الذئبَ لها يَسْتَهْل^(٣)
وفي شرح البيت يقول ابن منظور:

"ذلك أن الذئب ينازعها القتيل، فتكشر في وجهه وعيداً، فيتركها مع لحم القتيل، ويمر"^(٤).

وقد مرّ بنا تفسير ذلك، وإيضاح معانيه من ناحيتين، الأولى: فرح المجموعتين بسقوط القتلى، والثانية: أن الضباع تُبعد الذئاب عن القتلى بما تبعثه من روائح منتنة، وما تثيره من شعرها، وتكشيرها: ويقول الفرزدق:

كفاه التُّبْلُ تَبْلَ بني تميم وأجزره الثعالبَ والذئابا^(٥)

(١) عادل جاسم البيهقي، كتاب أيام العرب قبل الإسلام، دراسة مقارنة لملاحم الأيام العربية (بغداد:

مطبعة دار الجاحظ، ١٩٧٦م) ص ٤١٣. Hallf & Mowat, Never Cry Wolf..., pp. 145-147, 164.

Sharp, Wolf and Man, p. 34.

(٢) ابن أبي خازم، ديوان بشر، ص ٢٢.

(٣) تأبط شرأ، ديوان تأبط شرأ، ص ٢٥٠.

(٤) ابن منظور، اللسان، "ضحك".

(٥) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج ١، ص ١٠٥، التبل: الحقد والعداوة. أجزره: جعله كالجزور مأكلاً

وليس بمستبعد تعرّض الذئب للقتلى أو الجرحى، ليس بمستبعد، إذا افترض المرء أن الجوع المميت قد يدفع بالذئب إلى استساغة اللحم البشري، مع أن العلم لم يثبت حتى الآن أن اللحم البشري هو من وجبات الذئاب، إلا أن يكون ذلك اضطراراً، أو بتأثير مرض السعار (الكَلْب)، بل إن العرب أنفسهم نفوا عن الذئب تناول اللحم البشري، يقول الشريف المرتضى في أماليه:

"الذئب من بين السباع لا يرغب في القتلى، ولا يكاد يأكل إلا ما افترسه"^(١).
ويقول عوف القوافي:

لولا سواه لَجَرَرْتُ أوصاله عُرْجُ الضَّبَاعِ وَصَدَّ عَنْهُ الذئب

أي: لولاه، لتركه جيفة تجره الضباع، ولا يقربه الذئب؛ لأنه لا يأكل الميتة^(٢).

وتبين المعلومات المستمدة من الدراسات الحديثة أن الضباع (والذئاب) قد تجتمع حول القمامة^(٣).

ولكن هناك معلومات تفيد أن الذئاب، بل حتى الذئاب الكلبية^(٤)، تهاجم الضباع لتفتسها، والضباع تفعل الشيء نفسه إذا تفردت بذئب ضعيف^(٥).
ويمكن تلخيص هذه الحالات في ملاحظة ميلز، الذي يقول، وهو يتحدث عن ابن آوى، وهو نوع من الذئاب:

"تنجح الضباع في اختطاف ماتصطاده بنات آوى (الشاكال)، وهي تقتفي آثارها من أجل ذلك. ولكن بنات آوى تعتمد إلى استخلاص اللحم قبل وصولها إليه، وهما قد يشتركان حول فريسة واحدة، كما أن بنات آوى تأكل ما تساقط من لحم عقب الضباع.

(١) المرتضى، الأمالي، ج ٢، ص ٢١٣-٢١٤.

(٢) العسكري، الجمهرة، ج ١، ص ٤٦١.

(٣) Harrington & Paguet, Wolves of the world, p.189. لعل الذئب هنا هو ابن آوى.

(٤) Scott, Painted wolves, pp 39, 214.

(٥) Harrison & Bates The Mammals of Arabia p.155. لعل الذئب هنا هو: ابن آوى.

ولكن كثيراً ما تظهر فجأة للضباع حول فرائسها، وتنتظر حتى تغادرها، وقد تحاول مضايقة الضباع أو التحرش بسبقانها، حتى تبتعد الضباع ببعض فريستها، فتتنقض على بقية الطعام. إن العلاقة بين الضباع وبنات آوى علاقة منافسة لشح الطعام^(١). والملاحظ أن الذئب تفسح الطريق للضباع إذا كانت أكبر منها، أما إذا كانت الذئب أكثر عدداً، فهي التي تطرد الضبع منفردة^(٢) مع حدوث معارك بين الذئب والضباع^(٣). ثم إن الضباع تلجأ إلى استنفارها شعرها، وظهورها بمظهر البشع للقاء، فتتنصرف الذئب عنها^(٤).

ولعل حالات المنافسة هذه هي التي دعت العرب إلى أن تقول:

"إذا اجتمع الذئب والضبع في الغنم، سلمت الغنم. قال حمزة: حدثني

أبو بكر بن شقير، قال: حَضَرَت المبرد، وقد سئل عن قول الشاعر:

وكان لها جارانِ لا يَحْفَرانِها أبو جَعْدَةَ العادي وعرفاءُ جِيالِ

فقال: أبو جعدة، الذئب، وعرفاء، الضبع، فيقول: إذا اجتمعا في غنم،

منع كل واحد منهما صاحبه. وقال سيويه في قولهم: اللهم ضبعاً وذئباً، أي: اجمعهما في الغنم"^(٥).

وقال جرير:

ياوي إليك فلا مَنْ ولا جَحَدٌ من ساقه الضَّبْعُ الحِصَاءُ والذئب^(٦)

(١) Milles, Kalahari Hyenas, pp. 58, 120.

(٢) Hamington & Paguet, Wolves of the World, p. 189.

(٣) Harrison, & Bates, The Mammals of Arabia, p.155

(٤) Gross, Mammals of Southern Gulf, p. 39.

(٥) الميداني، مجمع الأمثال، ص ٨٤. يخفران: ينقضان عهدهما ويفدران.

(٦) أبو علي، أحمد بن محمد الحسن المرزوقي، الأزمنة والأمكنة، (القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، د.ت) ج ٢، ص ٣١٨. وانظر، ابن منظور، اللسان، "ححصص". الضبع الحصاء: التي لاخير فيها. السنة المجدبة، وهو المعنى المجازي، أما المعنى الحقيقي، فهو اجتماع النوعين.

وربما دعانا هذا إلى افتراض أن الزعم بأن الذئب تجتمع على القتل، هو خلط بين الضباع والذئب، إذ كثيراً ما خلطوا بينهما، كما لاحظنا، بحيث عدوها ذئاباً لا ضباعاً، أو هو ابن آوى.

ومن طريف ما يحكون هذا الاختلاف في طبيعة الذئب عن الضباع، مما يجعل الجمع بينهما جَدَّ صعب، أنهم يقولون في مثلهم: "إنما أنت خلاف الضبع الراكب: ذلك أن الضبع إذا رأت ركباً، خالفته، وأخذت في ناحية أخرى هرباً منه، والذئب يعارضه مضادة للضبع"^(١).

ومما هو لافت للنظر في علاقة الذئب بالضباع ما أشار إليه جريبة بن الأشيم الفقعسي من نبش الذئب قبور الموتى، في قوله:

فلا يَأْكُلُنِي الذئبُ فيما دَفَنْتَنِي ولا فَرَعُلٌ مثلُ الصَّرِيمَةِ خارب^(٢)

ذلك أن المعروف أن الذئب لا يأكل الجيف إلا في أوقات المجاعات، عند ما يضطر إلى ذلك اضطراراً، فكيف ينبش القبر، ليستخرج جثة منتنة؟ وربما كان قول جريبة صحيحاً، إذا كان الدفن حديثاً، وكان الذي استخرج الجثة هو الضبع (فرعل)، فشاركها فيها الذئب، تحت اضطرار الجوع الشديد، إن لم يكن المقصود بالذئب، ذلك الضبع البني المشار إليه، أو هو ابن آوى، ذلك أن الضبع هي المعروفة بنبش القبور^(٣).

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص ٢٦.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج ٦، ص ٤٥٣. الفرعل: ولد الضبع. الخارب: اللص.

(٣) انظر، Gross, Mammals of the Southern Gulf, p. 40.

علاقة الذئب بالطيور والحشرات والزواحف والأسماك والطبيعة

الطيور الداجنة

الدجاج

جاء في المصايد والمطارد لكشاجم ما يلي :
"الدجاج إذا كان واقفاً على أغصان الأشجار والرفوف، فلو مرَّ تحتها كلب، وسنور، وكل ثعلب، وكل شيء يطلبها، لم تتحرك، فإن مرَّ ابن آوى بقربها، لم تبق منها واحدة إلا رَمَتْ بنفسها إليه؛ لأن الذئب هو المقصود به...، وكذلك بني آوى والدجاج، ويُحِيلُ إليها أن ذلك مما يتفعلها عنده"^(١).

إذن، فالدجاج بعض ما يصيده الذئب من الطيور الأليفة، غير أن في هذه المعلومة شيء من المبالغة، فهي تقول: "فإن مرَّ ابن آوى بقربها، لم تبق منها واحدة إلا رمت بنفسها إليه...".

وهذا التأثير النفسي، أو الجاذبية الإيجابية، غير معترف بها علمياً، ولا تتحقق على أرض الواقع، فالمشاهدات تثبت غير ذلك تماماً، إنها تثبت أن الدجاج يفرّ من وجه الذئب - وابن آوى من جنسه - فيتعقبه، ويبدل جهداً في محاولة القبض عليه. ويرينا أحد المراجع العلمية صورة ملاحقة أحد الذئاب ديكاً، ثم تجتمع الذئاب عليه، تأكله^(٢).

(١) كشاجم، المصايد والمطارد، ص ٤٤.

(٢) Freund, Der Wolfbamench, s. 83.

إن الذئب يتسلل داخل أحواش البيوت، ليجد شيئاً يأكله، ومما يجده هناك الفراخ، فيختطف منها، فيأكله^(١)، إذ تعدّ الطيور عامة مما تأكله الذئاب^(٢). قال الكميت:
 وبلدة لا ينالُ الذئبُ أفرحَها ولا وحى الولدِ الداعينَ عرعارٍ^(٣)

الطيور البرية

الطيور البرية غير الجارحة

الحمام البري:

ذكر الراعي أن من بين أطعمة الذئاب الحمام، ومن الطبيعي أن الذئب لا يقدر على صيد الحمام، ولكن إذا تمكن منه، أكله: والراعي يصف ذكراً حماماً وجد مكسور الجناح، فهو يصوتُ بصوته المعروف الهديل، وأضاف إليه صفة أخرى، وهي أنه كان في وقت الربيع، كناية عن السمنة، فجاءه الذئب ليأكله:

كهداهد كَسَرَ الرُّماةَ جناحَه يدعو بقارعة الطريق هديلاً
 وَقَعَ الربيعُ وقد تقاربَ خطوهُ ورأى بعقوته أزلَّ نسولاً^(٤)

وقد لوحظ أن الذئاب تأكل البط الطائر، والطيور عامة، وقت الصيف بشكل

خاص^(٥).

(١) انظر، Harington, & Paguet, *Wolvs of the World*, p. 184

(٢) انظر، Ibid, pp. 36-37, 75

(٣) ابن منظور، اللسان، "عر". وانظر، الأسدي، شعر الكميت بن زيد، ج ١، ص ١٨١. أي: ليس بها ذئب، لبعدها عن الناس.

(٤) الراعي، شعر الراعي، ص ٦٣-٦٤. عقوته: ساقه. الأزل: الحفيف الوركين. نسولاً: يبعث مسرعاً.

(٥) Mech, *The Wolf*, pp. 178-179.

النعام :

يتعاش الذئب والنعام في الصحراء، ويهاب الذئب ذكر النعام، يقول ابن

مقبل :

سَخَاخًا يُزَجِّي الذئب بين سهوبها وفحل النعام رِزُّه وأزامله ^(١)

وكما هو واضح، فإن الذئب في الصحراء العربية لا يطارد بمفرده إلا الحيوانات الضعاف، أو التي لا تستطيع الهرب منه، وبما لا شك فيه أن النعامة تهرب من الذئب، إذا أدركت أنها ستقع فريسة له، أو تقاومه. ومن هنا وجدنا الكمية يقول: إن الذئب يسطو على فراخ النعام. ولكن الذكر يستطيع أن يدرأ عن فرخه الخطر إذا تعرض له الذئب، وذلك على الرغم مما عُرف عن النعام من حمق، وتركه بيضه في العراء، حتى ليضل عنه. يقول الكمي:

وإن تُعَرِّضُ مُعْتَسَّ الذئاب له أوفى بأوَلق ذي الزبونة الحَرِبِ ^(٢)

وقالوا في تفسير قول ابن النطاح:

والذئب يلعب بالنعام الشارد

"الذئب لا يعرض لبيض النعام وفراخه حين لا يكونان حاضرين أو يكون أحدهما؛ لأنهما متى ناهضاه، ركضه الذكر، فرماه إلى الأنثى أعجلته الأنثى، فركضته ركضة تلقيه إلى الذكر، فلا يزالان كذلك حتى يقتلاه، أو يُعجزهما هرباً، وإذا حاول ذلك منه أحدهما لم يَقوَ عليه".

ويضيف الجاحظ: "وزعم أن نعامتين اعتورتا ذئباً، فهزمتاه، وصعد شجرة،

(١) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٢٤١. السخاخ: الأرض اللينة. الرزز: الصوت. الأزامل: الأصوات المختلفة.

(٢) الأسدي، شعر الكمي بن زيد، ج ١، ص ١٣١. الأولق: الجنون. الزبونة: من زينه، أي دفعه. الحرب: العالم بالحرب.

فجالدهما، فَفَقَّرَهُ أَحَدُهُمَا، فتناول الذئب رأسه، فقطعه، ثم نزل إلى الآخر، فساوره، فهزمه^(١).

وقال ابن مقبل، مبيِّناً أن الذئب "السباع"، تأكل بيض النعام:

كبيضة أذحي^٢ يُوخَّوْحُ فوقها هيجفان^٣ مُرتاعا الضحى وَحَدَانِ
أَحْسًا حَسِيْسًا من سباع وطائفِ فلا وَخَدَّ إِلَّا دُونَ ما يَخْدَانِ^(٢)

وبيِّن ذو الرمة أن الذئب تأكل فراخ النعام، وتنتهز فرصة غياب النعام، لتتقض عليها، فقال مصوراً إسراع الأنثى والذكر للحاق بأبنائها قبل حلول المساء:

لا يَأْمَنان سباع الليل أو بَرَدًا إن أَظْلَمًا دون أطفالٍ لَهَا لَجَبٌ^(٣)
"والسباع" هنا تنصرف أيضاً إلى الذئب.

ولم تأت المراجع على علاقة الذئب بالنعام، ولا بد أن الذئب تفعل ما تفعله الضباع في اقتحام أعشاش النعام، وأكل بيضها، أو افتراس فراخها، بل الهجوم على النعام نفسه^(٤)، وقد بين الشعراء كلتا الحالتين.

ويمكن تصور مطاردة الذئب، حسب تعبير ابن النطاح السابق: "والذئب يلعب بالنعام الشارد"، وفقاً لما جاء عن مطاردة الأسد النعام، حيث يلاحقها، وهي تعدو مسرعة، فتركله بأقدامها، إلا أن ثقل حجم النعامه يتيح للأسد نهس

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٤، ص ٣٣٢-٣٣٣. اعتورتا: تداولتا.

(٢) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٣٣٧-٣٣٨. أذحي: مبيض النعام في الرمل، تدحوه النعامه برجلها، ثم تبيض فيه. يوخَّوْحُ: يصوت فوق البيضة. الهجف: الجافي الثقيل الكثير الريش. مرتاعا الضحى: أي أفرعهما شيء في الضحى. وحدان: منفردان.

(٣) ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ج ١، ص ١٣٢. اللجب: الصوت. البرد: حبات ثلج المطر.

أفخاذها، فيسقطها^(١)، ورأينا الجاحظ يبين أن الذئب يقدر على النعامة وحدها، كما "يساورها".

الغريبان:

تتفق الدراسات على مصاحبة الغريبان للذئب، ووجودها في أماكن تجمعها، وبالذات في المناطق الروسية الآسيوية^(٢). ويتوافق التراث العربي على تأكيد هذه الناحية، فهذا أحد الرجاز يقول:

وَالْأَعْوَرُ الْعَيْنِ مَعَ السَّرْحَالِ^(٣)

كما يبين جران العود وجود الغراب إلى جانب الذئب في صحرائهما المنقطعة، وأشار إلى سكن الغريبان الكهوف. وقد استخدم: "الطير"، بدلاً من التصريح بالغريبان، فقال:

وَلَا الطَّيْرُ فِي كَهْفٍ لَهُنَّ نَعِيقُ^(٤)

أما مصاحبة الغريبان للذئب، فهي لحرصها على الحصول على بقايا ما يتركه الذئب بعد مغادرته فريسته، ولا اجتماعهما على ما يجدان في طريقهما. يقول حميد بن ثور، وفي الشرح: "إن الطير تتبعه لتصيب مما يقتل، وذلك؛ لأن الذئب يتبع الجيش طمعاً في أن يتخلف رجله فيثب عليه؛ لأنه من بين السباع ما لا يرغب في القتلى، ولا يكاد يأكل إلا ما فرسه". وهذا مناقض لإجماعهم على افتراس الذئب القتلى، والمعنى إذن، أكل القتلى بدافع الجوع، أو لعل هذا هو الضبع.

(١) David Lambort, Birds (London: Warwick press, 1982) p. 67.

(٢) Mech, The Wolf pp. 287-288.

(٣) ابن منظور، اللسان، "سرح". السرحال: لغة في السرحان: أي الذئب.

(٤) العود، ديوان جران العود، ص ٥٣. الأعور العين: الغراب.

وفرق بين الاعتداء وهذه الحالة :

إذا ما غدا يوماً رأيت غيابةً من الطير يَنْظُرُنَ الذي هو صانع^(١)
 ووصف كعب بن زهير الغراب والذئب، ويبيّن تلك الصحبة الدائمة بينهما،
 فقال:

وَحَمَشُ بَصِيرِ الْمُقَلَّتَيْنِ كَأَنَّهُ إِذَا مَا مَشَى مُسْتَكْرِهِ الرِّيحَ أَقْزَلَ^(٢)
 يكاد يرى مالا ترى عينٌ واحد يُغَيِّرُ لَهُ مَا غَيَّبَ الثُّرْبَ مِعْوَل^(٣)
 إِذَا حَضْرَانِي قَلْتُ لَوْ تَعْلَمَانِهِ أَلَمْ تَعْلَمَا أَنِّي مِنَ الزَّادِ مُرْمِلِ
 غَرَابٌ وَذَبٌّ يَنْظُرَانِ مَتَى أَرَى مُنَاخَ مَبِيَّتِهِ أَوْ مَقِيلًا فَأَنْزِلِ
 أَغَارًا عَلَى مَا حَيَّلَتْ وَكَلَاهُمَا سَيُخْلِفُهُ مِنِّي الَّذِي كَانَ يَأْمَلِ^(٤)

وقال الطرماح، يذكر فلاة، مبيّناً كيف أن الذئب يطرد الغراب، فيصيح
 الغراب مصفقاً بجناحيه:

يَظْلُلُ غَرَابُهَا ضَرْمًا شَذَاهُ

شَجَّ بِخُصُومَةِ الذَّئْبِ الشُّنُونِ^(٥)

(١) الهلالي، ديوان حميد بن ثور، ص ١٠٦. الغيابة: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه مثل السحابة
 والغبرة والظلمة ونحوها.

(٢) حمش: دقيق الساقين. مستكره الريح: مستقبل الريح. الأقرل: كالأعرج، غير متساوي الرجلين.

(٣) ما لا ترى عين واحد: كناية عن جذّة البصر. المعول: حديدة حادة دقيقة.

(٤) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ص ٥١-٥٢.

(٥) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ٢٠٣. شذاه: صوته. ضرم: كثير الصياح. شج: حزين.

وهكذا، قال الآخر، مبيّناً هذا التلازم بين الذئب والغراب:
أخو الذئب يعوي والغراب ومن يكن

شريكه يطمع نفسه شرّاً مَطْمَع^(١)

أما الأخطل، فيقدّم صورة رائعة لهذا الاجتماع في قوله:

وأرقتني من بعد ما نمتُ نومةً وعضبٌ جَلَّتْ عنه القيون بطاني
تصاحبُ ضيفي قفرة يعرفانها غراب وذئب دائم العسلان
إذا حضراني عند زادي لم أكن بخيلاً ولا صبّاً إذا تركاني
إذا ابتدراً ما تطرحُ الكفّ فاته به حبّشي كَيْسَ اللّحظان^(٢)
يُباعدهُ منه الجناح وتارة يُراوح بين الخطو والحجلان^(٣)
إذا غشيانني هيلتِ النّفسُ منهما قشعريرةٌ وازددتُ خَوْفَ جنان^(٤)
ولقد قالت العرب:

تركت عَوْفاً في مغاني الأصرم^(٥)

(١) ابن الشجري، الأمالي، ج ١، ص ٣٠٩. وفي الحاشية: "جعل الذئب والغراب بمنزلة الواحد، فأعاد عليهما ضميراً مفرداً؛ لأنهما كثيراً ما يصطحبان في الوقوع على الجيف". والمعروف أن الذئب لا يأكل الجيف، بل "القتلى". ولعل هذا هو الضبع.

(٢) ابتدراً: استيقا. فاته: سبقه. اللحظان: المراقبة.

(٣) الحجلان: مشي العقيد.

(٤) الأخطل، شعر الأخطل، ج ١، ص ص ٢٩٤-٢٩٥.

هيلت: فرغت. جنان: قلب. يقول: أتطير من الغراب، وأخاف من الذئب.

(٥) الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص ١٤٧.

ويقال للذئب والغراب: الأصرمان.

يقول: تركته في منازل لا أنس بها، ولا يسكنها إلا الذئب أو الغراب.

وقالوا:

كالغراب والذئب.

الذئب إذا أغار على الغنم، تبعه الغراب، ليأكل ما فضل منه^(١).

وبيّن شدة تلازم الذئب والغراب، وما يبثانه في نفس المسافر في مجاهل

الصحراء من خوف ووحشة قول أحدهم:

واني امرؤ لا تقشعرُّ ذؤابتي من الذئب يعوي والغراب المحجل^(٢)

الطيور البرية الجارحة

النسور:

من الثابت علمياً أن النسور تجتمع مع الذئب على الفرائس، إلا أن الملاحظ

هو أن النسور لا تتقدم حتى تُفسح الذئب لها الطريق^(٣)، ولكن التراث العربي يذكر

أنها تجتمع مع الذئب في الصحراء، فالفرزدق يذكر أن النسور تزاحم الذئب على

الجثث المطروحة في تلك الأرض العطشى، فتلطم أعينها بأجنحتها، وتحتك بها، أما

الغراب كما رأينا، فكان يقترب على حذر، يقول:

تركنا عليها الذئب يَلْطُمُ عَيْنَهُ نهاراً يزوراء الفلاة تُسورها^(٤)

(١) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

(٢) ابن منظور، اللسان، "حجل".

(٣) Harrington, Wolves of the World p. 184.

(٤) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج ١، ص ٢٤٥.

وقال الراعي:

بَمَلْحَمَةٍ لَا يَسْتَوِرُ غَرَابِهَا ذَفِيفًا وَيُمْسِي الذئبُ فِيهَا مَعَ النَّسْرِ^(١)
العقبان:

لدينا قسيده قالها امرؤ القيس، تصور مطاردة عقاب لذئب، يقول فيها:
كَأَنَّهَا حِينَ فَاضَ الْمَاءِ وَاحْتَضَلَّتْ صُقْعَاءُ لَاحَ لَهَا بِالسَّرْحَةِ الذَّيْبُ^(٢)
فَأَبْصَرَتْ شَخْصَهُ مِنْ رَأْسِ مَرْقَبَةٍ وَدُونَ مَوْقِعِهَا مِنْهُ شَنَاخِيبُ^(٣)
صَبَّتْ عَلَيْهِ وَمَا تَنْصَبُ مِنْ أَمَمٍ إِنَّ الشَّقَاءَ عَلَى الْأَشْقَيْنِ مَصُوبُ
كَالدَّلْوِ بَتَّتْ عُرَاهَا وَهِيَ مُثْقَلَةٌ وَخَائِهَا وَذَمٌّ مِنْهَا وَتَرْكِيبُ^(٤)
وَيُلْمُهَا مِنْ هَوَاءِ الْجَوِّ طَالِبَةٌ وَلَا كَهَذَا الَّذِي فِي الْأَرْضِ مَطْلُوبُ^(٥)

(١) الراعي، شعر الراعي، ١٧٨.

الملحمة: الحرب ذات القتل الشديد والوقعة العظيمة. الدفيف: أن يدف الطائر على وجه الأرض، يحرك جناحيه ورجلاه بالأرض وهو يطير، ثم يستقل.

(٢) احتضلت: يعني اجتهدت في العدو. الصقعاء: العقاب، وإنما سميت صقعاء لبياض في أعلى رأسها. السرحة: الشجرة الضخمة. فاض الماء: يريد العرق. ويقال: السرحة هاهنا: اسم موضع معروف.

(٣) مرقبة: موضع مشرف، يعني أن العقاب أبصرت خيال الذئب. الشناخيب: رؤوس في أعالي الجبال لا يعلم عليها إلا ما طار، والواحد شنخوب. الأمام: القرب أو القصد.

(٤) بتت: أي قطعت. الأودام: سيور تعلق بعمرى الدلو، والواحد ذم، والواحدة ذمة. التركيب: أن يشد خيط من قنب أو شعر مع الدلو إلى الرشاء — وهو الحبل ليكون عوناً واستظهاراً متى انقطعت عروة أو انحلت عقدة أمسكها فلا تقع في البئر، وإنما يفعل ذلك بالدلو الضخمة.

(٥) ويلمه: اللفظ به ذم، وهو في الظاهر عندهم مدح. الجو: جو السماء، وهو الفضاء. الهواء: ما مدت فيه بصرك من أعلى. الطالبة: العقاب. وقوله: ولا كذا: يريد الذئب، يقول: ولم أر كنجاته وهربه منها نجاء وهو مطلوب.

كالبَرْقِ والريحِ شَدًّا مِنْهُمَا عَجَبًا^(١) ما في اجتِهَادٍ من الإسراعِ تَفْيِيبٌ^(٢)
فَأَذْرَكَتُهُ فَتَالَتْهُ مَخَالِبُهَا فائسَلُ من تحتها والذَّفُ مَنْقُوبٌ^(٣)
يَلُودُ بالصَّخْرِ منها بعدما فَتَرَتْ منها وَمِنْهُ على العَقَبِ الشَّايِبُ^(٤)
ثُمَّ اسْتِغَاثَ يَدْخُلُ وَهِيَ تَعْفِرُهُ وبِاللِّسَانِ وبِالشَّدْقَيْنِ تَتْرِبُ^(٥)
ما أخطأته المنايا قِيسَ أَنْمَلَةٍ ولا تَحْرَزُ إلا وهو مَكْرُوبُ
فَقَلَّ مُنْجَجِرًا مِنْهَا يُرَاقِبُهَا وَيَرْقُبُ العَيْشَ إِنَّ العَيْشَ مَحْبُوبٌ^(٦)

وإذا كان الذئب عند امرئ القيس قد نجا من العقاب، فإن العقاب في تصوير

النعمان بن بشير الأنصاري لا يدع للذئب فرصة للنجاة، يقول في صفة فرس:

كَانَهَا لِقُوَّةِ شَغْوَاءُ خَائِتَةٌ وَلِى لِسَيْبِهَا بِالْأَمْعَزِ الذَّيْبُ
صَبَّتْ عَلَيْهِ وَلَمْ تَنْصَبْ مِنْ كَثْبِ إِنَّ الشِّقَاءَ عَلَى الْأَشْقَيْنِ مَصْبُوبٌ^(٧)

(١) تفييب يقول: ليست فيهما بقية من السرعة والعدو.

(٢) الذف: الجنب، والذف والذف: الذي يلعب به.

(٣) يلود: يلجأ ويطيّف بالصخر، فترت: أي ضعفت عن العدو. العقب: جري بعد جري. الشاييب،

جمع الشويوب: وهو دفعة من مطر.

(٤) الدحل: هوة ومدخل في الأرض أو جبل. قوله: وهي تعفره: يعني تضرب به التراب، وهو العفر.

الشدقان: مثنى الشدق، وهو جانب الفم. تتريب: تفعيل، من التراب.

(٥) ابن حجر: ديوان امرئ القيس، ص ص ٢٢٧-٢٢٩. الشغواء: التي يختلف أعلى مقارها وأسفلها.

الخائتة: التي تنقض فيسمع صوت انقضاضها. الأمعز: المكان الصلب من الأرض. منججراً: أراد

داخلاً في جحر الذل، يراقبها: أي يحارسها وينظرها. ويرقب: ينتظر. وقارن هذه الأبيات بأبيات ذي

الرمة، ديوان ذي الرمة، ج ١، ص ص ١١٢٥-١٢٣٥.

(٦) أبو العلاء، أحمد بن عبدالله المعري، الفصول والغايات، تحقيق: محمود حسن زنتاني (بيروت:

المكتب التجاري، ١٩٣٨م) ص ٤١٤.

وكذلك، فعل حاجب بن ذبيان المازني التميمي، الشاعر الأموي الذي لا يدع للذئب فرصة للنجاة، والذي يقول في صفة فرس أيضاً:

طوى الضمّر منه البطن حتى كأنه عقاب تدلت من شمّار يخ ككب^(١)
تبادر جُنح الليل فرخين أقويًا من الزّاد في قفرٍ من الأرض مُجذِب^(٢)
فلما رأت صيداً تَدلّت كأنها دلاة تهاوى مرقباً بعد مرقب^(٣)
فشكّت سوادَ القلب من ذئب قفرة طويل القرا عاري العظام مُعصّب^(٤)
وقال الشماخ في وصفها:

تطارِد سيد صاراتٍ ويوماً على خِزّان قارات الجموع^(٥)
وقال سؤر الذئب:

عُقَابُ يَحْتُهَا عِسْبَار^(٦)

وقال ابن كُناسة، يصف فرساً:

كالعُقَابِ الطَّلُوبِ يَضْرِبُهَا الطُّلُّ وَقد صَوَّبَتْ على عِسْبَار^(٧)

(١) الضمر: الهزال. ككب: جبل يعرفات. الشمار يخ: رؤوس الجبال. الدلاة: اللؤلؤ.

(٢) جنح الليل: طائفة منه. أقوى: أقر.

(٣) تهاوى: تتساقط. المرقب: الموضع المشرف يرتفع عليه الرقيب. سواد القلب: حبه. القرا: الظهر. المعصّب: الجائع.

(٤) الأصفهاني، الأغاني، ج ١٤، ص ٢٤٩.

(٥) الشماخ بن ضرار الديان، ديوان الشماخ بن ضرار الدياني، تحقيق: صلاح الدين الهادي (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٨م) ص ٢٣١. السيد: الذئب. صارات: جمع صارة، يقصد جبل "صارة"، بالقصيم. خزان: جمع خزن؛ وهو ذكر الأرانب. قارات: جمع قارة، وهي الجبل والأكمة العظيمة. الجموع: موضع، بـ"الشريف".

(٦) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ١٨٢.

(٧) المصدر نفسه. صوت: انقضت.

وذكر المعري هذه الظاهرة، فقال:

"العقاب توصف بأنها ربما أخذت الذئب"^(١).

وتبين في ضوء هذه المعلومات أن العقاب، مهما بلغ حجمها وقوتها، فإنها لن تستطيع أخذ الذئب الذي ذكرها صفاته، وعرفوا أنواعه، ولايد، إذن، أن يكون هذا الذئب، ذئباً صغيراً، قليل التجارب، أو أنه ذئب منهك، متعب، أضعفه الجوع أو المرض وأهزلاه؛ فهو في حجم الأرنب، أو الثعلب، أو أكبر منهما قليلاً، ولعل هذا واضح من وصف حاجب للذئب بأنه: "عاري العظام معصب". وربما دفع الجوع بهذه العقاب أو أمثالها، إلى محاولة مهاجمة حيوان أكبر حجماً.

يقول أبو نواس:

أَوْ لَقَوَةَ أُمَّ أَنِيهِمِينَ فِي لُجْفٍ شَبِيهَتِهَا شَفَا خَطْمِ وَأَمَاقَا
مُهَيْلٍ دَيْتُهَا إِذَا قَلَبْتَ إِلَيْهِ مِنْ مَسْتَكْفٍ الْجَوْ حَمَلًا قَا^(٢)

ولقد جاء في قول صخر الغي أن صيدها الأساسي هو الأرنب، وأنها عندما

حاولت صيد الغزال، عثرت، فانكسرت جناحها، وماتت:

وَلِلَّهِ فَتَخَاءُ الْجَنَاحِينَ لِقَوَةَ تُوَسَّدُ فَرخِيهَا لُحُومَ الْأَرْنَابِ^(٣)

(١) المعري، الفصول والغايات، ص ٤١٤.

(٢) اللقوة: أثنى العقاب. الأنيم: الإفراط في الشهوة إلى الطعام. اللجف: جمع لجاف، ما كان ناتئاً في الجبل، ومشرفاً على الغار. وانظر، كشاجم، المصايد والمطارذ، ص ٩٧. المستكف: المستوضح من أعلى. الحملق: باطن الجفن الأحمر والذي إذا قلب للكحل، بدت حمرة.

(٣) الحسن بن هانئ أبو نواس، ديوان أبي نواس، تحقيق: بدر الدين حاضري محمد حمامي (بيروت: دار الشرق العربي، د-ت). مهيل: ذو اللحم المورم وجهه. المستكف: المستوضح من أعلى. الحملق: ما ولي المقلة من الجفن. الفتخاء: اللينة مفصل الجناح.

ثم يقول:

فَخَآئَتْ غَزَالًا جَائِمًا بَصُرَتْ بِهِ لَدَى سَلَمَاتٍ عِنْدَ أَدْمَاءَ سَارِبٍ ^(١)
 فَمَرَّتْ عَلَى رَيْدٍ فَأَعْنَتَ بَعْضَهَا فَخَرَّتْ عَلَى الرَّجْلَيْنِ أَحْيَبَ خَائِبٍ ^(٢)
 بِمَتَلَفَةٍ قَفَرٍ كَأَنَّ جَنَاحَهَا إِذَا نَهَضَتْ فِي الْجَوِّ مِخْرَاقَ لَاعِبٍ ^(٣)

ثم يقول:

وقد تُرِكَ الفرخان في جوف وكرها بيلدة لا مولى ولا عند كاسب ^(٤)
 فلم يرها الفرخان بعد مسائها ولم يهدأ في عُشِّهَا من تَجَاوِبٍ ^(٥)

أما نوع العقاب المفترض وجوده في الجزيرة العربية في ذلك الزمان، فهو المسمى بـ: "فيرو" *Aquila Verrauxi*، ويمتاز هذا النوع من العقبان بأنه: "عقاب جبال وصحارى نائية، ومن طيور شمال شرق أفريقية وجنوبها، لونه أسود كله، أما خوافيه وحلقه، وأعلى ذيله، فيبيض". أعلى المنقار، والأقدام، برتقالية اللون، طيرانه في الجو يخلق منظرا غاية في الروعة. يهوى المرتفعات. يعيش على صيد الأرناب، والوَّبر، وغيرهما، إنه طير يصيد متى أراد" ^(٦).

(١) خاتت: انقضت على غزال. جائم: رابض. أدماء: بيضاء، أي الظبية. سارب: سارحة تطلب المرعى.

(٢) الريد: تنوء في الجبل. أعنت بعضها: أصابه بعنت، أي كسر جناحها، فخرت.

(٣) متلفة: مهلكة. نهضت: طارت. مخراق لاعب: يشبه جناحها بألة اللعب "المخراق" من سرعة تقلبها في الجو.

(٤) بلدة لا مولى: أي ليس لهما مولى يقوم بأمرهما. ولا عند كاسب: أي: لا أحد يقوم بأمرهما.

(٥) السكري، شرح أشعار الهلاليين، ج ١، ص ٢٥٠-٢٥٢. تجاوب: يجيب كل واحد منهما حاجته.

وانظر، صورة مطاردة العقاب للثعلب في مطوِّلة عبيد بن الأبرص؛ ديوان عبيد بن الأبرص،

تحقيق: شارلز لابل (ليدن - مطبعة بريل، ١٩١٣م) ص ص ١٠-١١.

(٦) Leslie Brown, & Deen Amadon, Eagles, Hawks and Falcon of the world (England: Balding &

Mansoll, ist, ed., 1968) 69, 72 - 74, 149.

وانظر: صورة عقابٍ قَبَضَ بِمِخَالِهَ عَلَى طِفْلِ:

Seidensticker, Dangerous Animals, pp. 24 - 25.

وينطبق هذا الوصف على العقاب: "الضّرار"، العظيمة، الكدراء، التي تضرب إلى التوشيم، أي: (ذات اللون)، وهي التي توصف بأنها: "عجاء"، أي في ذنبها ريشة بيضاء أو ريشتان، وهي كذلك: "الشعراء"، أي: التي في جناحها قوادم بيض، وهي العنقاء، والفتخاء، والقنواء، واللّموع، والمّلاع^(١).
وقد كان هذا النوع موجودا في فلسطين إلى وقت قريب^(٢).

الحشرات

تأكل الذئب الحشرات إذا اضطرّت إلى ذلك^(٣).

ومنها في الأدب العربي:

الهيشة (أم حنين)

قال أحد الشعراء:

أشكو إليك زماناً قد تعرقنا

كما تَعَرَّقَ رأسَ الهَيْشَةِ الذئب^(٤)

وهو بيت غريب، ذلك أنه جاء في تعريف الهيشة عدة أقوال منها:

"الهيشة: أم حنين، ولعلها دوية العظاءة، حمراء تلزق بالأرض"^(٥).

وجاء في اللسان عن "الخرباء"، مما يلقي الضوء على "أم حنين":

"أم حنين: أنثى الخرباء، والخرباء: دوية قذرة، على شكل سامة أبرص،

ذات قوائم أربع، دقيقة الرأس، مخططة الظهر، تستقبل الشمس نهارها برأسها،

(١) الباشا، الصيد عند العرب، ص ١٣٣. وانظر: ص ١٣٢-١٤٢.

(٢) Brown, & Amadon Eagles..., p. 672 - 673.

(٣) Mech, The Wolf, p178. Gross, Mammals of the Arabian Gulf, p. 44.

(٤) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ٢، ٦٧٨.

(٥) المصدر نفسه.

وتكون معها كيفما دارت، وهي تنتصب على الحجارة، وعلى أجذال الشجر، فإذا زالت الشمس، زالت معها، مقابلاً لها^(١).

أما عن "أم حبين" في التاج:

"أم حبين: دوية على خلقة الحرياء، عريضة الصدر، عظيمة البطن، على قدر كف الإنسان، غبراء، لها قوائم أربع، وهي بقدر الضفدعة التي ليست بضخمة، فإذا طردها الصبيان، قالوا لها:

أمَّ الحيين انشـري برديك
إنَّ الأمير ناظر إلـيك

فيطردونها، حتى يدركها الإعياء، فحينئذ تقف على رجلها منتصبه، وتشر جناحين أغبرين على مثل لونها؛ وإذا زادوا في طردها، نشرت أجنحة^٢ كُنَّ تحت ذنك الجناحين، لم يُر أحسن لوناً منهن: ما بين أصفر وأحمر وأخضر وأبيض، وهن طرائق، بعضها فوق بعض، كثيرة جداً، وهي في الرقة على قدر أجنحة الفراش، فإذا فعلت ذلك، تركوها^(٣).

وجاء القالي في أماليه بتعريف للورقاء، فقال تعليقا على قول الشاعر:

إنـي رأيتك كالورقاء يُوجـشها

قُربُ الأليف وتغشاه إذا نُجـرا

"الورقاء:

دوية تنفر من الذئب وهو حي، وتغشاه إذا رأت به الدم"^(٣).

(١) ابن منظور، اللسان، "حرب". وانظر عن "أم حبين"، غالب، حيوانات لبنان البرية، ص ص ١٢١-

١٢٢. أجذال الشجر: أصول الأشجار الباقية منها.

(٢) ابن منظور، اللسان، "حبن"، وانظر، الزبيدي، التاج، "حبن".

(٣) القالي، الأمالي، ج ١، ص ٦٩. ولكن البكري نقل

عنه في سمط الكائن، ج ١، ص ٢٤٢، أنه قال: "الورقاء: ذئبة تنفر من الذئب وهو حي، وتغشاه إذا رأت به الدم".

فهل هذه الورقاء، هي البهيشة، أم أم حبين؟
لأن المفروض أن يكون "الذئب"، في البيت الأول: "كما تعرق رأس -
البهيشة - الذئب"، مفعولا به: "الذئب"، أو أن يكون مجروراً، والمفعول به "رأس"،
تفصله "البهيشة" بين المتضايقين.

الجراد

لاشك أن كل نوع من الذئب يتكيف مع بيئته، فإذا كانت الذئاب الأوربية،
تأكل في حالات الجوع الشديد الديدان والقواقع والجعلان وسواها،^(١) فإنه من
المعقول أن يأكل الذئب العربي الجراد، إذا كان متوافراً لديه، وأمكنه من الحصول
عليه، يقول أحدهم في ذلك:

غَدَا كَالْعَمَلْسِ فِي حُدْلِهِ

رُؤُوسُ الْعَظَارِيِّ كَالْعُنْجُدِ^(٢)

الزواحف

الثعابين

ليست الثعابين مما يأكله الذئب رغبةً، وإنما تأكلها الذئاب جوعاً وحاجةً،
وتحديداً في الصيف، وفي التراث العربي ما يشير إلى هذا. يقول خلف الأحمر في أبيات
جاء في أحدها:

أبى الحَاوون أن يَطَاوَا جِماه

ولا تُسْري بَعْقوتَه الذئابُ

(١) انظر: Mech, The Wolf, p. 178.

(٢) ابن منظور، اللسان، "عظر". العملس: الذئب. العظاري: ذكور الجراد. في حذله: حجرة إزاره.

العنجد: الزبيب.

وقد سُئل خلف عن ذلك، فقال: "لأن الذئب تأكل الحيات"^(١).

ويقول موسى بن جابر الحنفي، الشاعر الإسلامي:

طَرَدَ الأروى فما تقرُّه

ونَفَى الحَيَات عن بَيْض الحجل^(٢)

وقد فسر حيان بن عتبي هذا على أن الذئب تأكل الحيات^(٣).

وهذا ما تحقق منه الجاحظ بعد ذلك فقال، تعليقاً على تفسير حيان: "فظننت

أنه حدس، ولم يقل بعلم"^(٤).

ولكن ابن قتيبة يقول، تعليقاً على قول خلف السابق: "لا نعلم أن أحداً قال ذلك"^(٥).

وها نحن نرى خلفاً قال مثلما قال الحنفي، ثم أثبتته حيان، وجاء العلم ليقرّه^(٦).

الضَّبَاب

تأكل الذئب جميع الحيوانات التي تصادفها في طريقها، كالأرانب، والفئران^(٧)،

مثلاً. وفي الصحراء توجد كذلك الضباب. وقد أخبرنا الطرماح أن الذئب يأكل الضب،

وهي معلومة لها قيمتها، إذ تكشف عن وسائل تغذية الذئب العربي. والصورة التي

رسمها تتفق كثيراً مع الصورة التي أخذت عن الذئب في الدراسات الحديثة، حيث يراوغ

الأرنب مثلاً في جحره، فيترصده الذئب من فتحة الجحر الأخرى، ويبدأ بإثارتته حتى

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٤، ص ٢٧٩، ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ٢، ٦٦٧. العقوة: الساحة وما حول الدار.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج ٤، ص ٢٨٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ٢، ص ٦٦٧.

(٦) Mowat, Never Cry Wolf, in goat stories.. pp. 147, 179. Mech, the wolf, p. 178.

(٧) يحيل: يقيم حولاً. الأحل: في رجله حلل، وهو استرخاء في الرجل. ذوات المرادي: الضباب؛

المرادي: جمع مرداة. الرزح: المهازيل. مناق: سمان، بها نقي، وهو الشحم.

يتمكن منه. والطرماع يحكي هنا أن الذئب يطارد الضب بين الصخور، فكلما فلت منه من جهة ما، جاءه من الجهة الأخرى، حتى يقبض عليه، يقول:

يُحِيلُ بِهِ الذئبُ الأَحْلُ وقوته ذواتُ المرادي من مَنَاقٍ ورُزَحٍ
إذا استترت منه بكل كدايةٍ من الصخر وافاها لدى كل مسرح^(١)

وهذا يبيّن أن الذئاب تعتمد اعتماداً كبيراً في عيشها في الصحراء على موجوداتها، خاصة الضباب في فترات الربيع^(٢).

صيد البحر

السماك

وقد لوحظ أن الذئب يأكل الأسماك^(٣).

ترصد الذئاب صيادي السمك، فيلقون لها من الصيد شيئاً، وإلا قطعت المصايد حين تُبسط^(٤).

أجزاء الحيوان

الجلد

ونذكر هنا أن الجلود مما تأكله الذئاب.

يقول المعري:

كأني إذ تَبَدْتُ لَهُ عِصاماً
وهبت له المطيئة والمزاداً

(١) ابن حكيم، ديوان الطرماع، ص ١٠٠. الكداية: الصخرة. المسرح: الموضع الذي ترعى فيه.

(٢) انظر، Gross, Mammals of the Southern Gulf, p. 44.

(٣) Mech, The Wolf, p. 178.

(٤) المعري، سقط الزند، (القاهرة: مطبعة دار الكتب، ١٩٤٥م) ج ٢، ص ٥٩٩.

والعصام: ما يُشَدُّ به فم المزاذة والقربة من شراك، أو خَيْطٌ؛ وربما كان من جلد، والجلد بما يأكله الذئب^(١). وهذا يدل على مبلغ الجوع الشديد الذي كان يتعرض له الذئب في الصحراء العربية.

ويقول تأبط شراً: إنه طرح له نعلًا من الجلد، فكانت له كرشفة الخمر وقد برّدها ندى آخر الليل:

طرحتُ له نعلًا من السَّبْتِ طَلَّةٌ خلاف ندى من آخر الليل مُخْضِلٌ^(٢)

العظام

ومن الثابت أن الذئب يقضم العظام، ويأكلها^(٣).
والذئب يقضم العظام^(٤).

قال خفاف بن ندبة:

فثورُدُنِّي لِرَبْعٍ أَوْ لِخَمْسٍ مِياه القَيْظِ طامِيَةٌ جِماماً^(٥)
قِليلاً مَنْ عَلَيْها غيرَ أني أُكُوِّرُ مِنْ مَدارِجِها الحِماماً^(٦)
دَعَرْتُ الذئبَ يَحْفِرُ كُلَّ حَوْضٍ وَيَقْضِمُ فِي مَعاطِنِها العِظاماً^(٧)

(١) المعري، سقط الزند، ج ٢، ص ٥٩٦-٦٠٠.

(٢) تأبط شراً، ديوان تأبط شراً، السبت: الجلد المدبوغ. الطلة: الشربة: خلاف ندى: بعد نزول الندى. مخضل: مبتل.

(٣) Mech, The Wolf, p. 194.

(٤) ابن منظور، اللسان، "قضم".

(٥) ربع أو خمس: أي لأربع ليال أو خمس. جمام: ماء جم كثير.

(٦) أثور: أنفض. المدارج: الشاي الغلاظ بين الجبال.

(٧) خفاف بن ندبة، شعر خفاف بن ندبة، جمع وتحقيق: نوري حمودي القيسي (بغداد: مطبعة دار المعارف،

١٩٦٧م) ص ٩٥-٩٦. ذعرت: أفزعت وأخفت. يقضم: يكسر. المعاطن: مبارك الإبل.

وسبق أن مرّ بنا قول أحدهم:
 يارُبُّ ذئبٍ باسلٍ مقدامٍ
 ويعده:
 قد ضافني في الليل ذي التمام
 ثم قال:
 يقرش ما ألقى من العظام

الطبيعة

الصحراء

ترينا الأشعار الآتية أن الذئب ارتبط بالقفر والتوحش في أشعار العرب، وفيها وصف الصحراء المخيفة التي انقطع الناس عن ارتيادها، فليس يُسمع بها إلا أصوات البوم، وهي كناية عن الهلاك والموت، كما وضح ذلك المرقش، فقال:
 وتسمع تزقاةً من البوم حولنا كما ضُرِبَت بعد الهدوء التواقس^(١)
 ثم إنه لولا أن الذي يقطعها قد اعتادها، وخبر معالمها، لما توقى النجاة، يقول المرقش أيضاً:

وأعرَضَ أعلامٌ كأن رؤوسها رؤوس (رجال) في خليج تغماس^(٢)
 إذا علم خلقته يهتدى به بدا علم في الآل أغير طامس^(٣)

(١) التزقاء: الصياح.

(٢) الأعلام: الجبال. الخليج: هنا الخليج من السراب، شبهه بالماء. تغماس: تطفو تارة وتغرق تارة أخرى. في الأصل: "رؤوس جبال". وهذا لا يستقيم.

(٣) الأنباري، شرح ديوان المفضليات، ص ٤٦٥-٤٦٦، الآل: السراب، طامس: خفي^(٣).

وفي أبيات غيلان بن سلمة صورة واضحة على عزلة الذئب، وتوحشه، وانقطاعه في الصحراء، وهذه الصحراء شديدة الفقر، جرداء، مهلكة، يقول:

يَتَنَوَّفَةُ جَرْدَاءٌ يَجْزَعُهَا لَحَبٌ يَلُوحُ كَأَنَّهُ سَحْلٌ^(١)

ويقول عبيد الله بن ربيع، واصفاً الصحراء القفر بأنها: "بيضاء إمليس"، لشدة فقرها:

ويضاء إمليس إذا بتُّ ليلَةً بها زارني عاري الذراعين مارد^(٢)

وقد أضاف كعب بن زهير إلى سابقه صفة: "صرماء"، أي: تصرم كل شيء، أي: أنها خلت من أي شيء يبعث الحياة، كما أنها تثير في النفس تلك المخاوف المتعلقة بوجود الجان، فيتخيلها السالك أناساً يتحدثون، وهذا تصوير بالغ الدقة لجفاف الصحراء ويعدها، يقول:

وصرماءٌ مذكاري كأنَّ دَوِيَّهَا بُعِيدَ جَنَانِ اللَّيْلِ مِمَّا يُخَيَّلُ^(٣)

حديثُ أناسي فلَمَّا سَمِعْتَهُ إِذَا لَيْسَ فِيهَا مَا أَرِينُ فَأَعْقِلُ^(٤)

ويبين الطرماح مخاطر الصحراء التي يعيش فيها الذئب، فيقول:

فَعَرَسْتُ لَمَّا اسْتَسَلَّمْتُ بَعْدَ شَأْوِهِ تَنَائِفُ مَا نَجَا بِهِنَّ هَجُوعُ^(٥)

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٢٧٨. يجزعها: يقطعها.

(٢) الحموي، معجم البلدان، "بتيلة".

(٣) الصرماء: الأرض التي لا نبت فيها ولا ماء. المذكار: المخوفة ذات الهول، والتي لا يسلكها إلا الذئب من الرجال. جنان: ظلمة. الدوي: الصوت، أي عزف الجن بها وتخيلهم.

(٤) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ص ٤٥-٤٦.

(٥) ابن حكيم، ديوان الطرماح، ص ١٨٩.

عرست: نزلت ليلاً. الشأو: الشوط والطلق. الهجوع: الرجل الغافل الأحمق.

ولعل أجمل وأكثر المقطوعات تأثيراً في النفوس في بيان معاناة الذئب في صحرائه العربية القاحلة ، أبيات ذي الرمة التي بين فيها خلو هذه الأرض من أي سبب للحياة ، مما أدى بالإبل إلى الهلاك ، فقال :

إذا ما حشوناهنَّ جَوَزَ تنوفةٌ سَبَّارَتَ يَنزُو بالقلوب اهولالها^(١)
رَهَاءِ بَسَاطِ الظَّهْرَسِيَّ عَوفَةٌ على ركبها أَقْلَاتُهَا وَضَلَّالها^(٢)
تعاوى لحسراها الذئاب^(٣)

ولكن الشنفرى الأزدي يعطينا صورة تجمع بين الصحراء والجبال. وهذا يعني أن الذئاب التي صورها الشنفرى تعيش على حافة الصحراء المحاذية للجبال ، ولعل هذا الشيء يمكن تصويره في قصيدة الشنفرى ؛ لأن الأزدي قبيلة يمانية ، وتعيش في المرتفعات الجبلية ، فهو يقول ، كما رأينا سابقاً :

وأغدو على القوت الرُهيد كما غدا أزلُّ تهاواه التنائف أطحل
فهذا الذئب جاء من التنائف ، أي : الصحراء الرملية ، الأطراف الرملية للحجاز ، عرق سبيع ، ثم انتقل إلى الجبال ، كما في قوله :

غدا طاوياً يعارض الريح حاقياً يخوت بأذئاب الشُعاب وَيَعْسِلُ
وعلى الرغم من ذلك ، فإن أبيات الشنفرى تدل على أن مساكن الذئاب هي الصحارى ، حيث إن ذئبه رجع أدراجه بعد إخفاقه في الحصول على الطعام في الجبال ، فقال :

فَلَمَّا لَوَاهِ القوت من حيث أمه دعا فأجابته نظائر نُحَلُّ

(١) حشوناهن : أي الإبل أدخلناهن فيها. جوز: وسط. تنوفة: قفر. السباريت: جمع سبروت، وهي الأرض لاشيء فيها.

(٢) الرهاء: ما استوى واملاص من الأرض. البساط: الأرض المستوية. السي: الأرض المستوية. الأقلات: الهلاك.

(٣) ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ج ١، ص ٥١٦-٥١٧.

وهذا المشهد قريب من المشهد الذي رسمه أبو كبير الهذلي، إذ يبدو أن الماء الذي ترده الذئاب، كان على مرتفع جبلي؛ لأنه قال:

رَقَبٌ يَظَلُّ الذئبُ يَتَّبِعُ ظِلَّهُ من ضيق مورده استنَّ الأَخْلَفُ^(١)

ويدل هذا على أن خبرة الذئاب بمكامن المياه في الصحراء أشد من خبرتها في المناطق الجبلية، وأن ملجأها دوماً هو الصحراء، لا الجبال.

والذئاب تأتي إليه مسرعة على ما يبدو من الصحراء؛ لأنه قال:

يَتَسَلَّنُ فِي طُرُقِ سَبَاسِبَ حَوْلِهِ كَتَسَدَاحِ نَبْلِ مُحَبَّرٍ لَمْ تُرْصَفْ^(٢)

ولكن أبا كبير الهذلي يذكر أنه عثر على ذئبة فوق إحدى القمم الشاهقة^(٣)، وهذا يعني أن الذئاب التي كانت ترد الأطراف الجبلية المتاخمة لمنطقة هذيل، وذلك إذا وضعنا هذه الصورة بجوار الصورتين الأخريين: الصورة التي عند الشنفرى والصورة السابقة عنده.

ويذكر الرجل من اليمن الذي أكل الذئب أمه، أن الذئب كان ببعض المذانب^(٤)، أي: أنه كان في منطقة جبلية، ربما كانت قريبة من الصحراء الشرقية المتاخمة لوادي الجوف باليمن.

وإن نظرة إلى خريطة انتشار الذئاب في الجزيرة العربية^(٥) لتؤيد هذا، فمنطقة

(١) الزب: الطريق الضيق. الاستنان: العدو على جهة واحدة. الأخلف: الأعسر، المخالف المعوج.

(٢) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج ٣، ص ١٠٨٥-١٠٨٦. السباب: جمع سبب، وهو المستوي البعيد. القداح: سهام الميسر. المحبر: المتأثق. لم ترصف: لم تُشدَّ عليه الرِّصاف، وهي عقبة تُشدُّ على مدخل الحديد التي تدخل في رأس السهم.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٠٧٦-١٠٧٧.

(٤) البكري، سمط اللالكى، ج ١، ص ٣٧٨.

(٥) انظر، Kingdon, Arabian Mammals, p.76.

الذئاب تتركز في الصحراء، وبخاصة تلك التي تنبت الغضا، أو التي يتجمع فيها الرمل، ولذا قالوا: ذئاب الغضا.

وقالوا: ذئب القيصومة أو القصيم.

أي: الرمال المتجمعة (وإن كان المقصود هنا أرض القصيم من نواحي بريدة وعنيزة...).

وإجمالاً يمكن ملاحظة أن أشهر مناطق الذئاب هي منطقة شمال شرق القصيم حتى الحفر، إضافة إلى منطقة "الغضا" و"القصيم" تلك. يقول ياقوت:

"إثبيت: فيها ذئاب تأكل الناس".

"فرع القبة، وفرع الحَفَر: بلدان لثميم، بين الشقين وأود وخُفاف: وفيها ذئاب تأكل الناس".

وفي منطقة غرب اليمامة ذكروا: "قُرَّان".

واشتهرت بعض المواضع باسم "الذئب"، وكانت بعض الدارات تحمل اسم: "دارة الذئب"، أو "دارة الذؤيب"^(١).

وقال آخر، يذكر "قارات الحبل"، بشهرة ذئابها، وهي من نواحي شمال شرق الرياض:

ما أبالي أليثم سبني أم عوى الذئب بقارات الحبل^(٢)

وهناك الهدار في منطقة الأفلاج، في قول شبوح:

أَتَذْكَرُ عِمْراناً وَتَنسَى عَصَابَةَ بَقُوهَةَ الْهَدَارِ شَبْعانَ ذِيهَا^(٣)

(١) انظر: الحموي، معجم البلدان، "إثبيت"؛ "الفرع"؛ "قبة"؛ "دارة الذئب"؛ "دار الذؤيب"؛ "قُرَّان".... إلخ.

(٢) المصدر نفسه، "قارات".

(٣) حمد الجاسر، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع (الرياض: دار اليمامة، ط١،

وفي جهات عفيف، هناك "الأخربان"، قال الصمة بن عبدالله القشيري:

ويوما بقاع الأخرين جرى لنا بنحسٍ ظيأء الأخرين وذيها^(١)

ومن المناطق الحجازية المذكورة فيها الذئاب، "بشم"، في نواحي عسفان، كما

في قول أبي المورق الهذلي:

وكنتُ إذا سلكتُ نِجَادَ بَشْمٍ رأيتُ على مراقبها الذئابا^(٢)

وحتى في العراق، هناك، "وادي السباع"، كما قال السفاح بن بكير:

يَعْدُو وَلَا تَكْذِبُ شِدَاتُهُ كَمَا عَدَا الذئبُ بُوَادِي السَّبَاعِ^(٣)

الأعشاب والأشجار

تحاول الذئاب ألا تكون مكشوفة للناس، فهي في أوروبا وأمريكا تعيش في الغابات، وفي أفريقيا والهند تكمن في الأدغال والأعشاب الطويلة. والذئاب العربية ليست بدعاً في ذلك، فهي على الرغم من الطبيعة الصحراوية للجزيرة العربية، وعلى الرغم من أنها لا تستطيع الاقتراب من المناطق الزراعية، إذ لا بد لها أن تكون بعيدة عنها، أي: في الصحراء، خشية قتل الناس لها والفتك بها، فإنها لا بد أيضاً أن تكون آمنة، أي: لا بد أن تبحث عن أماكن تسترها. ومن هنا وجدناها غير بعيدة عن المنطقة الرعوية التي كانت أبقار لبيد يرعين فيها، أي: يتوفر فيها العشب، ولكنها مناطق رملية كما وصف ذلك بـ"الشقائق"، أي: الأرض الغليظة بين رملتين. ولعلها كانت في هذه الأرض الغليظة قد حفرت جحورها. وقد صرّح ابن مقبل بأن المنطقة رملية، فقال:

أَوْ نَعِجَةٌ مِّنْ إِرَاخِ الرُّمْلِ أَخَذَلَهَا عَنْ إِفْهَاءِ وَاضِحِ الْخَنْدِينِ مَكْحُولِ^(٤)

(١) الصمة بن عبدالله القشيري، ديوان الصمة بن عبدالله القشيري، جمع وتحقيق: عبدالعزيز محمد الفيصل (الرياض: النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/١٩٨١م) ص ٣٣.

(٢) الحموي، معجم البلدان، "بشم". نجاد. مرتفعات.

(٣) المصدر نفسه، "وادي السباع".

(٤) النعجة: البقرة الوحشية. الإراخ: الإناث الفتيات من بقر الوحش. أخذلها: خلفها.

ثم قوله :

يَشْقَةَ مِنْ تَقَا الْعَرَافِ يَسْكُنُهَا جِنَّ الصَّرِيمَةِ وَالْعَيْنِ الْمَطَافِيلِ^(١)
ويتكرر هذا الموضع في شعر ابن أحمر، على أنه موضع تكثر فيه الأبقار،
حيث يقول :

كَأَنَّهَا بِنَقَا الْعَرَافِ طَاوِيَةٌ لَمَّا انطوى بطنها واخروط السفر^(٢)
كما أنها تعيش بين الخمائل، لأن بقرة ليبد عندما أدركت واقع أمرها، ذهبت
حزينة تحت الخمائل، والخمائل في الصحراء، كما هو واضح، ولأمر ما اكتفى ليبد
بمهاجمة الذئب للعجل، ولم يجعلها تفترس الأم ليلاً بعد ذلك.
وتصادفنا عند الأعشى لفظة: "الغيل"، وهو الشجر الملتف، وهو هنا شجر الأراك،
الذي وصفه بالخضرة وتدفق الماء في أغصانه، والظبية ترعى فيه، يقول، كما مضى ذكره:
فِي أَرَاكٍ مَرْدٍ يَكَادُ إِذَا مَا ذُرَّتِ الشَّمْسُ سَاعَةً يُهْرَاقُ^(٣)
وهذا الوصف الذي يجعل الشمس، إذا ما أشرقت، تُجَقِّفُ ما فيه من ماء،
يدل على كثرة هذا الشجر في هذه المنطقة، وربما إلى جانب أشجار أخرى، وذلك لأن
الأرض نفسها رَيَّانَةٌ.

ولم يحدد الأعشى نوع الأشجار في قصيدته العينية، ولكنه لا بد أن يكون

(١) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٣٨٤. النقا: القطعة من الرمل تنقاد محدودة. العراف: حبل
من جبال الدهناء الطاوية: البقرة الوحشية الضامرة. انطوى بطنها: أذهب السير شحمها وأذابه.
اخروط: امتد وبعد. الشقة: الغلظ بين رملتين. الصريمة: الرملة المنفردة، انصرفت عن غيرها،
أي انقطعت. العين: جمع عيناء، وهي الواسعة العين مع حسن الخدقة، يعني البقر الوحشي.
المطافيل: ذات الأولاد.

(٢) الباهلي، شعر عمرو بن أحمر، ص ٩٧.

(٣) الأعشى، ديوان الأعشى، ص ٢٥٩. المرء: المر الأراك الأخضر، ذرت: طلعت. يهراق: يضمحل.

شجراً مرتفعاً، لأنه وصفه بأن له ظلاً:

فَظَلَّ يَخْدَعُهَا عَنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فِي أَرْضٍ فِيءٍ فَيَعْمَلُ مِثْلَهُ خَدَعًا^(١)

وقد ذكر النابغة الجعدي موضع: "ذي الذئبين"^(٢)، ويبدو من واقع القصة، ومن اقتترانه باسم الذئب على صيغة المثني، أنه موضع تكثر فيه الذئاب، كما يبدو من جعلهم منامَ البقر تحت الشجر الكثيف، وغالباً ما يكون من شجر الأروطى، أن هذا الموضع كثير الأشجار. كما ذكر: "ذي الحوم"، ولعله أيضاً سُمي بذلك لوجود الشجر فيه، وإن كان بلداً. وفي أبيات كعب ما يشير إلى أن الذئب عنده يعيش بين الشجر الكثير الملتف، حيث يقول:

بَصِيرٌ بِأَدْغَالِ الضَّرَاءِ إِذَا خَدَا يَعْمَلُ وَيَخْفَى بِالْجَهَادِ وَيَمْتَلِ^(٣)

وتحب الذئاب أن تقترب من الحشائش، فتمضغها ومنها: الأسروع، وهو: "طول الشبر، أطول ما يكون، وهو مزين بأحسن الزينة من صفرة وخضرة وكل لون، لا تراه إلا في العسب، وله قوائم صغار، ويأكلها الكلاب، والذئاب، والطيور، وإذا كبرت، أفسدت البقل، فجدعت أطرافه"^(٤). وهو الذي ذكره ذو الرمة، مما يدل على أنه ينبت في الرمل، وهو مرتاد الذئاب، يقول:

وحتى سرت بعد الكرى في لويته أساريع معروف وحصرت جنادبه^(٥)

(١) المصدر نفسه، ص ١٥٥.

(٢) الجعدي، شعر النابغة الجعدي، ص ص ١٩٥-١٩٦. في: ظلال.

(٣) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ٤٩. الأدغال: جمع دغل وهو ما وارك من الشجر. الضراء: ما وارك من شجر وغيره. يعمل: يضرب في الأرض ويلهب ويدور. الجهاد: الأرض الغليظة لا نبات بها.

(٤) الزبيدي، التاج، "سرع".

(٥) المصدر نفسه. اللوي: ما ذبل من البقل.

إلا أن ابن فضل الله العمري يقول:

"والذئب من بين الحيوان لا يأكل ... العشب إلا عند مرضه، كما تفعل الكلاب، فإنها إذا اعتلت، أكلت عشباً من الأعشاب"^(١).
ويذكر البستاني: "إذا لم يجد يأكل الثمار المتهرئة وأصول النباتات والخشب المنحلة أجزاءه"^(٢)

وتؤكد بعض الدراسات الحديثة أن الذئب تأكل بعض الثمار، ومن المصادفة أن نجد أحد الذئاب يعترف بإفساد النخل صيفاً، وقت جني الرطب، يقول:

والنخل أفسده مادام ذا رطبو وإن شتوت ففي شاء الأعراب^(٣)

أما كيف يكون ذلك؟ فلعله تفسير للقصة المصاحبة لصيد ذلك الذئب الذي عاث فساداً في "قران" و"كنزة"، من قرى اليمامة، فيهما نخل كثير، يقول:

إن كنتَ من أهل قرآن فعَدُّ لهم أو أهل كنزة فاذهب غير مطلوب

وفيما عدا هذا، فإن ملاحظات العرب لا تتفق مع الملاحظات العلمية في أن الذئب لا يحوم حول شيء من البقول والنبات^(٤).
أو: الذئب لا يأكل إلا اللحم^(٥).

لأن الذئب تأكل النباتات الخشنة Wild Fruit, wild obst، وثمار الحقول، وهي تقضم الأعشاب، وإن كان يعسر عليها هضم النباتات الخلوية، وتأكل بعض الفواكه^(٦).

(١) العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ص ٥٩.

(٢) البستاني، دائرة المعارف، ص ٤٣٥.

(٣) القزويني، آثار البلاد، ١٠٦.

(٤) أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، الثعالبي، ثمار القلوب في المضاق والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م) ص ٣٨٨.

(٥) الجاحظ، الحيوان، ١٤٦/٧.

(٦) Gross, Mammals of Southern Gulf, p.44. Michael Boora, Mammals of the World (London: Hamlyn, 1970) p.174.

أما أن الذئب يأكل البَلَح، فيؤيده قول الأحيمر السعدي:
 "كنت أرى النوى في رجيع الذئب"^(١).

الماء

لقد أدى ابتعاد الذئب عن الناس وسكنائه في الخلاء إلى معرفته بموارد الماء، وهي موارد لا يستدل إليها إلا عالم بمتاهات الصحراء. ولذلك ذكروا لون الماء، ورائحته، للتأكيد على قدمه وعدم استعماله، وفي أبيات امرئ القيس توضيح جلي لذلك، بالإضافة إلى قوله: "قليل به الأصوات"، يقول:

وماء كلون البُول قد عاد آجناً قليل به الأصوات في كلاً مَحَل^(٢)
 ويقول تأبط شراً:

نسقي قلائصنا بماء آجن وإذا يقوم به الخليع (يعيل)^(٣)

ولابد أن نشير إلى أن الذئاب تجعل من مناطق حمايتها ينابيع الماء، وهذا يعني أن الذئاب تتخذ من الصحراء مناطق حماية لها، بحيث لا تبتعد كثيراً عن الماء^(٤). وهذا واضح في قول ابن مقبل، مبينا سكنى الذئاب في الصحراء، ولكنه

(١) أبو عمر، أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرين (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ٢٣٨/٦.

(٢) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص ٣٦٣-٣٦٤. كلون البول: في صفرته وتغيره. الأجن: المتغير الطعم. محل: مجذب.

(٣) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ١، ص ٢٠٨. ورواية البيت في ديوانه، ص ١٨٢:
 وواد كجوف العير قفر قطعت به الذئب يعوي كالخليع المعيل
 والمهم هنا نوع الماء.

(٤) انظر: . Harrison, Mammals of the Arabian Gulf, p. 49, Mech, The Wolf pp. 120,151. أما ابن أوى،

يعرف مواضع الماء فيها:

يَطْوِي الْمَفَاوِزَ غِيظَاناً وَمِنْهُلَهُ مِنْ قُلَّةِ الْحَزْنِ أَحْوَاضٌ عَدَامِيلٌ^(١)

ولكن يجب التنبيه إلى أن من الذئاب، على الرغم من حرصها على أن يكون الماء من ضمن محمياتها، أنها لا تشرب كثيراً، بل تكفي بقدر قليل منه، وذلك واضح من وصف ابن مقبل لمواقع المياه بأنها: "قُلَّةُ الحزن"، والحزن: مكان غليظ خشن مرتفع، قلما يحتفظ بالماء، وما يحتفظ به هو أحواض قديمة، وهذا يوضحه التعبير المتكرر: "ماء آجن"، ويوضح قلة شربه للماء قول امرئ القيس:

فَقَلَّتْ عَلَيْكَ الْحَوْضُ إِنِّي تَرَكْتَهُ وَفِي صَفْوِهِ فَضْلُ الْقُلُوصِ مِنَ السَّجْلِ^(٢)
فَطَرَّبَ يَسْتَعْوِي ذَنَاباً كَثِيرَةً

فهو يشرب من هذا الماء الذي هو عبارة عن بقية مما شربت منه ناقته، ولكنه سيكتفي بما يسد الرَّمَقَ، وستأتيه ذئاب أخرى لتشرب منه.
وقال تأبط شراً:

وَوَادِ كَجَوْفِ الْعَيْرِ قَفَرٍ قَطَعْتَهُ بِهِ الذئب يعوى كالحليع المعيل
طَرَحْتُ لَهُ نَعْلًا مِنَ السَّبْتِ طَلَّةً خِلَافَ نَدَىٍّ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ مُخْضِلٌ^(٣)

فما شربه إلا بقدر ما تحويه تلك النعل مما أصابها من بلل الندى. وفي هذا

(١) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٣٨٧. المفاوز: الغلاة المهلكة. الغيطان: جمع غائط، وهو ما اطمأن من الأرض. منهله: مشربه. القلة: الأعلى. الحزن: المكان الغليظ الخشن. العداميل: القديمة.

(٢) المصدر نفسه. الصفو: بقية الماء. السجل: الدلو العظيمة.

(٣) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص ٣٦٣.

(٤) تأبط شراً، ديوان تأبط شراً، ص ١٨٥. السبت: الجلد المدبوغ. الطلة: الشربة. خلاف ندى: بعد نزول

الندى. مخضل: مبتل.

حجم ما يقاسيه الذئب في واد جفّ ماؤه كل الجفاف ، على الرغم من سعته.

وهذا واضح أيضاً في وصف كعب بن زهير للصحراء بأنها لا ماء ولا شجر فيها: "صرماء مذكار"^(١)، مما يدل على أن الذئب، وإن تكن منابع الماء من أحمامته، إلا أنه قد يحتمل العطش الشديد مؤقتاً؛ لأن الذئب إنما تشرب الماء كثيراً، لو توافر لها الغذاء، كما هو الحال في غير الجزيرة^(٢).

ومن العجيب أن نجد ذئباً ضلّ الطريق عن الماء، ولعل الشاعر الذي التقى بالذئب في الفلاة، فوجده يكاد يشفي على الهلاك، لم يكن عطشان، كما أنطقه هو، وإنما كان جائعاً، وهي الحالة التي يتعرض لها الذئب دائماً. ويدل على ذلك أنه حتى بعد ما شرب من الماء، ظل منطرحاً حتى وصّفه باللجام المرّمى:

وَهَوَ مُلْقَى كَأَنَّهُ لِيَجَامِ جَوَادٍ قَدْ تَحَنَّتْ مَكَاسِرُهُ

فلما رمى له ببقية زاده، نشط، وراح يجر وعاء الزاد ليأكل ما فيه:

فَعَهْدِي بِهِ قَدْ جَاوَزَ الْمَاءَ صَادِرًا يَجْرُ جِرَابِي تَارَةً وَيَنَائِرُهُ^(٣)

ويبالغ الكميت في وصف الذئب الذي لقيه، فيجعله ضريباً من شدة إعياته،

وأنه استقى قدرًا قليلاً من الماء سدّ به رمقه، وقليلاً من الزاد سدّ به جوعه، فقال:

وَصُبُّ لَهْ شَوْلٌ مِّنَ الْمَاءِ غَابِرٍ بِهِ كَفٌّ عَنْهُ الْحَيَّةُ الْمُتَحَوِّبُ^(٤)

وتكاد تكتمل صورة الماء عند ذي الرمة الذي يؤكد أن الماء جزء من حمى

الذئب، والماء كما هو بين، ماء آجن ذو رائحة كريهة لقدمه، وإذا كان ابن مقبل قد

(١) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ٤٥.

(٢) Candace Savage, Wolves (London: Robert Hale Ltd., 1988) p. 139.

(٣) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ص ٢٠٦-٢٠٧. الجراب: الوعاء.

(٤) الأسيدي، شعر الكميت، ج ١، ص ٨٦. الغابر: البقية الباقية. الشول: بقية الماء في السقاء أو الدلو،

أو القرية أو المزادة. الحية: الإثم. المتحوب: الأثم.

جعل الماء فوق "حَزْنٌ"، أي: مرتفع من الأرض لقلته، فإن ذا الرمة أيضاً يجعله قليلاً، ولكنه في منخفض من الأرض، ودليل قلته أنه قريب من السطح جداً، أي: هو عبارة عن حوض من الماء، فالمستسقي منه يستطيع أن يمد يده، فيغرف منه شيئاً ما، يقول:

ومن جَوْفِ مَاءٍ عَرَمَضُ الحَوْلِ فوقه متى يَحْسُ منه مائِحُ القومِ يَتَّقُلُ
به الذئبُ.....

وقوله مبيّناً صفة ذلك الماء في الصحراء الذي لا يهتدي إليه إلا ذو الخبرة والدلالة، مكنياً عن ذلك بالقطا التي ترتاده، وهذا أيضاً يدل على قلته، بالإضافة إلى قوله: "أسارت"، أي: شربت سوراً من الماء، أي قليلاً، يقول:

صَدْرُنْ بِمَا أسَأرت من ماء آجن صرَى ليس من أعطانه غيرُ حائل
سوى ما أصاب الذئب منه وسُرْبَةٌ أطافت به من أمّهات الجَوازِلِ^(١)

وتبيّن الدقة في ملاحظة حياة الذئب من معرفتهم بأن الذئب، الذي اشتهر بجوعه ونهمه، يدرك بشكل غريزي، أن عليه أن يقاوم الجوع إذا ما عثر على غذاء بعيد عن مورد الماء الذي يشرب منه، ولذلك قال بعضهم:

في بَلَدَةٍ لا يَسْتَطِيعُ سَيِّدُهَا

حَسْرَى الأراكيبِ ولا يَهْيِدُهَا

"يقول: إن الذئب في هذه البلدة لا يمس الحسرى، ولا يقربها؛ لأن الماء بعيد

(١) ذو الرمة، ديوان ذي الرمة، ج ٣، ص ١٤٨٧-١٤٨٩. الجوف: المطمئن من الأرض. العرمض: الخضرة على رأس الماء، وعرمض الحول: أتى عليه الحول. المائح: الذي يغرف بيده. يتقل: يتصل من ملوحته.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٣٤٥-١٣٤٦. صدرن: ذهبن. أسارت: أبقّت. صرى: قد طال حبسه. أعطانه: جمع عطن، وهو الموضع الذي يترك البعير فيه إذا شرب. سرية: جماعة. الجوازِل: الفراع.

عنها، فهو يخاف إن أكل، أن يعطش^(١).

وتبرهن لنا هذه الملاحظة أن الماء جد ضروري للذئب صيفاً، وتقل رغبته في الماء شتاءً^(٢)، فالماء لا غنى عنه له بعد تناوله وجبة طعام مليئة، فهو يشرب الماء بعدها كثيراً^(٣).

وما هو جدير ذكره في العلاقة بالماء أن السيول الجارفة كثيراً ما تضرّ بالذئاب، قال خفاف بن ندبة:

له حَدَبٌ يَسْتَخْرِجُ الذَّئْبَ كَارِهًا يُؤَمِّرُ غُثَاءً تَحْتَ غَارٍ مُطْلَقٍ^(٤)

وفي ضوء المفهوم الخاص لـ"السباع"، بحيث تعني بشكل عام: الذئاب، وفي إطار هذه الصورة النمطية، فإن امرأ القيس يعني بـ"السباع": الذئاب، في قوله:

كَأَنَّ سَبَاعًا فِيهِ غَرَقَى عَشِيَّةَ بَارِجَائِهِ الْقُصُوى أَنَايِشُ عُنْصَلٍ^(٥)

وعليتنا أن تنتبه إلى تضارب المعلومات في هذا الشأن، إذ ربما كان هناك سوء تقدير لحاجة الذئب إلى الماء، واضطراب بين النوعين: الذئاب وبنات آوى:

Jackals (Canis aureus Syriacus)

تختلف بنات آوى عن الذئاب، فبنات آوى في الغالب تعيش في المناطق المكتظة بالسكان، حتى إنها لا تكون في العادة بعيدة عنها بأكثر من كيلومترين.

أما الذئاب، فتعيش في الصحارى، ولذلك فبنات آوى نادراً ما توجد فيها إلا

(١) ابن قتيبة، المعاني الكبير، ج ١، ص ١٩٠.

(٢) السكري، شرح أشعار الهلاليين، ج ١، ص ١٩١.

(٣) Savage, Wolves, p. 139.

(٤) ابن ندبة، شعر خفاف ابن ندبة، ص ٣٨.

(٥) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص ٢٦.

إذا توافرت المياه. ويعود ذلك فيما يُعتقد إلى حاجتها إلى الماء، وربما عاد ذلك إلى سهولة الحصول على الغذاء، أما الذئاب، فتبتعد بما يقرب من ٥٠ كم. ولعل ذلك يعود إلى أن الذئاب قليلاً ما تشرب الماء، وأنها تحتزن الماء في أجوافها، وإن كانت لا تستغني عنه^(١).

وكل ما سبق صحيح إلا أن الفكرة الأخيرة عن اختزان الذئاب الماء في أجوافها، غير صحيحة، وما قلة شرب الماء إلا خشية من أن يتعرض الذئب للعطش وليس؛ لأنه يخزن الماء في جوفه، فالماء ضروري لها، ولا سيما بعد وجبة مليئة^(٢).

الأطال

يذكر الشعراء في الشعر الجاهلي، كما في الشعر الإسلامي والأموي أن السباع، توجد إلى جانب الوحوش التي قد تعني بقر الوحش والغزلان، وهي ترتاد مناطق السكن القديمة التي أصبحت أطلالاً بعد رحيل أصحابها عنها. ولم يُحدد الشعراء جنس تلك السباع، وقد يخطر على البال أن الذئاب هي المقصودة بهذه السباع أو الوحوش. وفي الأدب الشعبي المعاصر إشارة واضحة إلى أن الذئاب ترتاد أطلال الأحبة^(٣). أما في الأدب العربي فالإشارة نادرة، مثل قول أبي خراش:

أَمْسَى سَقَامٌ خِلاَءَ لَا أُنَيْسَ بِهِ غَيْرُ الذَّئَابِ وَمَرُّ الرِّيحِ بِالْقَرْفِ^(٤)

(١) Harrington, Paquet, Wolves of the world, p.90.

(٢) Mech, The Wolf, p.169.

(٣) انظر: عبدالله بن خالد، خيار ما يلتقط من الشعر النبطي (دمشق: المطبعة العمومية، ١٩٥٢م) ص ٨٧٣. ماجد بن صالح الخليفي، ديوان الخليفي (الدوحة: دار الكتب القطرية، ١٣٨٣هـ) ص ٦٢.

(٤) ابن منظور، اللسان، "عوف". سقام: اسم واد. الغرف: شجر يذبح به، فإذا يسس، فهو الثمام، وقيل: هو الثمام عامة. وانظر: السكري، شرح أشعار الهذليين، ج ٣، ص ١٢٢٨.

وكتقول ابن مقبل:

وُدُّلٌ حَالاً بَعْدَ حَالٍ وَعَيْشَةٌ بَعِيشَتَا ضَيْقُ الرِّكَاءِ فَعَاقِلُهُ
سَخَاخاً يُزَجِّي الذَّئْبُ بَيْنَ سُهوبِهَا وَفَحْلُ النُّعَامِ رِزُّهُ وَأَزَابِلُهُ^(١)

ومثل قول أبي عدنان: إن الذئاب هي التي تسكن تلك الأطلال، ويشمل

هذا الجنس كل أنواع الذئاب التي ذكرها الشعراء مثل السمع، والدويل، أي: الذئب، والعسبار:

وسنداوة فضفاضة وحضاجر^(٢)

وسمغ حَفِيّ الرِّزِّ ثَلْبٌ ودَوِيلٌ وَثَرْمَلَةٌ تَعْتَادُهَا وَعَسَابِرُ^(٣)

وعلى هذا، يكون المقصود بالسباع في قول أبي ذؤيب هو: الذئاب (التي

وصفها بأنها تأكل الناس):

أَصْبَحَ مِنْ أُمَّ عَمْرٍو بَطْنُ مَرِّ فَاكُ نَافِ الرِّجِيعِ فِذٍ وَسِنْدِرٍ فَاْمَلَاخُ
وَخَشَأٌ سَوَى أَنْ فُرَاطُ السَّبَاعِ بِهَا كَانَهَا مِنْ تَبَغِّي النَّاسِ أَطْلَاخُ^(٤)

فالمقصود بالسباع، على هذا، هو: الذئاب؛ ولذا:

"يقال في السَّبِّ: بفيه العفاء، وعليه العفاء، والذئب العواء، وذلك أن

الذئب يعوي في إثر الظاعن، إذا خلت الدار عليه"^(٥).

(١) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ص ٢٤٠-٢٤٢. السخاخ: الأرض اللينة. الرز: الصوت. الأزاميل: الأصوات المختلفة.

(٢) السنداوة: الذئبة. الفضفاضة: اللحيمة. الجسيمة. الحضاجر: اسم للضيع أو لولدها.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ١٨٥. الثلب: البرم. الثرملة: من أسماء الثعالب.

(٤) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج ١، ص ١٦٤. فراط السباع: ما تقدم من السباع، ولا ينفرد من السباع إلا أخبثها. الأطلاق: المعية.

(٥) ابن منظور، اللسان، "عفا".

التراب

لم تذكر المراجع العلمية أن الذئب تأكل التراب، وهي ملاحظة قالها ابن فضل الله العمري: "الذئب لا تأكل التراب"^(١)، إلا أن الشعالي خالف هذا، فقال: "الذئب لا يُدّ له من شيء يُلقيه في جوفه، فرمما استتفّ التراب"^(٢). وإن كان هذا - إن صحّ - في حالة انعدام كل شيء يأكله .

(١) العمري، مسالك الأبصار وممالك الأمصار، ص ٥٩.

(٢) الشعالي، نمار القلوب، ص ٣٨٨.

الذئب في الدين والأدب والموروث الشعبي الطبي والخرافي

الذئب في الدين

القرآن الكريم

ذئب يوسف:

إن أول ما يتبادر إلى الذهن، عندما يحاول المرء أن يجد في الفكر الديني الإسلامي ما يشير إلى الذئب، هو قوله تعالى، في الحديث عن إخوة يوسف عليه السلام:

﴿ قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَسِرُونَ ﴿١١٤﴾ ﴾ ليوسف: ١١٤.

﴿ قَالُوا يَا بَنَاتَآ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِئُ وَرَزَقْنَا يَوْسُفَ عِنْدَ مَتْلِحَاتٍ فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ

لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١١٧﴾ ﴾ ليوسف: ١١٧.

وحيث نبش عما دار حول هذا من أقوال، نصادف رواية الجاحظ:

"قال أبو علقمة: كان اسم الذئب الذي أكل يوسف: رجحون، فقليل له: فإن

يوسف لم يأكله الذئب، وإنما كذبوا على الذئب، ولذلك قال الله ﷻ: ﴿ وَجَاءُوا عَلَىٰ

قَيْصِهِ، بِذَمِّ كَذِبٍ ۗ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً ۚ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۗ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ ۗ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾

ليوسف: ١١٨. قال: فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف^(١).

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٥، ص ٤٧٧.

وهكذا، دخل ذئب يوسف في التراث الأدبي للعرب، فقال أحدهم:
 الذئبُ لا يُؤمّن لكتفه عليه في يوسفَ مكذوب^(١)
 وتقول رواية في قصة يوسف^(٢):

"إن إخوة يوسف كانوا قد اصطادوا ذئباً، ولطّخوه بالدم، وأوثقوه بالحبال، ثم جاؤوا به إلى أبيهم، وقالوا: يا أبانا! هذا الذئب الذي يحلّ بأغنامنا ويفترسها، ولعله الذي فجّعنا في أختنا، لانشك في ذلك، وهذا دمه عليه، فقال يعقوب: أطلقوه! فأطلقوه، فصبص له بذنبه، وأقبل يدنو منه، فقال له يعقوب: ادن، فدنا، حتى ألقى خذّه بفخذه، فقال: أيها الذئب! لم فجعتني في ولدي، وأورثتني بعده حزناً طويلاً؟ ثم قال: اللهم، أنطقه، فأنطقه الله تعالى، فقال: والذي اصطفاك نبياً، ما أكلت لحمه، ولا مزقت جلده، ولا نتفت شعره، والله! ما لي بولدك عهد، وإنما أنا ذئب غريب، أقبلت من نواحي مصر في طلب أخ لي فقدته، فلا أدري أحيّ هو أم ميت؟ فاصطادني ولدك، وأوثقوني، وأحضروني، وإن لحوم الأنبياء حرّمت علينا وعلى جميع الوحوش، والله! لا أقمت في بلاد يفعل فيها أولاد الأنبياء بالوحوش هكذا؛ فأطلقه يعقوب، وقال لبنيه: لقد أتيتم بالحجّة على أنفسكم، هذا ذئب خرج يتبع ذمام أخيه، وأنتم ضيعتم أخاكم، وعلمتم أن الذئب بريء مما جتتم به، بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً، فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون"^(٣).

(١) العسكري: جمهرة الأمثال، ج ١، ص ٤٦٥.

(٢) لا يوجد في كتب التفسير ما يؤثّق هذه القصة؛ ولعلها مما جاء من أكاذيب الإسرائيليات وخرافاتهما،

وإنما أتينا بها لبيان كيفية تدخل الفكر الشعبي في صياغة القصص حول الذئب.

(٣) محمد حسين العاملي، المخلاة (القاهرة: المطبعة الميمنية، ١٣١٧هـ) ص ١٦٠. ذمام: عهد وذمّة.

وهكذا، صارت الحكاية عن "ذئب يوسف"، فقال أبو عبدالله بن الحجاج

الكاتب:

قد أذئبَ القَوْمُ وألزمته كأنهم أولادُ يعقُوبِ
إذ جَعَلُوا يوسُفَ في جَبِّهِ وأوقَعُوا الذئبَ على الذئب^(١)

الحديث الشريف

الذئب يتكلم:

"عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: بينما راع في غنمه، عدا عليه الذئب، فأخذ منها شاةً، فطلبه الراعي حتى استنقذها منه، فالتفت إليه الذئب، فقال له: من لها يوم السَّبْع، يوم ليس لها راع غيري، فقال الناس: سبحان الله ذئب يتكلم!! فقال رسول الله ﷺ: فإني أؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر"^(٢).

وهناك حديث الراعي:

"عن أبي سعيد الخدري، قال: بينما راع يرعى بالحرّة، إذا انتهب الذئبُ شاةً، فتبعه الراعي، فحال بينه وبينها، فأقبل الذئب على الراعي، فقال: يا راعي! ألا تتقي الله، تحول بيني وبين رزق ساقه الله إلي؟ فقال الراعي: العجب من ذئب مُقْع على ذئبه يكلمني بكلام الإنس. فقال الذئب: ألا أخبرك بما هو أعجب من هذا؟ هذا رسول الله ﷺ بين الحرّتين يدعو الناس إلى أبناء ما قد سبق. فساق الراعي شاءه، حتى أتى إلى المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم دخل على رسول الله ﷺ، فأخبره بما

(١) الثعالبي، ثمار القلوب، ص ٤٦.

(٢) أبو الحسين، مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق الشيخ أحمد عمر هاشم، بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ط ١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ج ٥، ١٣، ص ١٠. وانظر: مجدي محمد الشهاوي، قصص الطير والحيوان من الحديث والقرآن (القاهرة: دار النصر للطباعة الإسلامية، ١٩٩٣م) ص ٦٩. وانظر، ص ص ٦٧-٦٨. يوم السبع: يوم القيامة. وانظر: ياقوت، معجم البلدان، "السبع".

قال الذئب. فقال رسول الله ﷺ: صدق الراعي، إلا إنه من أشرط الساعة كلام السباع الإنس، والذي نفسي بيده، لاتقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، وحتى يكلم الرجل شراك نعله، ويحدثه سوطه، ويخبره بما أحدث أهله بعده^(١).

الدعوة بالذئب:

ويؤيد فهمنا للسبع (الكلب) بأنه الذئب في دعوة النبي ﷺ، أنه: "آتته ليلى بنت الخطيم بن عدي بن عمرو،.... وهي أخت قيس بن الخطيم الشاعر، وهو ﷺ مؤل ظهره إلى الشمس، فضربت على منكبه، وهو غافل، فقال: من هذا؟ أكله الأسود. وكان كثيراً ما يقولها، فقالت: أنا بنت مطعم الطير، ومباري الريح، أنا ليلى بنت الخطيم، جئتك أعرض نفسي عليك لتزوجني، فقال: قد فعلت، فرجعت إلى قومها، فقالت: قد تزوجني رسول الله، فقالوا: بس ما صنعت! أنت امرأة غيري، ورسول الله صاحب نساء، وتغارين عليه، فيدعو عليك، فاستقبله نفسك، ففعلت، فأقالها. فيينا هي في حائط من حيطان المدينة تفتسل، إذ وثب عليها ذئب، فأكل بعضها، لقوله ﷺ، فماتت"^(٢).

ويتضح لنا بهذا أن المقصود بقوله ﷺ: الأسود: أي، الذئب.

واسترسالاً مع الذئب في التراث العربي الإسلامي، فإن دعوة الرسول ﷺ على عتية بن أبي لهب، وكان يُكنى أبا واسع، وكان شديد الأذى للنبي، فدعا النبي ﷺ

(١) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد (بيروت: دار إحياء التراث، دت) ج ٣، ص ٥٠٤. وانظر، عبداللطيف عاشور، قصص الحيوان في الحديث النبوي (القاهرة: دار الطلائع، ١٩٩٢م)، ص ٦٣-٦٦. الحرة: أرض بظاهر المدينة، بها حجارة سود كثيرة. أقمى الكلب: جلس على استه، وسط ذراعيه، مفترشا رجليه، وناصبا يديه. زواها: جمعها. شراك نعله: خيوط الحُفّ الذي يرتديه.

(٢) ابن حبيب، المحبر، ص ٩٦.

الله بأن يسلط عليه "كلباً" عقوراً، وهو ما اتضح أنه يعني سباً، أي ذنباً. قال ﷺ: "اللهم سلط عليه كلباً من كلابك". وخرج أبو واسع في سفر له، ومعه عدة من قومه، فخطا إليه السبع من بينهم حتى أكله"^(١). وها قد نصَّ على أن المقصود بـ"الكلب" السبع، أي: الذئب، وسنرى في قصة حسان ذكر "الليث" و"الكلب" معاً، وفيها بين حسان حركة اختلال الذئب.

أما الحديث الآخر، مما له علاقة بما نحن فيه، فهو أن الرسول ﷺ: "مر بجارية سوداء وهي تُرَقص صبيّاً لها، وتقول:

ذؤال! يابن القوم! يا ذؤال! يمشي الثُّطا وَيَجْلِسُ الْهَيْتَقَعَةَ

فقال عليه الصلاة والسلام: لا تقولي ذؤال، فإنه شر السباع"^(٢).

وحيث إن الذئب شر السباع، فقد نقل الجاحظ أنه: "أمرنا بقتل.... الذئب"^(٣).

الذئب في الفقه

نجاسة الذئب:

الجلد: ولأن الذئب سبع، فقد اختلف الفقهاء في حكم الصلاة في جلود السباع، فمالك يكره الصلاة في جلود السباع، وإن دُبغت، ويمنع حتى من بيعها. وأما الشافعي، فيرى أن الدبغ يطهر جلود الحيوان المأكول وغير المأكول، إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما"^(٤).

(١) ابن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، ج ١، ص ٤٢٩.

(٢) ابن منظور، اللسان، "ثطا"، "نال". ذؤال: ترخيم ذؤالة، أي الذئب. ثطا: ثطا الظبي، خطأ. الهيتقة: الحمقى.

(٣) الجاحظ، الحيوان، ج ١، ص ٣٠٧. ولم يرد هذا الأمر في الأحاديث الصحيحة.

(٤) ابن منظور، اللسان، "سبع".

الخطفة: النهي عن أكل ما اقتطع الذئب من البهيمة وهي حية.

وفي الحديث أيضاً:

“أن النبي ﷺ نهى عن المجتمعة، والخطفة: وهي ما اختطفه الذئب من أعضاء الشاة وهي حية من يد أو رجل.. والصيد حي؛ لأن كل ما أبين من حي، فهو ميت. والمراد ما يُقَطع من أعضاء الشاة”^(١).

الذئب في الأدب

في الإسلام

مكلم الذئب:

وقد قالوا: أنطق ذئب أهبان بن أوس^(٢).

وذكروا: أن الذئب كلم ثلاثة من الصحابة، هم: رافع بن عميرة. سلمة بن الأكوع. أهبان بن أوس^(٣).

وذكرون أن لرافع بن أبي رافع شعراً مشهوراً في تكليم الذئب له، يقول فيه:
فلما أن سمعتُ الذئبَ نادى يُشترُّني بأحمدَ من قريب
فألفيتُ النبيَّ يقول قولاً صدوقاً ليس بالقول الكذوب^(٤)

(١) المصدر نفسه، "خطف". وانظر: سورة المائدة، آية رقم (٣).

(٢) أبو عثمان، عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، (مناقب الترك) تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (القاهرة: المطبعة العربية الحديثة، ١٩٧٩م)، ج ١، ص ٣٢.

(٣) البستاني، دائرة المعارف، ج ٨، ص ٤٣٣.

(٤) السهيلي، الروض الأنف، ج ٧، ص ص ٥٢٥-٥٢٦. وهو الأسلمي، من أسلم، من خزاعة. انظر: ياقوت، معجم البلدان، "وبرة"، "بين". وجاء في حاشية محقق الروض الأنف، ص ٥٢٦: "وليس للقصة سند يُعتدُّ به، ولهذا لم يأت بها حديث واحد يحترمه أهل الحديث. ولا ريب في أنها أسطورة. شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي بن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة (بغداد: مكتبة المثني، د.ت) ج ١، ص ص ٤٩٧-٤٩٨.

وترويه كتب الأدب على النحو التالي:

"ذئب أهبان يضرب مثلاً للشيء العجيب، وكلام ما لا يتكلم. ومن قصة أهبان ابن أوس (السلمي)، أنه كان في غنم له، فعدا الذئب على شاة منها، فصاح فيه أهبان، فألقى الذئب، وقال له: أنتزع مني رزقاً رزقنيه الله! قال أهبان: فصفت بيدي تعجباً، وقلت: والله ما رأيت، ولا سمعت أعجب من هذا! فقال: أتعجب من هذا، ورسول الله ﷺ بين هذه التخلات، وأوماً بيده إلى آيات المدينة، يحدث بما كان ويكون، ويدعو إلى الله عباده! قال: فجئت إلى النبي ﷺ، وأخبرته بالقصة، وأسلمت. فكان يُقال: لأهبان: مُكَلِّم الذئب، ولولده: بنو مكلّم الذئب، قال الشاعر:

إلى ابن مكلّم الذئب ابن أوس

رحلت غداً فكنت على أمان

وقال رزين العروضي، يهجو بعض ولد أهبان:

فكيف لو كلّم الليث الغضوب إذاً

تركتم الناس مأكولاً ومشروباً

هذا السنيدي لا أصل ولا طرف

يكلم الفيل تصعيداً وتصويماً^(١)

ويروي الجاحظ أنه قال:

تهتم علينا بأن الذئب كلمكم

فقد لعمرى أبوكم كلم الذئب^(٢)

(١) الثعالبي، ممار القلوب، ص ص ٣٨٦-٣٨٧.

(٢) الجاحظ، الحيوان، ج ٧، ص ٢١٧.

والآيات منسوبة لدعبل الخزاعي، في الأصفهاني، الأغاني، ج ٢، ص ٩٠، كما أنها منسوبة لأبي سعد المخزومي، في ابن المعتز، طبقات الشعراء، ص ص ٢٩٤-٢٩٥، ولعل هذا هو الصواب.

وذكره البحترى، فقال:

زَيْنٌ لِمَمْلَكَةٍ وَلَمْ يَعْلَمْ بِهِ

ذَيْبٌ خِزَاعِيٌّ الْهَوَى وَالْمَحْضَرُ^(١)

وقال المعري:

"ذئب يقتنص ظباءً، فيُفني السُّرْبَةَ بعد السرية، وكلما فرغ من ظبي أو ظبية، عادت بالقدرة إلى الحال المعهودة.... يقول: أنا الذئب الذي كلّم الأسلمي على عهد النبي ﷺ، كنت أقيم عشر ليالٍ أو أكثر، لا أقدر على العكرشة ولا القُوع. وكنت إذا هممت بعجّي المعيز، أسد الراعي عليّ الكلاب، فرجعت إلى الصاحبة مخزق الإهاب.... وربما رُميت بالسُروة، فنشبت في الأقارب، فأبيت ليلي لما بي، حتى تنتزعها السلقة، وأنا بأخر النسيس، فلحقتني بركة محمد ﷺ"^(٢).

تمويه مسيلمة الكذاب:

ومما يتعلق بالكذب والتزييف، ما ورد من تمويه مسيلمة الكذاب واحتياله، وادعائه المعجزات والآيات، إذ يقال: إنه "دعا لرجل في ابنين له بالبركة، فرجع إلى منزله، فوجد أحدهما قد سقط في البئر، والآخر قد أكله الذئب"^(٣).

ومن كلام علي ﷺ، في التمثيل بالذئب: "اختطاف الذئب الأزل دامية

المعزى"^(٤).

(١) البحترى، ديوان البحترى، ج ٢، ص ٩٥١.

(٢) أبو العلاء المعري، رسالة الغفران، تحقيق: عائشة عبدالرحمن (القاهرة: دارالمعارف، ط ٧، ١٩٨١م) ص ٣٠٦. السرية: الجماعة من الظباء. العكرشة: أنثى الأرنب. القوع: ذكر الأرنب. العجبي: ما قدامه. أسد: أغرى. السلقة: الذئبة. السروة: السهم القصير أو العريض النصل. الأقارب: جمع قرب، وهو الحاصرة. النسيس: غاية جهد الإنسان، وبقية الروح في الجسد.

(٣) جواد علي، الفصل في تاريخ العرب، ج ٦، ص ٩٣.

(٤) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٢، ص ٨٢.

دعوة النبي ﷺ على أبي واسع في شعر حسان:

يقول حسان بن ثابت في أبي واسع الذي دعا النبي ﷺ بأن يأكله "السبع"

(الذئب):

سائلُ بني الأشعرِ إن جيتهم ما كان أنباءُ أبي واسع
لا وسَمَ الله له قبره بل ضيقَ الله على القاطع
رِخْمَ نَبِيٍّ جَدُّهُ جَدُّهُ يذعو إلى نُورِ هُدَى ساطع
أَسْبَلُ بِالْحِجْرِ لِتَكْلِيهِهِ دُونَ قُرَيْشٍ نُهْزَةَ الْقَاذِعِ
فَاسْتَوْجَبَ الدَّعْوَةَ مِنْهُ فَقَدَ يَبْنَ لِلنَّاطِرِ وَالسَّامِعِ
أَنْ سَلَطَ اللهُ بِهِ كَلْبَهُ يَمْشِي الْهُونَا مِشِيَةَ الْخَادِعِ
فَالْتَهَمَ الرَّأْسَ يَبْأَفُوخِهِ وَالْحَلْقَ مِنْهُ فَفَرَةَ الْجَائِعِ
أَسْلَمْتُمُوهُ وَهَوَّ يَدْعُوكُمْ بِالنَّاسِ وَاللَّيْثُ يَعْلُوهُ بِأَثْيَارِهِ
وَاللَّيْثُ يَعْلُوهُ بِأَثْيَارِهِ لَا يَرْفَعُ الرَّحْمَنُ مَضْرُوعَكُمْ
مَنْ يَرْجِعُ الْعَامَ إِلَى أَهْلِهِ قَدْ كَانَ فِيهِ لَكُمْ عَيْرَةٌ
مَنْ عَادَ فَاللَّيْثُ لَهُ عَائِدٌ

مطعم الذئب:

يقول الهمداني:

"لبنِي الْحِمَاسِ، مِنْ بِلْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ... وَادِي مِرَانَ...؟ بَنُو قُبَاثِ مِنْهُمْ،

(١) ابن ثابت، ديوان حسان بن ثابت، ج ١، ص ٤٢٩. وانظر: الصفة "سيد"، اللسان، "سود".

وهم سادتهم وأشرفهم، منهم: محمد بن قُبَاث، مطعم الذئب، وله خبر عجيب^(١). والحكاية عن رجل، في الإسلام، كما يتبين من الخبر، وعن ناس ممن يسكن اليمن، من نواحي ما بين عدن وحضرموت، ولم يفصل الهمداني فيما سماه: "خبر عجيب". على أن التراث الشعبي في الجزيرة العربية، يذكر حكاية ذات رؤية مشابهة، باسم: "معشي الذيب"^(٢).
التسمي بـ"الذئب":

سَطِيح الكاهن (الذئبي): يدل التسمي بالذئب على البعد الأسطوري، بل الطوطمي، في العقلية العربية قبل الإسلام بآماد بعيدة؛ فسَطِيح الكاهن كان يُدعى: الذئبي، نسبة إلى أحد أجداء المسمى: ذئب: إلا أن الشاعر نسبته إلى أمه في قوله: وأمه من آل ذئب بن حَجَن^(٣).

والذي، لا شك - يمتد في الزمن ليصل إلى تلك المرحلة السحيقة المرتبطة أيضاً بعبادة الحيوان، ومنها الذئب. وكان أحد الشعراء يدعى بابن الذئبة، نسبة إلى أمه، واسمه ربيعة بن عبد الليال^(٤).
في الجاهلية

الذئب في الأساطير:

التخويف بالذئب: وكما اعتقدت شعوب العالم بأثر الذئب في حياتها العامة والخاصة، فخوفوا به الأطفال، وأرعبوا به الكبار، واتخذوه بركة وخشية، فعل العرب الشيء نفسه، ففي الجاهلية جاء في أمثالهم، قولهم: "لقد كنت وما أخشى

(١) أبو محمد، الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد علي الأكواع (الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٢م)، ص ١٨٦.

(٢) إبراهيم بن عبدالله اليوسف، قصة وآيات(الرياض: مرام للطباعة، ط ١، ١٤١٧هـ) ج ١، ص ١٣١.

(٣) ابن منظور، اللسان، "سطح". وانظر، الزبيدي، التاج، "سطح".

(٤) السهيلي، الروض الأنف، ج ١، ص ٢٢٩.

بالذئب". وهو مثل يقوله الرجل، يذل بعد العز، وأصله في الرجل يخرف، فيصير بمنزلة، فيفرغ بمجيء الذئب^(١).

وفي نطاق الترويع بالذئب، قال كعب الأشقري، مشيراً إلى تخويف الأطفال به: وما رُوِّعت بالذئب ولدانُ أهلها ولا نَبحت إلاَّ التُّجومَ كلابها^(٢)

إذن، كان الذئب يُمثل على أنه قوة شريرة على الأطفال أن يتجنبوها.

الاعتقاد في الذئب: ولقد أتخذ العرب من عصور بعيدة أجزاء من الذئب،

لاعتقادهم بأثره السحري، يقول امرؤ القيس:

مُرْسَعَةٌ بَيْنَ أَرْسَافِهِ بِهِ عَسَمَ يَتَغَيَّرُ أَرْبَا
لِيَجْعَلَ فِي كَفِّهِ كَعْبَهَا حَذَارَ الْمَنِيَّةِ أَنْ يَعْطَبَا

يريد: أنه يُتداوى، ويُتعوَّذ بكعب الأرنب، حذر الموت والعطب، وكانوا

يشدُّون في أوساطهم عظام الضبع والذئب، يتعوذون بها^(٣)، يجعلونه في سير^(٤).

وهكذا، كان يُوضع في عُنُق الصبيِّ في الجاهلية تعاويذ وخرزاً، تبقى طول

النهار، تضبطه من التعرّف والبعد عنك، خوفاً من الذئب عليه^(٥).

(١) العسكري، جمهرة الأمثال، ج٢، ص١٨٢.

(٢) أبوبكر، محمد وأبو عثمان سعيد الخالديان، الأشباه والنظائر، تحقيق السيد محمد يوسف (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥م) ج٢، ص١٨١.

(٣) ابن حجر، ديوان امرئ القيس، ص١٢٨. المرسعة: مثل المَعَاذَة. الأرساع: جمع رَسْع، وهو مفصل ما بين الكف والذراع. العسم: يُيس في الرُسْع واعوجاج.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) أبوزكريا، يحيى بن علي بن محمد الشيباني التبريزي، شرح المفضليات، تحقيق: علي محمد الجاوي (القاهرة: دار نهضة، مصر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م) ج١، ص٦٨.

وهذه المعتقدات هي مما أبطله الإسلام ونهى عنه، ونوردها هنا كما جاءت في كتب التراث، من باب العلم والاطلاع فقط.

وستقتصر في حديثنا عن موقع الذئب في الاعتقاد العربي على الإشارة إلى أن الأمثال العربية ربما حملت تفكيراً أسطورياً، تلاشت ظلاله من الأذهان، ويدلنا على هذا قصة المثل:

"من استرعى الذئب، ظلم".

أي: ظلم الغنم، ويجوز أن يراد: ظلم الذئب، حيث كلفه ما ليس في طبعه، وهو مثل يضرب لمن يُوكِّي غير الأمين".

ومع أن الأمانة مسألة أخلاقية إنسانية، ذات علاقة دينية، فإنهم يروون في قصة المثل: أن أول من قال ذلك أكثم بن صيفي، وذلك أن عامر بن عبيد بن وهيب تزوج صَعْبَةَ بنت صيفي أخت أكثم، فولدت له بنين: ذئباً، وكلباً، وسبعاً، فتزوج كلب امرأة من بني أسد ثم من بني حبيب، وأغار على الأقياس - وهم قيس بن نوفل، وقيس بن وهبان، وقيس بن جابر - فأخذ أموالهم، وأغار بنو أسد على بني كلب - وهم بنو أختهم - فأخذوهم بالأقياس، فوفد كلب بن عامر على خاله أكثم، فقال: ادفع إلى الأقياس أموالهم حتى أفتدي بها بني من بني أسد، فأراد أكثم أن يفعل ذلك، فقال أبوه صيفي: يا بُنَيَّ! لا تفعل؛ فإن الكلب إنسان زهيد، إن دفعت إليه أموالهم، أمسكها، وإن دفعت إليه الأقياس، أخذ منهم الفداء، ولكن تجعل الأموال على يد الذئب، فإنه أمثل إخوته وأنبلهم، وتدفع الأقياس إلى الكلب، فإذا أطلقهم، فمر الذئب أن يدفع إليهم أموالهم، فجعل أكثم الأموال على يد الذئب، والأقياس على يد الكلب، فخدع الكلب أخاه الذئب، فأخذ منه أموالهم، ثم قال لهم: إن شئتم جززت نواصبيكم، وخليت سبيلكم، وذهبت بأموالكم، وخليت سبيل أولادي، وذهبت بأموالهم، وبلغ ذلك أكثم فقال: من استرعى الذئب ظلم، وأطعم الكلب في الفداء، فطول على الأقياس، فأتاه أكثم، فقال: إنك لفي أموال

بني أسد، وأهلك في الهوان، ثم قال: نعيم كلبٍ في هوان أهله، فأرسلها مثلاً^(١).
لقد احتل الذئب في التراث الأدبي مكانة بارزة، وسيطر الاعتقاد في الذئب على تفكير كثير من الشعوب، فصوروه في حفرياتهم، ورسموه على جدران معابدهم، وأصبح رمزاً لبعض القوميات في أعلامهم ومسكوكاتهم النقدية.
وليس بأدينا، ونحن نتعامل مع الأساطير، إلا أن نشير إلى أن خرافة السَّمع أو العسبار، المتولد عن اجتماع ضبع وذئب، ذات مغزى أسطوري بعيد الأغوار، إذ هو يعود إلى المرحلة المبكرة من مراحل نشوء الأساطير، في ذلك الزمن الذي احتلت فيه الأنثى مكانة القداسة، والتي تتمثل في الحيوان الطوطم "الأم الكبرى" (الضبع)، ثم في قوة الذكورة المتمثلة في سلطة الأب (الذئب)، وكما هو متمثل في تماثيل الآلهة التي تجعل أجزاء الأنوثة وأجزاء الذكورة في جسد واحد. وقد رأينا أن السمع أو العسبار، حيوان صغير، هو القطة المتوحشة، أو في الحقيقة هو الوشق، وهما حيوانان من الحيوانات التي حظيت بمكانة قدسية في الأسطورة، وحسب أحد الافتراضات، فإن هذه المرحلة تعود إلى خمسين ألف سنة مضت^(٢).

أما أسطورة الغول، أو الرجل الخرافي، أو ذلك المتذئب، أو الذي لبس جلد الذئب، فهو أيضاً ذو علاقة بالسابق، حيث يلبس الساحر الرداء المقدس^(٣).
ولسنا نجد في التراث العربي دلائل أخرى تخرج عن مثل هذا الترميز، ولا بقية باقية عن مثل تلك الاعتقادات عند الآخرين، اللهم إلا إذا أخذنا أسماء الأعلام، كدليل شعائري، لأثر طقسي قديم، كما أو ماناً سابقاً. أو كقولك: إن العمّلس كان رجلاً براً بأمه، كان يجعلها على عاتقه، والعملس من أسماء الذئب^(٤).

(١) الميداني، مجمع الأمثال، ج ٢، ص ٣٠٢.

(٢) Michael Harrison, the Roots of witchcraft (London: Taindem, 1975), p. 65 – 72.

(٣) Ibid, p. 61 – 62.

(٤) الميداني، الدرّة الفاخرة، ج ١، ص ٨٢.

ولكن التسمية بالذئب: أسمائه وصفاته، تتجاوز أسماء الأعلام إلى أسماء الأماكن؛ وأسماء الأماكن ذات العلاقة بالذئب كثيرة في العالم، وبعضها كان ما يزال مزارات لصلوة القديسين بالذئاب، حيث ارتبط اسم قديس ما بالذئب ولا يستبعد المرء مثل هذا الواقع فيما قبل الإسلام، فكثيرة هي الأماكن التي أطلق عليها اسم الذئب، وذلك مثل:

الذئب: موضع في بلاد بني كلاب.

الذئبة: ماء لبني ربيعة^(١).

فإذا أضفنا إلى هذا عبادة الذئب التي ربما وجدت ذات يوم عند الوثنيين العرب الذين عبدوا الأحجار وبعض الحيوانات^(٢) فإنه يمكن تصوّر عبادة الذئب كما يعكسها بعض أسمائه، فمن أسمائه "عوف"، ومن أسماء العرب "عبد عوف". أي: عبدالإله عوف: الذئب الذي كان صنماً.

و"ذو الذئبين"^(٣) موضع عند النابغة الجعدي.

ولأول مرة في الشعر العربي نجد إشارة إلى أن العرب كانوا يتشاءمون بالذئب إذا مر عن يسارك، ويتفاءلون به إذا مر عن يمينك، وذلك مثلما يتشاءمون بالغربان؛ ولهذا، كثيراً ما كان يُجمع بينهما. ومن هنا: ارتبطت رؤية الذئب بيوم ظعن الأحبة، رمز الفراق الأدبي، يقول جبران العود:

لَعَمْرُكَ إِنَّ الذَّئْبَ يَوْمَ سَمَّا لَنَا عَلَى حَاجَةٍ مِنْ جَوْءٍ لَصَدِيقِ

(١) ياقوت، معجم البلدان، "الذئب".

(٢) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج ٦، ص ١٧، ١٩، ٢٨٨، ٨، ص ٦٩١ وانظر، الميداني، مجمع الأمثال، ج ١، ص ١٤٧.

(٣) الجعدي، شعر النابغة الجعدي، ص ٦٢.

وهذا دَفَعٌ للتشاؤم فقط، بينما يستبطن ذلك البعد؛ لأنه يتحدث في القصيدة عن فراق محبوبته "حميدة"، ويقول:

وما كان ذئب سائحٍ ليرُدُنِي ولا الطيرُ في كهفٍ لهنّ نَعيقٌ^(١)
و"الطير" هنا، يعنون به الغربان.

ويبين الجمع بين الذئب والغراب في الرؤية التشاؤمية، قول أحدهم:

هذا أَحَقُّ مَنْزِلَ يَتْرُكُ الذئبُ يَعوي والغراب ييكي^(٢)

وهم يجمعون أيضاً بين الظباء والذئاب في التشاؤم، قال الصمة بن عبدالله

القشيري:

ويوماً بقاع الأخرين جرى لنا ينحسٍ ظباء الأخرين وذبيها^(٣)

ومن ثم، فليس من تفسير لاعتقادهم بأنه:

"إذا دخل الظبي الحرم، كَفَّ عنه الذئب"^(٤).

إلا جعل الذئب قوة شريرة، تردعها قوة خيرة، أي: أنه هنا يمثّل رمزاً من رموز

الشر، في مقابل الخير التي تتمثل الآن في الظبي الذي يلجأ إلى الحرم. وهذا بالتأكيد

ليس تصوراً إسلامياً، وإنما هو تصور وثني سابق للإسلام.

نجد هذا الاعتقاد الوثني في جانبه الشرير، التشاؤم، في وصفهم للذئب بـ:

"اللّعين"^(٥).

(١) العود، ديوان جران العود، ص ٥٣.

(٢) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: أحمد أمين وآخر، القاهرة: مطبعة التآليف والترجمة والنشر، ط ٢، ١٣٧٣هـ/١٩٥٣م) ج ١، ص ١٧١.

(٣) القشيري، ديوان الصمة بن عبدالله القشيري، ص ٣٤.

(٤) الجاحظ، الحيوان، ج ٣، ص ١٣٩.

حتى قال الشماخ:

مكان الذئب للرجل اللعين^(١)

وذلك أنه: "يقال للذئب: لعين، وللرجل الطريد: لعين"^(٢).

و"اللعين" ذو اعتبارات دينية، فالذئب مطرود - حسب التصور الوثني - من

الرحمة، ومحرمّ عليه دخول أماكنها المقدسة، أو الاقتراب منها.

فإذا تجاوزنا أسماء الأعلام، وأسماء الأماكن، يمكن أن نأخذ برواية بيت

عبد بن الطبيب التي تقول:

فيها الذئب وفيها الأسد مخدرةً من كلّ شيء يرى فيها تهاويلُ

والرواية المشهورة هي: فيها "الدجاج".

وذلك في إشارة إلى أحديوت العبادة في الجاهلية، في قوله:

في كعبة شادها بانٍ وزئبها فيها ذبالٌ يضيء الليلَ مفتول^(٣)

والرواية المناسبة هي "فيها الذئب"، لتناسق الذئب والأسود.

ولإحلال رواية مكان رواية مستساغ في التراث الشفوي، ولذلك، فإن رواية:

"فيها الذئب...."، تشير إلى تقديس الذئب، كما هو الحال في تقديس الأسد،

فتصويرهما على جدران المعبد يعني أنهما حيوانان احتلا مكانة القداسة في تاريخ

العرب القديم.

(١) الشماخ، ديوان الشماخ، ص ٣٢١.

(٢) المصدر نفسه، حاشية، ص ٣٢٢.

(٣) أبو عبدالله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (القاهرة: مطبعة دار الكتب

المصرية، ط ٢، ١٣٥٣/١٩٣٥م)، ج ٢، ص ٢٥.

(٤) التبريزي، شرح المفضليات، ج ١، ص ٥٢٩.

ومّا يدل على هذه المكانة الأسطورية التي احتلها الذئب في تاريخ العرب القديم، ذلك الاعتقاد الشعبي السائد بين الأعراب الذين:

"يزعمون أن الله تعالى ﷻ لم يدع ماكساً ظالماً إلا أنزل به بليّة، وأنه مسخ منهم اثنين: ضبعاً وذئباً، فلهذه القرابة، تسافدا وتناجلا"^(١).

وفي هذا الاعتقاد يقول الحكم بن عمرو البهراني:

إِنَّ رِييَ لِمَا يَشَاءُ قَدِيرٌ مَا لَشِيءٍ أَرَادَهُ مِنْ مَقَرٍّ
مَسَخَ الْمَاكْسِينَ ضَبْعاً وَذئباً فَلِهَذَا تَنَاجَلَا أُمُّ عَمْرُو^(٢)

إن هذا الاعتقاد الشعبي بين الأعراب، والذي صيغ على ما يظهر صياغة إسلامية، يعود إلى أزمنة غابرة، قد تعود إلى أول اصطدام حضاري بقيام الحركة التجارية في مناطق النفوذ التي احتكوا بها، كما تمتزج بذلك التصور الخاص باتصال الذئب بالضباع، مما يفسر لنا أن اعتقادهم ذلك الذي أشرنا إليه في إنجاب السّمع أو العيسار، ذو ارتباط بالتأثير النفسي للحركة التجارية في المنطقة، والانتقال من المرحلة الرعوية إلى مرحلة تجارية.

أما الاعتقاد الآخر في الذئب، فهو أن:

"العَبُورُ: تُسَمَّى كَلْبُ الْجَبَّارِ، يَعْنُونَ:

الجوزاء؛ ويقال: إن الكلاب والذئب تكلّب عند طلوع الشّمرى"^(٣).

أيضاً إحدى الأساطير التي تحاول تفسير حدوث ظاهرة طبيعية ما، بالعلاقة

(١) الجاحظ، الحيوان، ج ٦، ص ١٤٩-١٥٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٨٠. أم عمرو: الضبع.

(٣) أبو محمد، عبدالله بن مسلم ابن قتيبة، الأنواء (حيدرآباد - الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية،

بالأنواء، وهي مرحلة من مراحل التدنُّن التي مرّت بها البشرية، حيث احتلت فيها عبادة النجوم والكواكب مكانتها في التأريخ الإنساني، وأرجعت الظواهر الطبيعية إلى حركاتها. ويتعمق لنا الإحساس بمكانة الذئب الطقسية، ليس في علاقته بالمعابد، أو الأشكال (مَسَخ الماكسين ضبعاً وذئباً)، أو النجوم والكواكب، وإنما في الاعتقاد في ذات الذئب نفسه. وقد انقسم العرب على قسمين، فجماعة من العرب تتشاءم بالغراب، وتتيامن بالذئب؛ لأنه كسوب^(١). وجماعة منهم ترى أنه:

"ليس في السباع أكسب منه، وهو لا يُتفأل به، ويُتفأل بالأسد"^(٢).

ولعل تفسير هذا التباين في الموقفين، مع أن كليهما يَحْمَدَان في الذئب الكسب، يعود إلى منطقة كل منهما، فرمما كان الأولون يتيامنون به؛ لأنهم يتشاءمون من الغراب، الذي يروونه تابعاً للذئب، ومقتنياً لأثره، وعائلةً على صيده، ولعل هؤلاء هم أهل البراري والصحاري؛ أما الآخرون، فلعلهم أصحاب المناطق الجبلية التي تحيا فيها الأسود عادة، ويكون الذئب فيها دخيلاً عليها، وغريباً عنها. والمهم أن كلا الفريقين رأى في الذئب إما تيمناً، وإما تشاؤماً، وهاتان الفكرتان مرتبطتان أصلاً باعتقاد بدائي سائد بين الشعوب في مراحلها الاجتماعية الأولى التي تُعيد الخير والشر إلى قوى غامضة مبعثها الآلهة، مما يؤكد لنا الافتراض أن الذئب قد احتل ذات يوم مكانة طقسية بين شعوب المنطقة أو عند قبائلها.

وينقل الدميري عن القزويني حكاية عن بعض الأعراب:

"أنه نزل وادياً بغنمه، فسلب سرحاناً شاةً من غنمه، ورفع صوته ونادى: يا عامر الوادي، فسمع صوتاً: يا سرحان! ردّ عليه شاته، فجاء الذئب بالشاة، وتركها، وذهب"^(٣).

(١) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ٤٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٢٤. وانظر في السانح والبارح، ابن منظور، اللسان، "سنح".

(٣) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج ١، ص ١٩. السرحان: الذئب.

وتفسر هذه الحكاية تلك الأساطير والأقاصيص الشعبية عن علاقة الجانّ بالذئب. ويمكن أن يكون زواج أم بلقيس نوعاً من تلك العلاقة، إذ يُروى:

"أن أم بلقيس ابنة الهدهاد امرأة من الجن، كان سبب تزويج الهدهاد ابن شرحبيل بها أنه خرج للصيد في جماعة من خدمه وخاصته، فرأى غزالاً يطرده ذئب، وقد أضافه إلى ضيق ليس للغزال منه متخلص، فحمل الهدهاد ابن شرحبيل على الذئب حتى طرده عن الغزال، وخلص الغزال"^(١).

ولكن الأدب الشعبي في الجزيرة العربية يتخذ موقفاً مغايراً، فهو يجعل الجن تخاف من الذئب، وهناك حكايات عن أكل الذئب الجن.^(٢)

ومهما يكن، فمن المؤكد أن الحوت فهم فهماً خاطئاً عندما قال:
"ولم تنج الذئب من ركوب الجن".
وذلك تعليقاً على رواية الأغاني:

"بيننا نحن نسير بين أنحاء الأرض تذاكرنا الشعر، فإذا راكب أطللس يقول..."^(٣).

ذلك أنه فهم أن "أطللس"، تعني صغير الذئب. وليس الأمر كذلك، وإنما هو معنى استعاري، يعني رجلاً رثّ الحال، بالي الثياب، كأنه في حالة ذلك الذئب الأطللس، الذي طالما وُصف عندهم بالشقاء.

(١) عبدالملك بن قريب الأصمعي، تاريخ الملوك الأولية، تحقيق: محمد حسن آل ياسين (بغداد: المكتبة العلمية، ١٩٥٩م)، ص ٧٨.

(٢) عبد العزيز السواط، هل تأكل الذئب الشياطين. جريدة عكاظ، س ٣٥، ع ١٠١٦٠ (الخميس ٢٢ ذي الحجة ١٤١٤ هـ / ٢ يونيو ١٩٩٤)، ص ٢٢.

(٣) سليم الحوت، الميتولوجيا عند العرب (بيروت: مؤسسة خليفة للطباعة، ٢٠٢٩م) ص ٣١٥.

أما التفكير الأسطوري الذي ربما عاد إلى الجاهلية، ولكنه حُرّف في الإسلام، فهو القول:

إن "جبريل ~~عليه السلام~~ يعيد طفلين أكلهما الذئب".^(١)

فالتفكير الديني الإسلامي لا يقول بهذا، وإنما هو تفكير شعبي أحل جبريل محل آلهة الخير في الجاهلية، بينما بقي الذئب رمزاً من رموز آلهة الشر. وبما قد يكون ذا علاقة بالأساطير المتعلقة بالذئب ما رواه الأصمعي عن خلف الأحمر، من أنه روى قول الجعدي:

زَجَرَ أَبِي عُرْوَةَ السَّبَاعَ إِذَا أَشْفَقَ أَنْ يَلْتَمِسَنَّ بِالْفَنَمِ

وقد روى الأصمعي عن خلف، تفسيره لذلك البيت:

"كان أبو عروة السباع يصيح بالسبع، وقد احتمل الشاة، فيسقط، فيموت، فيشُقّ بطنه، فيوجد فؤاده قد انخلع".^(٢)

وأكثر المعاني المرتبطة بالسبع وعلاقة الشاة خاصة بالذئب.

ولهذا التأثير الطقسي للذئب، اعتقد العرب في أن السنة المجدبة هي بلاء حلّ

بالأرض، فانتشرت فيها الضباع والذئاب، يقول جرير:

يَأْوِي إِلَيْكُمْ بِلَاءٌ مِنْ وَلَا جَحْدٌ مَنْ سَأَقَهُ السَّنَةُ الْحَصَاءُ وَالذَّيْبُ

ويقولون لذلك:

"أكلتنا الضبعُ:

يريدون: أن الناس إذا أجدبوا، ضعفوا عن الانبعاث، وسقطت قواهم،

فعاثت فيهم الضباع والذئاب، فأكلتهم. قال الشاعر:

أَبَا خُرَاشَةَ إِذَا كُنْتَ ذَا نَفْرِ فَإِنَّ قَوْمِي لَمْ تَأْكُلْهُمُ الضَّبْعُ

(١) مصطفى الجوزو، من الأساطير العربية والخرافات (بيروت: دار الطليعة، ط ١، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ص ٢٦.

(٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج ٢، ص ١٨٥. وانظر، ابن منظور، اللسان، "عرا".

أي: أن قومي ليسوا بضعاف تعيث فيهم الضباع والذئاب".^(١)

ومن المظاهر الرائعة في التفكير الأسطوري عند العرب ، تعريف أبي عبيدة

معمر بن المثنى لـ "يوم السبع" الوارد في الحديث الشريف على لسان ذئب:

"..... من لها يوم السبع".

فقد عرفه بأنه:

" عيد كان لهم في الجاهلية ، يشتغلون فيه بأكلهم ولعبهم ، فيجئ الذئب ،

فيأخذها".^(٢)

وهو طقس أسطوري نجد له مثيلاً عند قبائل الهنود الحمر فيما يعرف

باحتمالات "الكلوكوانه" *the klukwana*^(٣). وذلك تكريماً للإله الهاساس Ha-sass. ويبدو

أن أبا عبيدة نقل الصورة دون تفاصيل ، إذ لعل الجاهليين كانوا يقيمون طقوس عبادة

لآلهتهم ، في احتفال بهيج طيلة النهار ، ثم عندما يأتي المساء ، الوقت المعتاد لخروج

الذئاب ، يقدمون القرابين والأضحيات للآلهة ، تاركينها في العراء ، فتأتي الذئاب

وتأكلها ، مشاركة منها لتلك الآلهة ؛ ولأنهم بذلك يدفعون عنهم الأرواح الشريرة

التي تحملها الذئاب ، فالذئب رمز الشرّ.

وإذا لم نكن على علم بعلاقة بعض أسماء الذئب وصفاته بالأساطير

والمعتقدات ، فمثلاً أوس من أسماء الذئب ، وهناك قبيلة الأوس من الأزدي ، فإن

العمّلس من صفاته ، وهي صفة مأخوذة من العمّلسة: وهي السرعة ، ولكن يقال

(١) الأصبهاني ، الدرّة الفاخرة ، ج ١ ، ص ص ٣٢٨-٣٢٩.

(٢) أبو عبيد ، عبدالله بن عبدالعزيز ، البكري ، معجم ما استعجم ، تحقيق : مصطفى السقا (القاهرة : مطبعة

لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ط ١ ، ١٣٦٨ هـ / ١٩٤٩ م) "سبع".

أما شارحو الحديث ، كما رأينا ، فيرون أن يوم السبع : يوم القيامة.

أيضاً إن : العَمَلَس : كان رجلاً بَرّاً بأمه حتى كان يحملها على عاتقه".^(١)

الطب الشعبي

فإذا انتقلنا إلى التفكير الشعبي ، وجدنا ممارسات شبيهة بتلك الممارسات عند شعوب العالم الأخرى ، وهي لا شك ممارسات قديمة ، أخذت تتكيف مع أزمانها ، إلا أن جذورها السحرية واحدة ، وهي الاعتقاد في أن عضواً من أعضاء الذئب ، أو قطعة منه ، ذات مفعول سحري يدفع الشر والبلاء ، أو يجلب الضرر والخراب ، وقد صاحبت هذه الاعتقادات الإنسان منذ فجر تاريخه ، عندما كان السحر يقوم بدور الدين ، وكان الساحر بديل الكاهن والعراف.

خواصه

واهتمامنا هنا بهذه المعتقدات يستند إلى أن كتب التراث سجلتها ، لا على أساس أنها معتقدات لدى العامة فحسب ، بل على أنها مواد أدبية تحتل منزلة ماثلة لأي معتقد شاعري يقع خارج النصوص الشرعية ، ولكنه من الموضوعات التي جرت عُرْفاً وتقليداً ، فعلى سبيل المثال يذكر ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) ما يأتي :

" قالوا : والذئب إذا رأى إنساناً قبل أن يراه الإنسان ، أبح الذئب صوت ذلك الإنسان".^(٢)

ويضيف قائلاً :

" قالوا : والفرس إذا وطئ أثر الذئب ، نُقلت قائمته التي وطئ بها".^(٣)

وقال أبو حيان التوحيدي (ت ٤٠٣ هـ) :

(١) الأصبهاني ، الدرّة الفاخرة ، ج ١ ، ص ٨١.

(٢) ابن قتيبة ، عيون الأخبار ، ج ٢ ، ص ٩٦.

(٣) المصدر نفسه.

”كل شاة يتناول الذئب من لحمها، يكون لحمها حلواً لذيذاً، وكل جزة صوف تهباً من الشاة التي تناول الذئب منها، قعل الثوب المعمول منها من قيل سم أسنانه“^(١).
وفي المصايد والمطارد لكشاجم (ت٣٥٨هـ):

زمكه

زمكه ينفع القولنج

كبده

كبد الذئب تُيس، وتُدق، ويُسقى منها من اعتلت كبده بالورم،
بشراب حلو، إن لم يكن محموماً،
فإن كان محموماً، فبماء بارد

لحمه

لحمه ينفع من وجع الذبحة^(٢)

ويستمر الاعتقاد في خواص الذئب في التراث الأدبي، فيحدثنا القزويني
(٦٨٢هـ) في كتابه عجائب المخلوقات بالآتي:

رأسه

يعلق في برج الحمام، فلا يقربه السُّور ولا ما يؤذي الحمام.
إذا دُفن في زريبة، تمرض غنمها وتموت.

نابه

من استصحبه، يدفع عنه قوة النبيذ، ولا يسكره.

(١) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص ١٧١.

(٢) كشاجم، المصايد والمطارد، ص ص ١٠٥-١٠٦.

لو عُلق نأبه على الفرس ، سبق الخيل .

عظم ساقه

يُحرق ، فيهرب من دخانه الفأر .

كعبه

يُشدّ على ساق الماشي ، فلا يتعب من السير .

يُشدّ على سبيء الخلق ، فتوسع أخلاقه .

كعبه الأيمن

من استصعبه ، يَغلب في مخاصمة الرجال .

كعبه الأيسر

من استصعبه ، يَغلب في مخاصمة النساء .

من استصعبه ، يَغلب عند السلاطين .

يُعلق على الرمح في الحرب ، فتَنفر الخيل منه^(١) .

ويذكر النويري (ت ٧٣٣ هـ) ، في كتابه ، نهاية الأرب ، بعض معتقداتهم ، فيقول :

جلده

إذا اجتمع جلد شاة

مع جلد ذئب ، تَمَعَط

جلد الشاة^(٢) .

وفي كتاب : الرحمة في الطب والحكمة للسيوطي (ت ٩١١ هـ) ، نجد التالي :

(١) أبو عبدالله ، زكريا بن محمد بن محمود القزويني ، عجائب المخلوقات (القاهرة : مطبعة مصطفى البابي

الحلبي وأولاده ، ط ٣ ، ١٣٦٧ هـ / ١٩٦٥ م) ص ٢٣٥ .

(٢) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٩ ، ص ص ٢٧١ - ٢٧٢ .

قلبه

تأخذ قلب الذئب، وتضعه على قلب نائم،
فإنه يتكلم بما في قلبه من الأسرار^(١)
وقال الدميري (ت ٨٠٨هـ):

إذا بُخر بجلد الذئب حانوت من يعمل الدفوف التي تلعب بها النساء،
تشققت.

وقال السيوطي في كتاب الرحمة في الطب والحكمة:
إذا أخذ قلب النسر، وجُعِل في جلد الذئب، وعلق على
شخص، كان مهاباً عند الناس، مقضي الخوائج^(٢).
وإضافة إلى هذه، فقد ذكروا منها أيضاً:

أمعاؤه

قال أبو حيان التوحيدي:

" الذئب إذا هيء من بعاه ووتر، وهيء من معى الشاة وتر، ثم علقا بالآت
الملاهي، ثم ضُرب بهما، صوّت المعمول من الذئب، وخرس الوتر المعمول من
الشاة"^(٣).

(١) جلال الدين، عبدالرحمن السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة (بيروت: دار الرائد،
١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ص ٧٣-٧٤، ٩٤، ٩٠، ١٦٨، ١٩٩، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٤١، ٢٤٤، ٣٠٣،
٣٠٧-٣٠٨، ٣١٠، ٣٦١-٣٦٣ وعلينا أن نلاحظ أن كل هذه الصفات لا أساس لها من شرع أو
عقل، ولم تشبها الأبحاث الطبية الحديثة، وهي لا تستند إلى شيء علمي.

(٢) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، ص ٣٦٣.

(٣) التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ص ١٧١.

وقال النويري:

إذا جُمع بين وتر عَمَلٍ من
أمعاء ذئب ، وبين
أوتار عُمَلت من أمعاء
الغنم ، وضرب بها
لا يُسمع لها صوت^(١)

بوله

قال كشاجم:

إن بالث المرأة على بوله لم تحبل^(٢)

وقال القزويني:

إذا بالث المرأة على بول الذئب ، لا تحبل أبداً^(٣).

خرؤه أو زبله

قال كشاجم:

خرؤه الذي يقع على الشوك ، ينفع من وجع القولنج لمن شربه.
إن طُلّي البطن به من خارج ، نفع أيضاً
لا يؤخذ منه ما وقع على الأرض ، فإن ذلك يقتل^(٤)

(١) النويري ، نهاية الأرب ، ج ٩ ، ص ص ٢٧١-٢٧٢ .

(٢) كشاجم ، المصايد والمطارد ، ص ص ١٠٥-١٠٦ .

(٣) القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص ٢٣٥ .

(٤) كشاجم ، المصايد والمطارد ، ص ١٠٦ .

وقال القزويني :

يُسقى منه صاحب القولنج ، يبرأ في الحال^(١) .

وقال اللميري :

يُعمل تمثال ذئب من نحاس ، ويحشى من خرد الذئب ، ويدفن في أي موضع أردت ، فإن الذئب تهرب من ذلك الموضع^(٢) .

وقال السيوطي في كتابه : الكنز المدفون :

إن بخر موضع بزيل الذئب ، اجتمع إليه الفأر^(٣) .

كما قال في كتابه : الرحمة في الطب والحكمة :

تأخذ زيل الذئب ، وتُبخر به المكان ، فإن الفئران تنفر من رائحته .

يؤخذ من خرد الكلاب ، وخرد الذئب ، وينقعها في بول بني آدم سبعة أيام ، ثم يرش به متاع الجنان ، أي : الطرقات التي يدخلها ، فلا يقرب الذئب تلك السانية ، ولا ذلك الموضع الذي يرش فيه ، فيهرب من رائحته^(٤) .

خصيته

قال كشاجم :

إذا احتملت المرأة خصيته اليمنى مسحوقة في صوفة ، انقطعت عنها شهوة

النكاح^(٥) .

(١) القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص ٢٣٥ .

(٢) اللميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ص ص ٣٦ ، ٣٦٤ .

(٣) جلال الدين ، عبدالرحمن السيوطي ، الكنز المدفون والفلك المشحون (القاهرة : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٥٧هـ / ١٩٣٩م) ص ٤٤٥ .

(٤) السيوطي ، الرحمة في الطب والحكمة ، ص ص ٧٣ ، ٧٤ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ١٦٨ ، ١٩٩ .

(٥) كشاجم ، المصايد والمطارد ، ص ١٠٦ .

وقال القزويني :

تؤكل مشوية ، تهيج الباءة.

من أخذها معه يأتي النساء كثيراً^(١).

وقال السيوطي في كتابه : الكنز المدفون :

إن أخذت امرأة خصيته اليمنى ، ودفأتها بزيت ، وغمست فيه صوفة ، وحملتها ، ذهب عنها شهوة الجماع^(٢).

كما قال في كتابه : الرحمة في الطب والحكمة :

إذا أخذت خصية الذئب ، وسحقتها بزيت ،
وطليت بها الذكر ، وجامعت بها المرأة ، لم
يقلد عليها أحدا سواك^(٣)

دمه

قال القزويني :

يُخلط بدهن الجوز ، ويقطر في الأذن ، يُزيل الطرش.
إذا سقيت المرأة منه ، لا تحبل أبداً^(٤).

وقال السيوطي في كتابه : الرحمة في الطب والحكمة :

إذا أضيف دم الذئب لدهن الجوز ، وقطر في أذن الأصم برئ.
إذا اكتحل به ، أسقط الشعرة من العين^(٥).

(١) القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص ٢٣٥ .

(٢) السيوطي ، الكنز المدفون والفلك المشحون ، ص ٤٤٥ .

(٣) السيوطي ، الرحمة في الطب والحكمة ، ص ٣٦١ .

(٤) القزويني ، عجائب المخلوقات ، ص ٢٣٥ .

(٥) السيوطي ، الرحمة في الطب والحكمة ، ص ١٩٩ .

ذئبه

قال القزويني :

يُدفن في قرية، فلا يقربها الذئباب^(١).

وقال السيوطي في كتابه : الكنز المدفون :

إن عُلِقَ ذئب ذئب على مَعْلَفِ البقر، لم يَقْرَبه البتة، ما دام معلقاً، ولو

جَهْدَهُ الجوع^(٢).

وقال في كتابه : الرحمة في الطب والحكمة :

من أخذ ذئب ذئب، ودفنه في موضع مصاب،

فإنه لا تدخله الذئباب.

تُبَخَّرُ المحموم بشعر ذئب الذئب، فيبرأ^(٣)

ذكره

قال السيوطي في كتابه : الرحمة في الطب والحكمة :

تأخذ ذكر الذئب، وتيسه، وتجعله عندك حتى تريد

الجماع، فتأخذ منه مقدار الفولة، وتشويه شيئاً

غير دقيق، وتبلعه، فإنه جيد جداً.

من شوى قضيب ذئب في فرن، ومضغ

منه مضغة، قوي على الجماع.

(١) القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٣٥ .

(٢) السيوطي، الكنز المدفون والفلك المشحون، ص ٤٤٥ .

(٣) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، ص ١٩٩ .

إذا أردت أن تعقد المرأة، فلا يطوها أحد بنكاح
ولا بسفاح، فخذ ذكر ذئب، واعقده على اسمها
فلا يقوم عليها أحد غيرك^(١)

عظمه:

قال القزويني:

يُسحق، ويُدرَّ حول الزريبة، فلا يقربها الذئب^(٢).

وقال الدميري:

إذا أخذ عظم من العظام التي تُوجد في ذيل الذئب، وخذش بها الضرس
الوَجيع، أبرأه من وقته^(٣).

عينه

عينه اليمى:

قال القزويني:

من استصحبها، تدفع عنه قوة البله، ولا يفزع في الليل.

عينه اليسرى:

وقال السيوطي في كتابه: الكنز المدفون:

من استصحبها، لا يغلبه النوم^(٤).

عين الذئب، تمنع من الصرع.

(١) المصدر السابق .

(٢) القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٣٥ .

(٣) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ص ٣٦، ٣٦٤ .

(٤) القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٣٥ .

من علق عين ذئب، لا يقربه شيء من السباع والهوام واللصوص.
كما قال:

جلده وعيناه وأنيابه

إذا جُمعت، وحملها إنسان معه، غلب خصمه، وكان محبوباً بين الناس.^(١)

مرارته

قال كشاجم:

مرارته تُداف (أي تُخلط وتمزج) بالورس،
ويطلى بها النمش والبهق في الوجه، فيذهب.
تُداف بعسل، وتُطلى بها على الذكر،
وتُجامع المرأة، فتحب من يجامعها حباً شديداً^(٢)

وقال القزويني:

يُطلى بها الحاجبان، ييقى المرء مكرماً بين الناس.
تُشد على الفخذ اليمنى، فتزيد في قوة الباءة.
يُسقى منها قدرَ دائق مع حبة المسك للمصروع
الذي يُصرع أول كل شهر، يزول عنه ذلك.
لو احتملتها المرأة العقيم، تحبل، إذا باشرها زوجها.
يُكتحل بها، ينفع من نزول الماء في العين من الغشاوة^(٣).
وقال السيوطي في كتابه: الكنز المدفون:

(١) السيوطي، الكنز المدفون والفلك المشحون، ص ٤٤٥.

(٢) كشاجم، المصايد والمطارد، ص ١٠٦.

(٣) القزويني، عجائب المخلوقات، ص ٢٣٥.

تنفع التجمع والكرآزة اللذين يتبعان جراحات العصب خصوصاً من البرد. إذا سعط منها من به التزلزلات العظام من مرارة الذئب، نفعته^(١).

كما قال في كتابه: الرحمة في الطب والحكمة:

تؤخذ مرارة الذئب، وتخلط مع دهن اللوز، وتقطر في الأذن، يذهب الصمم. إذا أخذت مرارة الذئب، وخلطتها بعسل، وسقي منها صاحب العطش الشديد، نفعه نفعاً عظيماً.

من أخذ مرارة ذئب، وربطها على فخذة الأيمن، جامع ما شاء ولا يضره. من جفف مرارة ذئب، ومرارة تيس، وخلطهما بدهن خالص، وطلّى به إحليله وما حوله، وجامع به امرأته، فإنها لا تصبر عنه ساعة واحدة.

من أخذ مرارة ذئب، وخلطها بعسل، ودهن بها ذكره وقت الجماع، أحبته امرأته حباً شديداً.

إذا أخذ الإنسان مرارة ذئب، ومسح بها بين الثدي امرأه، أحبته حباً شديداً.

إذا سقيت المرأة مرارة الذئب بعسل، وهي لا تعلم، ذهب غيرتها^(٢).

علاج عضة الكلب/المكلوب

أما فيما يختص بعلاج عضة الكلب المكلوب، (وكذلك الذئب)،

فيقول السيوطي ما يأتي:

تعريف أعراض الشخص المصاب بداء الكلب:

أن يتغير لونه، ويدلع لسانه، ويشرب ظفره، ويمتد عنقه، وينحني ذيله، ويكلب نفسه، فتراه يذد بنفسه، ويهرول وهو لا يدري أين هو، وهو لا يشعر بنفسه، فإذا قابله شيء، وله جرم أو شبح، حمل عليه، وعضه؛ فإذا أصاب حيواناً أو شاة

(١) السيوطي، الكنز المدفون والفلك المشحون، ص ٤٤٥.

(٢) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، ص ٣٠٧-٣٠٨.

بأنياه، أو أظافره حتى قطع الجلد، سرى فيه السم إلى أن يكلب مثله.
 وعلامة المكلوب أن يُنكر الماء إذا قُرّب إليه، وهو أكبر العلامات فيه وأبينها.
 وقيل: المكلوب إذا نظر وجهه في المرأة، رأى وجهه وجه كلب؛ وإذا أكل
 لقمة، وأطعم منها الكلاب، لم تقبلها.
 أحرق خرقة كتان، وتأخذ رمادها، وتعجنه بسمن وخل، ويوضع على
 العضة، فإن الوجع يسكن، والورم يخف ويبرأ سريعاً من قبل أن ينكر الماء، فبعد
 أن يدق، يُكوى حوالي العضة بالنار، ويضمّد بشوم وملح مدقوقين معجونين
 بعسل يؤخذ عسل منزوع الرغوة، وسمن منقص، ويطلعان على النار، ويطرح
 فيها من الشوم المقشر المسحوق ناعماً قدرماً يقوم فنفعه، ويترك حتى يغلي
 ويمتزج خاصية الجميع في بعضه بعضاً، ثم يُترك، ويشرب منه فاتراً، يستعمل
 على الريق.

تأخذ عسلاً ومصطكى، وتخلطهما جميعاً، وتلقه العضوض.
 إذا كان مربوطاً بالحبل، فخذ غبار السماء، وأطعمه له في حبة من كرموس أو ثمرة.
 إذا كان رجلاً، أطعم له ثلاث حبات من قمح، وأسقه مرق دجاج من بعده.
 إن كانت امرأة، أطعمها حبة ونصف من قمح، واسقها مرق دجاج من بعده.
 إن كان صغيراً، أطعمه وزن حبة من قمح، واسقه مرق دجاج من بعده.
 إذا عض كلباً، فخذ له حشيشة تُسمى الجعدة، وأطعمها له في العسل سبعة أيام
 على الريق. أو خذ عرقاً يقال له: عرق الثعلب، وهو عرق شديد المرارة، وأطعمه له
 في العسل سبعة أيام على الريق، ولا يُخالف يوماً من الأيام الذي أكله الكلب.^(١)

(١) المصدر السابق، ص ٢٩٧-٢٩٨.

المصطكى، والمصطكا، والمصطكاء: الملك الرومي، ليس من نبات أرض العرب.

وانظر، ابن فضل الله العمري، مسالك الأبيصار وممالك الأمصار، ص ١٩-٢٠.

الخرافات الشعبية

الرُّقى:

رأينا فيما سبق كيف أن التفكير الشعبي العربي ورث مفاهيم خاصة عن أجراء الذئب تُنسب لها قوة سحرية وتأثير خاص، هما بالتأكيد ليسا وليدَي مرحلة متأخرة، إنما جاءا من أعماق الضمير الجمعي العربي قبل الإسلام، وأخذًا يتكيفان مع الأوضاع المتأخرة.

ولكن التفكير الشعبي الذي احتفظ بكل تلك الاعتقادات، احتفظ بأمر، خرافية لا تتفق هي أيضاً مع أوضاع الدين الجديد، إذ يحدثنا أبو العباس أحمد بن علي البوني (ت ٦٢٢ هـ) عن رُقية يقول عنها:

"من كتبها على جلد ذئب مدبوغ، ودفنه تحت عتبة دار أو مدينة، لم يدخل ذلك الباب كلب ما دام الجلد مدفوناً".

والرقية هي: "مزجل برجل ترقب برهش غلمش خوطير"^(١).

وهناك صورة الأسماء التي رسمها الخيال الشعبي على عصا موسى للتغلب

على "الوحوش الضارية"، و"السباع"، ويندرج في هذه الذئاب، والتي يقال: إن:

"من كتبها في شرف الشمس، أو شرف المشتري بماء المرسين وماء الحبق الهندي، وماء كزبرة البئر، وماء الخلاف، وماء الورد والزعفران، في رق غزال، ويُبخر وقت الكتابة برائحة طيبة وجوف عصابته، وأدخل فيها الأسماء، وختم عليها بشمع عروس بكر، فإن كان في مكان مخيف، وظهر عليه أو شيء من الوحوش الضارية المؤذية، يَضرب بالعصا في الأرض ثلاث مرات. وقال: اللهم، إني أسألك ببركة هذه الأسماء العظيمة التي كانت على عصا موسى بن عمران عليه السلام،

(١) أبو العباس، أحمد بن علي البوني، منبع أصول الحكمة (القاهرة: مطبعة عباس عبدالسلام بن

وضرب بها البحر، فانفلق، وكان كل فرق كالتود العظيم، أن تحبس عني كذا وكذا، وذكر ما يريد من توقيف أو سباع، ثم قال: "قفوهم إنهم مسؤولون"، فإنهم يقفون، بإذن الله تعالى".^(١)

وهذه الأسماء هي:

"قَبِيحُ فَادِحِ قَبِيومِ قَادِرِ شَلِيوخِ شَالِحِ دَبِيومِ صَالِحِ وَرِ صَادِقِ أَرشِحِ شَلِيوخِ شَالِحِ نَارِ مَتُوخِ يَادِحِ شَامِخِ عَظِيمِ رَحْمَاً قَادِرِ نُوخِ كَلُوشِ أَوْ يَابُوهِ شَاهِ شَلُوشِ وَهَدِخِ شَرَاهِيَا شَرُوشِ شُوشِ عَالِ عِلْمِي قُويِ نَادِي كَبِيرَاً".

وكانت مكتوبة بأحرف عبرانية قديمة.^(٢)

بل إن أبا العباس ينقل لنا صورة رسم سحري ذي تأثير في الذئب، يقول عنه: "من رسم الوفق الآتي في كاغد أو رق، أو نقشه في خاتم، ولازم على ذكر هذا البيت، أطاعه جميع الخلق من مغرب الأرض إلى مشرقها، حتى الحيوانات غير الناطقة كلهن تخضع لحاله، وتنعقد الألسن عنه، ولا يقربه سبع، ولا ذئب، ولا حية"^(٣). وهكذا، تتراكم المواد الشعبية، التي جاءت على نسق ما ذكره ابن قتيبة، مما هو معتقد أنه موروث شعبي عربي قديم، ظلت الأجيال تتناقله، حتى دون المتأخرين، فمن هذا ما ذكره عبد الفتاح السيد عبده الطوخي، في كتابه: العفاريت والجن:

(١) المصدر السابق، ص ١٥٥. وعلى الرغم من أن هذه الخرافات قديمة متداولة، فإنه لا يمكن التعويل على صحتها، لأنها لا تساغ عقلاً، ولم تقرّ شرعاً.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥٥. ولا شك أن هذا الكتاب باطل في المعتقد الشرعي، وخرافي في الممارسة الاجتماعية؛ ومثل هذه الصورة وهذا الكلام، لا أساس علمياً له، وإنما صورناه هنا، لإعطاء القارئ نموذجاً من نماذج الممارسات الخرافية في المجتمع القديم.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٧.

ذكره ومراراته:

من أخذ معه قطعة من ذكر الذئب ومرارته، على فخذة، فإنه لا يفتقر عن
الجماع، ولا يضعف عنه.
ذكره (فقط):

من أخذ قضيب الذئب وعقد في طرفيه، باسم إنسان، ورماه في بئر عاطلة،
فإنه ينعقد.
جلد رقبته:

من أخذ سلخ رقبة الذئب، وعمل منها طبلاً، وضرب بها بين الطبول تشققت.^(١)
وواضح أن استخدام الرقى السحرية، لم تكن حديثة العهد بالنسبة للعرب،
فقد عرفها العرب منذ الجاهلية، كان فيهم الكهنة والعرافون والطرأقون بالخصى -
والخطاطون في الرمل، والذي يتضح أن العرب استمروا في استخدام الرقى السحرية
بعد أن استبدلوا الخطوط والخريشات، أو الكتابة الوثنية، أو الدينية المتأثرة باليهودية أو
النصرانية - مفردات إسلامية، أو حتى كتابات قرآنية. فهذا أحمد الديري ينقل لنا
الحكاية التالية: "منقولة عن بعض الصالحين أنه قال:

خرجت يوماً إلى البرية، فوجدت شاة وعندها ذئب يلعبها ولا يضرها، فلما قربت
منها، هرب الذئب، فامسكت الشاة، فوجدت في عنقها كتاباً مربوطاً، فأخذته،
وفتحته، فوجدت فيه هذه الآيات، وهي:

﴿وَلَا يُؤَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾
﴿[يوسف: ١٤]، ﴿وَجِنِّتَيْنِ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ [الصفوات: ٧]، ﴿وَحَفِظْنَاهَا﴾

(١) عبدالفتاح السيد عبده الطوخي، العفاريات والجن، (القاهرة: مطبعة حسان، د. ت) ص ص
١٧٠ - ١٧١. لاحظ أن الاعتقاد في إطالة الجماع، متأثر بتعاضل الذئب.

من كل شيطان رجيم ﴿١٧﴾ ﴿الحجر: ١٧﴾، ﴿وَجِفَطًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت: ١٢]، ﴿إِنْ كُنَّ قَسِيْرًا عَلَيْهِمْ حَافِظٌ ﴿٤﴾﴾ [الطارق: ٤]، ﴿إِنَّ بَطْنَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١١﴾ إِنَّهُ هُوَ مُبَيِّنُ وَيُحِيطُ ﴿١٢﴾ وَهُوَ الْعَلْمُ الْأَوْثَقُ ﴿١٣﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدِ ﴿١٤﴾ فَقَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٥﴾ هَلْ أَنْتَكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٦﴾ فَرَعَوْنَ وَمَمُودُ ﴿١٧﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبِ ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ خَبِيرٌ ﴿١٩﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ ﴿٢٠﴾ فِي تَوْحِ مَحْفُوظٍ ﴿٢١﴾﴾ [البروج: ١٢-٢٢]، ﴿وَهُوَ الْغَايَرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْعَلُونَ إِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِمْ إِنَّكُمْ وَسَخِيفُ رَبِّي قَوْمًا ضَالُّونَ وَلَا تَتْرُقُهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٣٧﴾﴾ [هود: ٥٧]، ﴿لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿١﴾﴾ [الحجر: ٩]، ﴿وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ ﴿٨١﴾﴾ [الأنبياء: ٨٢]، ﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿١١﴾﴾ [سبا: ٢١]، ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾﴾ [الشورى: ٦]، ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعَدَدْنَا كَلْبُ حَفِيفٌ ﴿٤﴾﴾ [ق: ٤]، ﴿لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيفٌ ﴿٣٢﴾﴾ [ق: ٣٢]، ﴿وَلَوْ عَلَيكُم لِحَافِظِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الانفطار: ١٠]،^(١).

وليس أدل على أن هذه الخرافات الشعبية، أو التأثيرات السحرية، التي أتخذت صوراً دينية، مزجها العقل الشعبي بالتصورات الدينية غير الإسلامية - وإن كان بعضها اعتمد الآيات القرآنية - هو جزء من التراث الأدبي للعرب من أن السيوطي ينقل لنا بعض ذلك، فيقول:

"لطرذ الذئاب:

تكتب في أربعة شفاف حمر فخار، وتدفعها في أربعة أركان:

"سيهزم الجمع - إلى - وأمر."

"ويخرجون بيوتهم - إلى - الجلاء."

(١) أحمد ديربي، مجريات ديربي (بومبي: مطبعة محمدي بومبالي، ١٣٧٢هـ)، ص ٤٦.

"كأنهم حمر - إلى - قسورة".
 "وتحسبهم - إلى - شتى".^(١)

ويقول:

لترحيل الذئاب:

تكتب هذه الأسماء في شقفة فخار غير مطبوخ، وادفنها تحت الأجيح، فإنها
 ترحل، ولا يبقى منه شيء، وتدفعها في محل عمل:

﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا﴾ [التوبة: ٤١].

﴿فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَكِنُهُمْ﴾ [الاحقاف: ٢٥].

﴿بِئْسَ الْأَسَاغَةُ مَوْبِدُهُمْ وَالْأَسَاغَةُ أَذَىٰ وَآمْرٌ ﴿٦٦﴾﴾ [القمر: ٤٦].

ح ١١١ و ٢١ ط هـ ٥ طاء ١١ م ١١١ طلل

كل كه ١١١ ط لله".^(٢)

ويذكر السيوطي ثلاث رُقَى لعلاج الكَلْب، هي:

علاج عضة الكلب برقية: تكتب في يد البقر المسوس، ويفطر عليه سبعة أيام، يطعم
 قبل أن يمسه الكلب، وهي هذه الأسماء التي تكتب: توسم عجليم ٢ لطول كفة قريم نتقف
 لشرناب طويم، وكذلك له هذه الأسماء والزبد يفطر عليه ثلاثة أيام ييرا بإذن الله تعالى،
 وهذا ما تكتب: برش ٢ أقواش ٢ أئش ٢ الموز ٢ اهون ٢. اه. وما يكتب في حرز ويعلقه على
 العضوض في عنقه، وهو هذا: ابزيق ٢ انده زنده شارا قف جزار عج ممروح، وهذه
 الأسماء الأخر تكتب في سبع قرص، يفطر كل يوم على واحدة، وهي هذه الأسماء:
 فيلكم فالبنينا فاعرفر محمد ما ابندوا شرت قمندا عبدناء عقدناء حجرا امرجوا فقلت اخرج
 ريقط يا كذا وكذا من غلة نزلت بك من غلة الكلب المسعور بلا حول الخ.

(١) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، ص ٣٦٢.

(٢) المصدر نفسه.

علاج عضه الكلب تكتب خاتم الغزالي المثلث في خبز شعير غير مقلي، وتكون طحنته بنت لم تبلغ الحلم، ويطعم ثلاثة أيام، وتكتب حول الخاتم (ولما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته بشرى، ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل) إلخ، وتكررها^٣.

علاج عضه الكلب تكتب خاتم الغزالي المثلث بكماله على خمسة أقراص، وتكتب على الأولى: الألف والطاء على ترتيب أبجد، وعلى الثانية: الجيم، وعلى الثالثة: الهاء والذال، وعلى الرابعة: الزاي وما بعدها إلى الواو، وعلى الخامسة: الطاء وما بعده إلى الحاء على الترتيب، ويقرأ عليها آية الكرسي^(١).

الذئب في الأحلام

بلغ من تأثير الذئب على الإنسان وقوة شخصيته أن تغلغل إلى أعماق اللاشعور، فلم يعد الأمر مقتصرًا على الرسم والنحت والتصوير والتداوي، بل أصبح يمثل صوراً مرموزة في الحياة التي يعيشها الإنسان وترتبط بالذئب ارتباطاً قوياً. فمن تفسيراتهم لرموز الذئب في الأحلام:

أن رؤيته تدل على الكذب والحيلة والعداوة للأهل والمكر بهم الذئب في الرؤيا لص غشوم ظالم. من رأى جرو ذئب، فإنه يرمي لصاً لقيطاً إن تحول الذئب حيواناً إنسياً كالخروف، وشبهه، فإنه لص يتوب. من رأى ذئباً داخل داره، فليحذر اللصوص. من رأى ذئباً، فإنه يتهم إنساناً، ويكون المتهم بريئاً. من رأى ذئباً وكلباً اتفقا واجتمعا، دل على النفاق والمكر والخديعة.^(٢)

(١) السيوطي، الرحمة في الطب والحكمة، ص ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٢) الدميري، حياة الحيوان الكبرى، ج ١، ص ٣٦٤.

وقال الحسن بن بهلول:

"لبن الذئبة ... خوف شديد"^(١)

كما قال:

"الذئب سلطان غشوم، لص، ضعيف كذلك؛ وشرب لبنه خوف"^(٢).

الذئب في السياسة

كما دخل الذئب في الأساطير والخرافات، وتغلغل في التفكير الاجتماعي للإنسان منذ العهود الغابرة، احتل مركزاً بارزاً في التوجهات السياسية للبشرية. واستخدم الذئب في التعبير سياسياً بمواقف هزلية ساخرة مضحكة ضد السلطة، حين حكوا عن دخول الذئب الجنة؛ لأنه أكل ابن شرطي، وتمنوا أن يكون قد أكل ابنه، ثاراً منهم لما يُلاقونه على يد الشرطة في ذلك الزمان، ورأوا أنه لو فعل ذلك، لكان "رُفِع في عُلَين"^(٣).

ونجد الذئب في الأزمنة الحديثة نموذجاً سياسياً، شمل تصوير السُفاحين في شكل ذئب (هتلر مثلاً - العم الذئب) كما برز في فترات الصراع الطبقي في الأعمال الأدبية والفكرية (الرواية...).

ولم يخجل الأدب من استغلال الذئب رمزاً سياسياً اجتماعياً، كما هو الحال في كتاب كليلة ودمنة، في قصة "الذئب ووتر القوس"^(٤).

(١) الحسن بن بهلول، الدلائل، تحقيق: يوسف حبي (الكويت: معهد المخطوطات العربية، ط١،

١٩٨٧م) ص ٤٠٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢٤.

(٣) الهميري، حياة الحيوان الكبرى، ج ١، ص ٣٦١.

(٤) عبدالله بن المقفع، كتاب كليلة ودمنة، تحقيق: فوزي عطوي (بيروت: دار صعب، ١٩٨٠م) ص ١٤.

ولكن أشهر موضع احتله الذئب في السياسة العربية ، أنه كان رمز بسط الأمن والسلام ، أي تحقيق العدالة والمساواة بين القوي (الذئب) ، والضعيف (الخروف)؛ فقد سبق أن مرّ بنا قول ابن الرقيات في مصعب بن الزبير:

لو تُقَفِّي وتترك الناسَ كانوا غنم الذئب غاب عنها الرعاء

ويقول الكميّ بن زيد الأسدي ، يمدح محمد بن سليمان الهاشمي :

تلقي الأمان على حياض محمدٍ ثولاءٍ مخرفَةٍ وذئبٍ أطلَسُ
لا ذي تخافُ ولا لهذا جرأةٌ تُهدى الرعيةُ ما استقامَ الرئيسُ^(١)

وقد عبّر الناس عن مواقفهم السياسية بقول أحدهم :

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها فكيف إذا الرعاة لها ذئاب^(٢)

أما التعبير عن حالة الفوضى بشكل عام ، فنجدّه في قول القائل ، مستخدماً

المثل : "إن الذئاب قد اخضرت برائتها":

إن الذئاب قد اخضرت برائتها والناس كلهم بكر إذا شعبوا^(٣)

(١) الزبيدي ، التاج ، "خرف" . الثولاء : النعجة بها ثول . المخرفة : التي لها خروف يتبعها ، مولود في الخريف .

(٢) اللميري ، حياة الحيوان الكبرى ، ج ١ ، ص ٣٦٣ .

(٣) الأشناناني ، معاني الشعر ، ص ٦١ . أي : أن الذئاب - وهم القوم المغيرون - شبههم بالذئاب ، يخلطهم وحرصهم على الفارة . واخضرت برائتها : أي أن الأرض قد أخضبت ، وكثر العشب فيها ، وأمكن الغزو ، فالأقدام مخضرة ، جعل الأقدام برائن . وقوله : الناس كلهم بكر إذا شعبوا : لشدة عداوة بكر لتميم ، وأكثر مغازاة . أي : إذا شبع الناس ، فأخصبوا ، فعداوتهم كعداوة بكر بن وائل .

ملحق بعض القصائد في الذئب

الأعشى

- تَلَوِي يُوَدِقِ خِصَابِ كُلَّمَا خَطَرْتُ عَنْ فَرْجٍ مَعْقُومَةٍ لَمْ تَتَّبِعْ رُبْعًا^(١)
تَخَالُ حَتْمًا عَلَيْهَا كُلَّمَا ضَمَرْتُ مِنَ الْكَلَالِ يَأْنِ تَسْتَوِفِي النَّسْعًا^(٢)
كَأَنَّهَا بَعْدَ مَا أَفْضَى النَّجَادُ يَهَا بِالشَّيْطَانِ مَهَا تَبْتَغِي دَرْعًا^(٣)
أَهْوَى لَهَا ضَائِقٌ فِي الْأَرْضِ مُفْتَحِصٌ لِلْحَمِّ قَدَمَا خَفِيَ الشَّخْصُ قَدْ خَشَعًا^(٤)
فَقَطْلٌ يَخْدَعُهَا عَنْ نَفْسِ وَاحِدِهَا فِي أَرْضٍ فِيءٍ يَفْعَلُ مِثْلَهُ خَدْعًا^(٥)

- (١) الأعشى، ديوان الأعشى، ص ١٠٥، العذق: القنو والعنقود الذي في البلح. الخصاب: جمع خصبة وهي النخلة. خطرت: خطر الفحل بذنبه ضرب به يميناً وشمالاً. معقومة: عاقر. الربع: ولد الناقة الذي يولد في الربيع.
- (٢) تستوفي: تستكمل. النسع: جمع نسع، وهو سير ينسج عريضاً وتشد به الرحال إلى ظهر الناقة.
- (٣) أفضى: أفضى إلى الشيء، وصل إليه. النجاد: جمع نجد، وهو المرتفع من الأرض. المهاة: بقر الوحش. الذرع: ولد البقرة.
- (٤) أهوى لها: انحط وانحدر. ضايق: لازق. مفتحص: متخذ أفحوصاً. والأفحوص الحجر الذي يأوي إليه. خفي الشخص: ناحل دقيق الجسم. خنع: نحل، خنع السنام ذهب لإأقله.
- (٥) واحدها: ابنها. القيء: الظل.

حَانَتْ لِيَفْجَعُهَا يَا بِنِ وَتُطْعِمُهُ لَحْمًا فَقَدْ أَطْعَمَتِ لَحْمًا وَقَدْ فَجَعًا^(١)
 فَظَلُّ يَأْكُلُ مِنْهَا وَهِيَ رَاتِعَةٌ حَدُّ النَّهَارِ تُرَاعِي ثِيرَةً رُتَعًا^(٢)
 حَتَّى إِذَا فَيْقَةٌ فِي ضَرْعِهَا اجْتَمَعَتْ جَاءَتْ لِتُرْضِعَ شِقُّ النَّفْسِ لَوْ رَضَعَا
 عَجَلًا إِلَى الْمَعْهَدِ الْأَدْنَى فَفَاجَأَهَا أَقْطَاعُ مَسْكَ وَسَافَتْ مِنْ دَمٍ دَفْعًا^(٣)
 فَانصَرَفَتْ فَاقِدًا تُكَلِّي عَلَى حَزْنٍ كُلُّ دَهَاهَا وَكُلُّ عِنْدَهَا اجْتَمَعَا^(٤)
 وَذَلِكَ أَنْ غَفَلَتْ عَنْهُ وَمَا شَعَرَتْ أَنْ الْمَنِيَّةُ يَوْمًا أُرْسَلَتْ سَبْعًا
 فَمَا تَعَاقَدَ قُلْتُ الشَاؤُ قَدْ صَقَعَا
 حَتَّى إِذَا ذُرُّ قَرْنِ الشَّمْسِ صَبَّحَهَا دَاوُلُ نَبْهَانَ يَبْقِي صَحْبُهُ الْمُتَعَا^(٥)

(١) حانت من الحين (بفتح ثم سكون) وهو الهلاك والمحنة.

(٢) راتعة: رتعت الماشية في المكان أكلت وشربت ما شاءت في خصب وسعة. حد النهار: أي طوال النهار. ثيرة: جمع ثور. رتعا: راتعة.

(٣) الفيقة: اللبن الذي يجتمع في الضرع بين الحلبتين.

(٤) عجلًا: مصدر عجل (كطرب) سكن الجيم لضرورة الوزن. المعهد: الموضع الذي عهدته به. الأدنى: القريب. أقطاع: جمع جمع. المفرد قطعة والجمع قطع وجمعه أقطاع. المسك: المسك: الجلد. سافت: شمت. الدفع: ما جرى شيئاً بعد شيء من دمه.

(٥) دهاها: دتهه الداهية وجاء في اللسان، "وله" عند ذكر هذا البيت: "الأعشى يذكر بقرة أكل ولدها السبع" وهو ما ذكره في البيت الذي يليه. السبع: الوحش المفترس.

(٦) ذر طلع: قرن الشمس أول ما يشرق منها. داؤل: يقصد بالداؤل هنا الصائد. المتع: جمع متعة يعني أنه يطلب لهم زاداً وطعاماً.

أبو كبير الهذلي

- وَأَقْدَرِيَاتُ إِذَا الرَّجَالُ تَوَاكَلُوا حَمَّ الظَّهِيرَةِ فِي الْيَفَاعِ الْأَطْوَلِ (١)
 فِي رَأْسِ مُشْرِفَةِ الْقَدَالِ كَأَنَّمَا أَطَرَ السَّحَابُ بِهَا بَيَاضُ الْمَجْدَلِ (٢)
 وَعَلَوْتُ مُرْتَبِئًا عَلَى مَرهُوِيَةٍ حِصَاءَ لَيْسَ رَقِيهَا فِي مَثَلِ (٣)
 عَيْطَاءَ مُعْتَقَةٍ يَكُونُ أَنِيسُهَا وَرُقَّ الْحَمَامِ جَمِيعُهَا لَمْ يُؤْكَلِ (٤)
 وَضَعَّ النَّعَامَاتِ الرَّجَالُ بَرِيدَهَا مِنْ بَيْنِ شَعَشَاعٍ وَبَيْنَ مُظَلِّلِ (٥)
 أُخْرِجَتْ مِنْهَا سَلْقَةٌ مَهْزُولَةٌ عَجْفَاءَ يَبْرِقُ نَابُهَا كَالْمَعُولِ (٦)
 فَزَجَرْتَهَا فَتَلَفْتِ إِذِ رُعْتَهَا كَتَلَفْتُ الْعَضْبَانَ سُبَّ الْأَقْبَلِ (٧)

(١) السكري، شرح أشعار الهذليين، ج ٣، ص ١٠٧٦-١٠٧٧، ربأت: كنت ربيئة لهم. حم الظهيرة: معظمها.

(٢) مشرفة القدال: هضبة لها عتق. المجدل: القصر.

(٣) مرهوية: برهب أن يرقى فيها. حصاء: ليس فيها نبات. ليس رقيها في مَثَلِ: ليس رقيها في حفظ.

(٤) عيطاء: طويلة العنق. معتقة: طويلة، جميعها لم يؤكل: لا يرقى فيها راع ولا أحد.

(٥) النعامات: خشبتان تنصبان، ولقى عليهما ثمام يستظل به.

(٦) سلقة: ذئبة والذكر سلق.

(٧) الأقبل: المائل حدقة العين. وعلى الرغم من أن الشارح ذكر أنها ذئبة، فإني أرى أنه إنسا يصف ضبعاً. وفي مثل هذا يقول ساعدة بن جؤية في وصف الضبع، المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٤٧:

عفاء كالعباءة عفشليلُ

كمشي الأقبل الساري عليها

عفاؤها: شعرها. العفشليل: الحافي.

المرفش الأكبر

وَتَسْمَعُ تَرْقَاءَ مِنَ الْبُومِ حَوْلَنَا كَمَا ضَرَبْتَ بَعْدَ الْهَدُوءِ التَّرْقَاءُ^(١)
 فَيَصْبِحُ مُلْقَى رَحْلِهَا حَيْثُ عَرَسَتْ مِنَ الْأَرْضِ قَدْ دَبَّتْ عَلَيْهِ الرُّوَامِسُ
 وَتُصْبِحُ كَالدُّودَاةِ نَاطٍ زِمَامَهَا إِلَى شُعْبِ فِيهَا الْجَوَارِي الْعَوَائِسُ^(٢)
 وَلَمَّا أَضَانَا النَّارَ عِنْدَ شِوَائِنَا عَرَانَا عَلَيْهَا أَطْلَسُ اللَّوْنِ بَائِسُ
 تَبَدَّتْ إِلَيْهِ حُزَّةٌ مِنْ شِوَائِنَا حَيَاءً وَمَا فُحْشِي عَلَى مَنْ أَجَالِسُ
 فَاضَ يَهَا جَدْلَانٌ يَنْفُضُ رَأْسَهُ كَمَا أَبَّ يَالنَّهْبِ الْكَمِي الْمَخَالِسُ^(٣)

حميد بن ثور الهلالي

تَرَى رِيَّةَ الْبِهْمِ الْفِرَارَ عَشِيَّةً إِذَا مَا عَدَا فِي بَهْمِهَا وَهُوَ ضَائِعُ^(٤)
 فَقَامَتْ تَعْسُ سَاعَةً مَا تُطِيقُهَا مِنَ الدَّهْرِ نَامَتَهَا الْكِلَابُ الظُّوَالِعُ^(٥)

(١) الأنباري، شرح ديوان ديوان المفضليات، ص ص ٤٦٥-٤٦٦. التَّرْقَاءُ: تفعال من التَّرْقَاءِ، وهو صوت البوم.

(٢) ملقى رحلها: مكان إلقاء رحلها. عرست: التعريس: النزول عند الصبح. الروامس: الرياح التي تدفن الآثار.

(٣) الدوداة: ملعب الصبيان أو الأرجوحة. ناط: علق. الشُعْبُ: شُعب الرحال.

(٤) آض: عاد.

(٥) الهلالي، ديوان حميد بن ثور، ص ص ١٠٣-١٠٦. البهم: جمع بهمة، وهي: أولاد الضأن والمعز والبقرة.

الفرار: مصدر فرىفر. يريد هي ترى الهرب إذا رأته النُتْبُ. عدا: يعني النُتْبُ. الضائع: الجائع.

(٦) عس الشيء كاعتسه: طلبه بالليل أو قصده. يريد: قصدت البهم بالليل. الظوالع: من الكلاب التي تطلب السفاد، وهي حيثئذ لا تنام. ويضرب مثلاً للمتهم بأمرينام عنه، يقال: إذا نام ظالع الكلاب.

رَأَتْهُ فَشَكَتْ وَهَوَ أَطْحَلُ مَائِلٌ إِلَى الْأَرْضِ مَنِيٌّ إِلَيْهِ الْأَكَارِغُ ^(١)
 طَوِيٌّ الْبَطْنِ إِلَّا مِنْ مَصِيرٍ يُبْلُهُ دَمَ الْجَوْفِ أَوْ سُورٍ مِنْ الْحَوْضِ
 هُوَ الْبَعْلُ الدَّانِي مِنَ النَّاسِ كَالَّذِي لَهُ صُحْبَةٌ وَهوَ الْعَدُوُّ الْمُتَنَزِعُ ^(٢)
 تَرَى طَرْفِيهِ يَعْسِلَانِ كِلَاهِمَا كَمَا اهْتَزَّ عُوْدُ السَّاسِمِ الْمُتَتَابِعِ ^(٣)
 إِذَا خَافَ جَوْرًا مِنْ عَدُوٍّ رَمَتْ يَدَا مَخَالِيهِ وَالْجَانِبُ الْمُتَوَاسِعُ ^(٤)
 وَإِنْ بَاتَ وَحْشًا لَيْلَةً لَمْ يَضُقْ يَهَا ذِرَاعًا وَلَمْ يُصْبِحْ لَهَا وَهوَ خَاصِعٌ ^(٥)
 وَيَسْرِي لِسَاعَاتٍ مِنَ اللَّيْلِ قَرَّةٌ يَهَابُ السَّرَى فِيهَا الْمَخَاضُ النَّوَازِعُ
 إِذَا احْتَلَّ حِضْنِي بَلَدٌ طُرٌّ مِنْهُمَا لِأُخْرَى خَفِيٍّ الشَّخْصِ لِلرِّيحِ تَابِعٌ ^(٦)

(١) الأطحل: ما لونه الطلحة، وهي لون بين الغبرة والبياض بسواد قليل، كلون الرماد.

(٢) الطوي (بكسر الواو وتخفيف الياء): الضامر البطن، المصير: المعى. السور: البقية. نافع: وصف من نفع الماء العطش تقوعاً إذا سكنه.

(٣) البعل: البرم بأمره، أو هو الدهش الفرق الذي لا يدري ما يفعل. يصفه بأنه يدنو من الناس كأنه معهم صحبة وهو في الواقع عدو.

(٤) يعسلان: يبتزان، وعسل الذئب: مضى مسرعاً واضطرب في عدوه وهز رأسه. الساسم: شجر أسود تتخذ منه سهام، وقيل هو الأبنوس. المتتابع: المستوي الذي لا عقد فيه.

(٥) المتواسع: وصف من السعة.

(٦) وحشاً: جائعاً لا طعام له. قوله: ذراعاً: هو مثل قولهم: ضاق بالأمر ذرعاً وذراعاً، إذ ضعفت طاقته، فلم يجد من المكروه فيه مخلصاً. أي مد يده إليه فلم ينله.

(٧) قرة: باردة. السرى: سير عامة الليل يذكر ويؤنث. المخاض: الحوامل من النوق. وقيل هي العشار التي أتى عليها من حملها عشرة أشهر. النوازع: جمع نازع، وهي الناقة التي تحن إلى أوطانها ومرعاها.

(٨) حضنا البلدة: جانبها. طر: طرد وسبق سوقاً شديداً.

- وَإِنْ حَذِرْتَ أَرْضَ عَلَيْهِ فَإِنَّهُ يَغْرِؤُ أٰخْرَى طَيْبُ النَّفْسِ قَانِعٌ ^(١)
 إِذَا نَالَ مِنْ بَهْمِ الْبَحِيلَةِ غِرَةً عَلَى غَفْلَةٍ مِمَّا يَرَى وَهُوَ طَالِعٌ
 تَلُومٌ وَلَوْ كَانَ ابْنَهَا فَرِحَتْ بِهِ إِذَا هَبَّ أَرْوَاحُ الشَّتَاءِ الزُّعَارُغُ ^(٢)
 وَنَمَتْ كَنُومِ الْفَهْدِ عَنِ ذِي حَضِيظَةٍ أَكَلَتْ طَعَامًا دُونَهُ وَهُوَ جَائِعٌ ^(٣)
 يَتَأَمُّ بِإِحْدَى مُقَلَّتَيْهِ وَيَتَّقِي بِأَخْرَى الْأَعَادِي فَهُوَ يَقْضَانُ هَاجِعٌ
 إِذَا قَامَ الْقَى بَوَعُهُ قَدَرَ طُولُهُ وَمَدَّدَ مِنْهُ صُلْبُهُ وَهُوَ بَائِعٌ ^(٤)
 وَفَكَكَ لَحْيِيهِ فَلَمَّا تَعَادَى صَاىَ ثُمَّ أَمَقَى وَالْبِلَادُ بَلَّاقِعٌ ^(٥)
 فَظَلُّ يُرَاعِي الْجَيْشَ حَتَّى تَغَيَّبَتْ خُبَاشٌ وَحَالَتْ دُونَهُنَّ الْأَجَارُغُ ^(٦)
 إِذَا مَا غَدَا يَوْمًا رَأَيْتَ غَيَابَةَ مِنَ الطَّيْرِ يَنْظُرْنَ الَّذِي هُوَ صَانِعٌ ^(٧)
 فَهَمٌّ بِأَمْرِ ثُمَّ أَزْمَعَ غَيْرُهُ وَإِنْ صَاقَ أَمْرٌ مَرَّةً فَهُوَ وَاسِعٌ ^(٨)

(١) غِرَّة: غفلة.

(٢) ولو كان ابنها فرحت به: يقول: لو كان الذي ناله الذئب ابنها فرحت لشدة بخلها وحرصها على البهم.

(٣) نمت كنوم الفهد: أي أن الفهد أنوم الخلق وليس بذلك. ولعلها الرواية الجيدة.

(٤) تزعم الأعراب أن الذئب يتأم بإحدى عينيه لشدة حذره وحرصه على نفسه. المقلّة: هنا العين.

(٥) البوع (بفتح الباء وبضمها): قدر مد اليدين وما بينهما من البدن، بائع: اسم فاعل منه. يقال باع يبيع فهو بائع إذا بسط باعه.

(٦) تعادى: تباعدا. صاى: صاح. أمقى: جلس على إلبته ونصب فخذه. بلاقع: جمع بلقع وبلقعة، وهي الأرض القفر لا شيء بها.

(٧) خباش: نخل لبني يشكر باليامة، وقيل: اسم هضبة. وقيل خباش اسم من أسماء الشمس.

(٨) الغيابة: كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه مثل السحابة والغبرة والظلمة ونحو ذلك. يقول: إن

الطير تتبعه لتصيب مما يقتل، وذلك لأن الذئب يتبع الجيش طمعاً في أن يتخلف رجل يشب عليه؛ لأنه من بين السباع (ما لا يرغب في القتل ولا يكاد يأكل إلا ما فرسه؟) (١٩)

(٩) يعني أن من طبائع الذئب أن يهم بفعل شيء ثم يتركه إلى غيره.

كعب بن زهير

وَصَرْمَاءَ مَذْكَارٍ كَأَنَّ دَوِيهَا بُعِيدَ جَنَانِ اللَّيْلِ مِمَّا يُخَيَّلُ^(١)
 حَلِيثُ أَنَاسِيٍّ فَلَمَّا سَمِعْتُهُ إِذَا لَيْسَ فِيهَا مَا أَيْنُ فَأَعْقَلُ
 قَطَعْتُ يُمَاشِينِي بِهَا مُتَضَائِلٌ مِنَ الطَّلَسِ أَحْيَانًا يَحْبُ وَيَعْسِلُ^(٢)
 يُحِبُّ دُنُوَ الْإِنْسِ مِنْهُ وَمَا يُو إِلَى أَحَدٍ يَوْمًا مِنَ الْإِنْسِ مَنَزَلُ
 تَقَرَّبَ حَتَّى قُلْتُ لَمْ يَدُنْ هَكَذَا مِنَ الْإِنْسِ إِلَّا جَاهِلٌ أَوْ مُضَلَّلُ
 مَدَى النَّبْلِ تَغْشَانِي إِذَا مَا زَجْرْتُهُ قُشْعِرِيَّةَ مِنْ وَجْهِهِ وَهُوَ مُقْبِلُ
 إِذَا مَا عَوَى مُسْتَقْبِلَ الرِّيحِ جَاوَيْتَ مَسَامِيحُهُ فَآءَ عَلَى الزَّادِ مُعْوِلُ
 كَسُوبٌ إِلَى أَنْ شَبَّ مِنْ كَسْبٍ وَاحِدٍ مُحَالِفُهُ الْإِقْتَارُ لَا يَتَمَوَّلُ
 كَأَنَّ دُخَانَ الرَّمْثِ خَالَطَ لَوْنُهُ يُغْلُ بِهِ مِنْ بَاطِنٍ وَيُحَلُّ^(٣)
 بَصِيرٌ بِأَدْغَالِ الضَّرَاءِ إِذَا خَدَا يُعِيلُ وَيَخْفَى بِالْجَهَادِ وَيَمْتَلُ^(٤)
 تَرَاهُ سَمِينًا مَا شَتْنَا وَكَأَنَّهُ حَمِيٌّ إِذَا صَافَ أَوْ هُوَ أَهْزَلُ
 كَأَنَّ نَسَاءَهُ شِرْعَةً وَكَأَنَّهُ إِذَا مَا تَمَطَّى وَجْهَهُ الرِّيحَ مِحْمَلُ^(٥)

(١) ابن زهير، ديوان كعب بن زهير، ص ٤٥-٥٢. صرماء مذكار: ذات هول لا يسلكها الجريء من الرجال، وأرض لا نبت فيها ولا ماء. دويها: صوت الجن يتخيل لهم. جنان: ظلمة.

(٢) الطلس: الأطلس الذي في لونه طلسة، وهي غبرة تعلوها كدرة. يعسل: العسلان عدو الذئب. (٣) يغل: يدخل.

(٤) أدغال: الدغل المشجر الكثير الملتف. الضراء: ما وارك من شجر أو غيره. يعيل: يعيل في ناحيته. الجهاد: الصلب. يمثل: يظهر ويتصب.

(٥) النساء: عرق في الساق ينحدر من الورك. الشرعة: وتر، شبه نساء بالوتر لظهوره وهزاه.

وَحَمَشْتُ بَصِيرَ الْمُقَلَّتَيْنِ كَأَنَّهُ إِذَا مَا مَشَى مُسْتَكْرَهَ الرِّيحِ أَقْزَلُ^(١)
يَكَادُ يَرَى مَا لَا تَرَى عَيْنٌ وَاحِدٍ يُثِيرُ لَهُ مَا غَيْبَ الثَّرْبُ وَمَعُولُ^(٢)
إِذَا حَضَرَانِي قُلْتُ لَوْ تَعَلَّمَانِيهِ أَلَمْ تَعَلَّمَا أَنِّي مِنَ الزَّادِ مُرْمِلُ^(٣)
غُرَابٌ وَذَيْبٌ يَنْظُرَانِ مَتَى أَرَى مُنَاخَ مَيْبَسٍ أَوْ مَقِيلًا فَاَنْزَلُ
أَغَارًا عَلَى مَا خَيْلَتْ وَكَلَاهُمَا سِيخْلِفُهُ مِنِّي الَّذِي كَانَ يَأْمَلُ
كَأَنَّ شَجَاعِي رَمَلَةٍ دَرَجًا مَعًا فَعَمْرًا بِنَا لَوْلَا وَقُوفٌ وَمَنْزَلُ
فَلَمْ يَجِدَا إِلَّا مُنَاخَ مَطِيَّةٍ تَجَافَى يَهَا زُودٌ نَبِيلٌ وَكَلْكَلُ^(٤)

كعب بن زهير

يَقُولُ حَيَّايَ مِنْ عَوْفٍ وَبَيْنَ جُشْمٍ يَا كَعْبُ وَيَحْكُ هَلَا تَشْتَرِي غَنَمًا
مَالِيَّ مِنْهَا إِذَا مَا أَزَمَةً أَزَمْتُ وَمِنْ أُوَيْسٍ إِذَا مَا أَنْفَهُ رَدَمًا^(٥)
أَخْشَى عَلَيْهَا كَسُوبًا غَيْرَ مُدْخِرٍ عَارِي الْأَشَاجِعِ لَا يُشَوِي إِذَا ضَعَمًا
إِذَا تَلَوَى بِلَحْمِ الشَّاةِ تَبَّرَهَا أَشْلَاءَ بُرْدٍ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهَا وَضَمًا^(٦)

- (١) حمش: يعني غراباً دقيق الساقين. مستكره الريح: مستقبل الريح. الأقرل: الأعرج. أي يستقبل الريح يعالجها فترده لأنه يضعف عنها.
(٢) معول: شبه منقاره بالمعول.
(٣) مرمل: الذي نقص زاده.
(٤) الشجاعان: حيطان. الزور: وسط الصدر، وما ارتفع منه إلى الكتفين، وحيث اجتمعت أطراف عظام الصدر. النبيل: الضخم الجسيم.
(٥) المصدر نفسه، ص ص ٢٢٤-٢٢٦. أويس: تصغير أوس. رذما: سأل، يعني الذئب إذا جاع، سال أنفه.

- (٦) غير مدخر: أي قوته على مقدار ما يأكل ثم يدع الباقي ويعود في الطلب مرة أخرى. الأشاجع: (٧) تبرها: مزقها كما تمزق البرد. الأشلاء: القطع. الوضم: الخشبة التي يكسر الجزار عليها اللحم.

- إِنْ يَغْدُ فِي شَيْعَةٍ لَمْ يَشْهَرِ نَهْرٌ وَإِنْ غَدَّ وَاحِدًا لَا يَتَّقِي الظَّلِمَا ^(١)
 وَإِنْ أَطَافَ وَلَمْ يَظْفَرِ بِضَائِنَةٍ فِي لَيْلَةٍ سَاوَرَ الْأَقْوَامَ وَالتُّعْمَا ^(٢)
 وَإِنْ أَغَارَ وَلَمْ يَحُلْ بِطَائِلَةٍ فِي ظُلْمَةِ ابْنِ جَمِيرٍ سَاوَرَ الْفُطْمَا ^(٣)
 إِذْ لَا تَزَالُ فَرِيْسٌ أَوْ مُغَيَّبَةٌ صَيْدَاءُ تَنْشِجُ مِنْ دُونِ الدِّمَاغِ دَمَا ^(٤)

ابن مقبل

- أَوْنَعَجَةٌ مِنْ إِرَاخِ الرَّمْلِ أَخَذَلَهَا عَنْ إِيْفَهَا وَاضِحُ الْخَدَّيْنِ مَكْحُولٌ ^(٥)
 يَشْقَى مِنْ نَقَا الْعَرَافِ يَسْكُنُهَا جِرٌّ، الصَّرِيمَةِ وَالْعَيْنُ الْمَطَافِيلُ ^(٦)
 قَالَتْ لَهَا النَّفْسُ كَوْنِي عِنْدَ مَوْلِدِهِ إِنَّ الْمَسِيكِينَ إِنْ جَاوَزْتَ مَاكُولٌ ^(٧)

(١) شيعة: أصحابه. النهر: من النهار. الظلم: هنا من الظلم أي الظلام.

(٢) الضائنة: النعجة. ساور: وثب.

(٣) لم يحل: لم يصب. ظلمة ابن جمير: أظلم ليلة في الشهر. الفطم: السخال التي فطمت. يقول إذا جاء يطلب الكبار فلم يجد ساور الصغار.

(٤) مغيبة: التي أكلها الذئب وأفلتت وبها شيء من الحياة. صيداء: ملتوية العنق. تنشج: ترمي بالدم وله صوت.

(٥) ابن مقبل، ديوان ابن مقبل، ص ٣٨٤-٣٨٩. النعجة: البقرة الوحش. الإراخ: الإناث الفتيات من بقر الوحش، واحدا إراخ. أخذها: أي خلفها. واضح الخدين: أي أبيض الخدين، يعني ولد البقرة الوحشية. يريد أنها أقامت عليه وتأخرت عن صوابها.

(٦) بشقة من نقا: أي بشقية، وهي الغلط بين رملتين، وجمعها شقائق، والنقا من الرمل: القطعة الطويلة منه تنقاد محدودة. العزاف: موضع. الصريمة: الرملة المنفردة انصرفت عن غيرها، أي انقطعت. العين: عيناء، وهي الواسعة العينين مع حسن الحدقة، يعني بقر الوحش، وهي مشهورة بسعة العينين. المطافيل: جمع مطفل، وهي البقرة ذات الولد.

(٧) كوني عند مولده: أي أقيمي معه في مكانه.

- فَالْقَلْبُ يَعْنِي بِرَوَعَاتٍ تُفَزَعُهُ وَاللَّحْمُ مِنْ شِدَّةِ الْإِشْفَاقِ مَخْلُولٌ^(١)
تَعْتَادُهُ بِفُؤَادٍ غَيْرٍ مُقْتَسَمٍ وَدِرَّةٌ لَمْ تَخُونَهَا الْأَحَالِيلُ^(٢)
حَتَّى احْتَوَى يَكْرَهَا بِالْجَوِّ مُطْرِدٌ سَمِعَمَعَ أَهْرَتُ الشَّدَقِينَ زُهْلُولٌ^(٣)
شَدَّ الْمَاضِغَ مِنْهُ كُلُّ مُنْصَرَفٍ مِنْ جَانِبِيهِ وَفِي الْخُرْطُومِ تَسْهِيلٌ^(٤)
لَمْ يَبْقَ مِنْ زَعْبٍ طَارَ النَّسِيلُ بِهِ عَلَى قَرَا مَتَبِهِ إِلَّا شَمَالِيلُ^(٥)
كَأَمَّا بَيْنَ عَيْنِيهِ وَزَيْرَتِهِ مِنْ صُبْغِهِ فِي دِمَاءِ الْقَوْمِ مَبْدِيلُ^(٦)
كَالرَّمْحِ أَرْقَلَ فِي الْكَفَيْنِ وَأَطْرَدَتْ مِنْهُ الْقَنَاةُ وَفِيهَا لَهْذَمٌ غَوْلٌ^(٧)

- (١) يعني: يتعب ويشقى، من العناء. المخلول: الواهن الضعيف غير المتضام. يريد قلب البقرة الوحشية ولحمها.
- (٢) تعتاده: تلم بولدها. فؤاد غير مقتسم: أي لم يقسم فؤاد البقرة هم غير ولدها. الدرّة: الحليب. لم تخونها: لم تنقصها. الأحاليل: جمع إحليل، وهو يخرج اللبن من الضرع. يريد أن هذه البقرة لم تحلب ولم ينقص لبنها.
- (٣) احتوى بكرها: أي أخذ ولدها وأكله. المطرد: القويم الجسم، أراد به الذئب الذي أكل الولد. الجوّ: ما أطمأن من الأرض. السمعع: الخفيف. أهرت الشدقين: أي واسع الشدقين. الزهلول: الخفيف.
- (٤) شد الماضغ: أي أخذ ولد البقرة فشد ماضغة عليه، يعني أضراره. كل منصرف: أي من كل ناحية من جانبيه ولد البقرة. في الخرطوم تسهيل: أي في خرطوم الذئب طول.
- (٥) لم يبق من زغب الذئب، وهو الشعر. النسيل: تساقط الشعر. على قرامته: على ظهره. شماليل: بقية.
- (٦) الزيرة: الكاهل، وهو أعلى الكتفين. من صبغة: أي بالأكل أو الكرع في الدماء. يريد كان على أعراف الذئب متديلاً مما عليه الدم.
- (٧) كالرمح: أي هذا الذئب كالرمح. أرقل: اضطرب واهتز في الكفين. اطرد القناة: تتابع كعوبها حين تحرك من لينها واستقامتها. اللهزم: السنان الحاد. الغول: الذي يقتال كل ما ظفر به.

- يَطْوِي الْمَافَازَ غِيظَانًا وَمَنْهَلُهُ مِنْ قَلَّةِ الْحَزَنِ أَحْوَاضٌ عَدَامِيلُ^(١)
لَمَّا ثَغَا الثَّغْوَةَ الْأُولَى فَاسْمَعَهَا وَدُونَهُ شُقَّةٌ مِيلَانٍ أَوْ مِيلُ^(٢)
كَادَ اللَّعَاعُ مِنَ الْخُودَانَ يَسْحَطُهَا وَرَجْرَجٌ بَيْنَ لَحْيَيْهَا خَنَاطِيلُ^(٣)
تُذْرِي الْخُزَامَى بِأُظْلَافٍ مُخَذَّرَفَةٍ وَوَقَعُهُنَّ إِذَا وَقَعْنَ تَحْلِيلُ^(٤)
حَتَّى آتَتْ مَرِيضَ الْمِسْكِينِ تَبْحَثُهُ وَحَوْلَهَا قِطْعٌ مِنْهُ رَعَائِيلُ^(٥)
بَحَثَ الْكَعَابِ لِقُلُوبِهِ فِي مَلَاعِيهَا وَفِي الْيَدَيْنِ مِنَ الْحِنَاءِ تَفْصِيلُ^(٦)

(١) المفاوز: ما أطمأن من الأرض. منهله: أي مشربه. قلة الحزن: أعلاه، والحزن: المكان الغليظ الحشن، يريد به الجبل هاهنا. العداميل: القديمة، واحدها عُدْمِيلُ.

(٢) ثغا: أي صاح، يريد ولد البقرة الوحشية. الشقة: المسافة. الميل: من الأرض قدر منتهى مد البصر.

(٣) اللعاع: أول النبت، ويكون رقيقاً ناعماً أول ما يبدو. الخودان: من نبات السهل حلو طيب الطعم، يرتفع قدر الذراع. يسحطها: أي يذبحها ويقتلها، يريد البقرة الوحشية. يريد أن هذه البقرة كانت ترعى، فلما سمعت ثغاء ولدها وعلمت أن الذئب قد أصابه وهت وكادت تغص بالخودان الرطب الناعم، أي كادت تغص بمثله من الحزن على ولدها. الرجرج: اللعاب الذي يترجرج في فيها. الخناتيل: القطع المتفرقة، وقيل: لعاب خناتيل، أي ملتزج يعترض في الفم.

(٤) تذري الخزامى: يعني البقرة ترمي في ركضها نحو ولدها. المخدوفة: المحددة. تحليل: قليل هين يسير بقدر تحلة اليمين، وذلك أن الإنسان يحلف على الشيء أن يفعله فيفعل منه السير يحلل به يعينه. يقول إذا وقعت قوائم البقرة على الأرض وقعها هينا لا يثبت إلا قليلاً لسرعتها.

(٥) الرعايل: القطع الممزقة، واحدها رعيولة.

(٦) بحث الكعاب: أي أن هذه البقرة تبحث مريض ولدها كما تبحث الكعاب التراب لقلب أضعاعته. الكعاب: الصبيّة حين كعب ثديها، أي نهذا وأشرفاً. القلب: السوار. التفصيل: تفصيل الحناء، أي خضبت مكاناً من يديها وبقي مكان آخر من غير خضاب.

النجاشي الحارثي

وماءً كان الطُّحْلَبُ الجَوْزُ فوقه طُروقاً على أرجائه نائراً الغسل
 وجدتُ عليه الذئبَ يعوي كأنه خليع خلا عن كل مالٍ ومن أهل
 فقلت له يا ذئبُ هل لك في أخ يُجازي بلا غُرم عليك ولا خذل
 فقال هداك الله إنك إنما دعوتَ لِمَا لم يأتِه سَبْعٌ قبلي
 فلستُ بآتيه ولا أستطيعه ولاك اسقني إن كان ماوك ذا فضل^(١)

الفردق وقد نزل بالفريرين ، فعراه على ناره ذئب ، فأبصره مقعياً يصيء ، ومع

الفردق شاة مسلوخة فرمى إليه بيدها ، ثم بما بقي منها ، فقال :

وَلَيْلَةً يَتَنَا بِالْفَرِيرِينَ ضَافِنَا عَلَى الرَّادِ مَوْشِي الدَّرَاعِينَ أَطْلَسُ^(٢)
 تَلَمَسْنَا حَتَّى أَتَانَا وَلَمْ يَزَلْ لَدُنْ فَطَمَتُهُ أُمُهُ يَتَلَمَسُ
 فَلَوْ أَنَّهُ إِذْ جَاءَنَا كَانَ ذَاتِيًّا لِأَلْبَسْتُهُ لَوْ أَنَّهُ كَانَ يَلَسُ
 وَلَكِنْ تَنَحَّى جَنْبَهُ بَعْلَمًا دَنَا فَكَانَ كَقَابِ القَوْسِ أَوْ هُوَ أَنْفُسُ
 فَقَاسَمْتُهُ نِصْفَيْنِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ بَقِيَّةُ زَادِي وَالرَّكَائِبُ نَعْسُ

الفردق

خرج الفردق في نفر من الكوفة يريد يزيد بن المهلب ، فلما عرسوا من آخر الليل عن الفريرين ، وعلى بعير لهم شاة مسلوخة كان اجتزرها ، ثم أعجله المسير ، فسار بها فجاء الذئب فحركها ، وهي مربوطة على بعير ، فذعر الإبل ، وجفلت

(١) المعري، الصاهل والشاحج، ص ١٦٥. طروقاً: ليلاً. نائراً: فائض. الغسل: ما يُغَسَّلُ به الرأس. يجازي: يكافئ. غرم: دين. خذل: خذلان. لأك: لكن، حذف النون للوزن.
 (٢) ابن الشجري، الحماسة الشجرية، ج ٢، ص ص ٧٢٠-٧٢١. جنبه: ناحية. الأطلس: الذئب.

الركاب منه ، وثار الفرزدق ، فأبصر الذئب يهسها ، فقطع رجل الشاة ، فرمى بها إلى الذئب فأخذها وتنحى ، ثم عاد فقطع اليد ، فرمى بها إليه ، فلما أصبح القوم خبرهم الفرزدق بما كان ، وأنشأ يقول :

وَأَطْلَسَ عَسَالٍ وَمَا كَانَ صَاحِبًا دَعَوْتُ بِنَارِي مَوْهِنًا فَآتَانِي ^(١)
فَلَمَّا دَنَا قُلْتُ ادْنُ دُونَكَ، إِنِّي وَإِيَّاكَ فِي زَادِي لَمْشَرِكَانِ
فَبِتُّ أَسْوَى الزَّادِ بَيْنِي وَبَيْنَهُ عَلَى ضَوْءِ نَارِ مَرَّةٍ وَدُخَانِ
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَكَشَّرَ ضَاحِكًا وَقَائِمٌ سَيْفِي مِنْ يَدِي بِمَكَانِ
تَعَشُّ فَإِنْ وَاتَّقْتَنِي لَا تَحُونِي نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذئْبُ يَصْطَحِيانِ
وَأَنْتَ امْرُؤٌ يَا ذئْبُ وَالْغَدْرُ كُنْتَمَا أُخَيَيْنِ كَأَنَّا أَرْضِعَا بِلِيَانِ
وَلَوْ غَيْرَنَا تَبِهَتْ تَلْتَمِسُ الْقَرَى أَتَاكَ بِسَهْمٍ أَوْ شِبَاؤِ سِنَانِ
وَكُلُّ رَفِيقِي كُلُّ رَحَلٍ

الشريف المرتضى

وليلة بتنا بالثنية سهداً وما حشوها إلا ظلام وجندرس
وقد زارنا بعد الهدوء توصلأ إلى الزاد غرثان العشيات أطلس
شديد الطوى عاري الجناحين ما به من الطعم إلا ما يُظن ويحدس
أتاني مُغَبِّرُ السَّراةِ كأنه من الأرض لولا أنه يتلمس
تضائل في قطريه يكتم شخصه وأطرق حتى قلت ما يتنفس

(١) الفرزدق، ديوان الفرزدق، ج ٢، ص ٣٢٩. الأطلس: الذئب. العسال: المضطرب في مشيه.

وضمٌ إليه حسّه متوجّساً وما عنده في الكيد إلا التوجس
 يخادعني من كَيْسه عن مطيتي ولم يدر أنني منه أدهى وأكيس
 وأقعى إزاء الرحل يطلب غيرة ويُلقني إليه الحرص أن سوف أنعس
 فقلت له لما توالى خداعه تعرّز فما عندي لنا بك منهنّس
 وما كنت أحملك القرى لو أردته برفق ولكن دار منك التفطرس
 فلما رأى صبري عليه وأنني أضنُّ على باغي خداعي وأنفس
 عوى ثم ولى يستجير بشدة ويطلب بهما نام عنها المحبس^(١)

(١) الشريف المرتضى، ديوان الشريف المرتضى تركا جمّعهم وكأنه ضى، تحقيق: رشيد الصفار (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨م) ج ٢، ص ص ١١٨ - ١١٩ .

الذئبة

ليس الذئب حيواناً عادياً، إنه حيوان يجمع في ذاته كل سمات الحيوان الحي والحيوان الأسطوري، وعلى الرغم من أنه يشترك مع الكلب في الجنس، فهو على النقيض من الكلب تماماً، ابتداءً من اعوجاج ذيل الكلب ونباحه حتى مواجهته وتحديه، بل أكله في معظم الأحيان، وإن من سخرية الطبيعة أن ينجب الذئب من الكلبة، وأن تنجب الذئبة من الكلب. وليس في جنس الكلاب ذلك الترتيب الطبقي المعروف في الذئاب. واشتد التناقض بين الفصيلتين، حتى أصبح من المتعذر على العلماء تحديد تلك الأنواع المعروفة في العائلة الكلبية مثل الكلب الآسيوي المتوحش، والكلب الأفريقي المتوحش. إن أنواع الذئاب نفسها غير محددة وبعضها ما يزال غير معروف، فعلى حين يحصي العلماء قرابة ثلاثين نوعاً من أنواع الذئاب التي تنتمي إلى الذئب الأطلس، يعدد العلماء أنواعاً أخرى بعضها موجود وعلى حافة الانقراض، وبعضها انقرض فعلاً. فالذئب الأسود مثلاً اختفى من شمال أفريقيا، كما انقرضت ذئاب أخرى في العالم.

والأشد غرابة أن التفريق بين الذئب وابن آوى عسير جداً، وربما استدل على ابن آوى بصغر حجمه ولونه المائل إلى الإحمرار، غير أن هذه ملاحظات نظرية، وكثيراً ما يخفق التفريق بين الذئب وابن آوى عملياً إلا بعد طول تجربة واختبار. والذئاب نفسها ليست سواء، ففيها ذئب قائد، وذئب تابع، وذئب مبعّد

مطروود. ويكون كل عدد محدود مجموعة ، والتنافس بين كل مجموعة وأخرى على أشده ، وهلم جراً.

فإذا كانت هذه هي نتائج البحوث الميدانية والدراسات الإحصائية ، فماذا نقول عن ملاحظات الأعراب وإفادات المسافرين وأهل القرى؟ إنك تجد نفسك أمام رسومات مختلفة ومتباينة؟ وأقوال متضاربة غير متطابقة ، إنك تسمع عن تلاحح الذئاب والضباع ، وعن أكل الذئاب بعضها ، وعن رعاية الذئاب لأبناء الضباع. وتجدهم يسمون الحيوان المفترس سبعاً ، وتراهم يصورون لك في أشعارهم لقاءهم بالذئاب ، فهم بين خائف وجيل فزع ، وآخر شجاع مقدم شاهر سيفه ، ماداً رمحاً أو مطلقاً سنانه. وتحتار وأنت تشاهد العقاب يطارد ذئباً . ويشتد ذهولك حين تبصر السباع تفترس عجلأ حديث الولادة ولا تفترس السباع أمه. إنهم يزعمون أن الذئب يأكل الإنسان ، وتفاجأ بهم يأكلون الذئاب. وهم في كل حالة أعداء للذئب ، بينما الذئب يصاحبهم ويشاطرهم همومهم في لياليهم الموحشة أو تشردهم ، وهو لا يعادي إلا أغنامهم ، ثم هم يرمونه بصفات الغدر والخداع والظلم.

ولولا أن هذا العمل قد كرس شطراً من حياة صاحبه في جمع المادة الأدبية واللغوية والخبرية ، أولاً؛ فصنّف المادة ونسق الموضوعات ، وعرضها على نتائج الدراسات المعاصرة ، ضمن قراءات دءوية متواصلة ، ثانياً ؛ لما تحققنا أبداً من استحالة الاتصال الجنسي بين جنس الذئاب وجنس الضباع ، ولما ثبت لنا أن أكل الذئاب بعضها بعضاً أغلبها من بنات الخيال ، ولم يثبت ذلك علمياً حتى الآن ، أما رعاية الذئاب لأبناء الضباع ، فمحض أسطورة ، والصحيح أن الضباع الآباء تأكل أبناءها.

وربما كان هناك نوع من الضباع المنقرضة في الجزيرة العربية : كالضبع المخطط ، والضبع المرقش ، والضبع البني. وربما كان هناك نوع من الذئاب المنقرضة التي عاشت بدائية في الجزيرة العربية ، كانت تتوالد من الذئاب المعروفة.

أما إطلاق مسمى السبع بصفة عامة ، فهو إطلاق يوحى بالتعميم ، وكأنه يعني به الأسد ، في حين أن المقصود به هو الذئب خاصة. وعلى هذا ، فلا صحة لافتراس الذئاب للإنسان ، على أن ذلك جزء من طبيعته الافتراضية ، وإنما هي حالات نادرة اضطرارية - إن وجدت - والصحيح أن الذئب يألفهم ، ولكنهم هم أنفسهم لا يألفونه ، خوفاً على أغنامهم ودواجنهم. ولا تصيد العقبان الذئاب القوية أبداً ، ولا سيما أن العقاب المشهورة عندهم هو العقاب الفتحاء ، التي إن صادت ذئباً ، فلا بد أن يكون مهزولاً متهاكاً ، وضعيفاً صغيراً.

ولا مجال ، بعد ذلك ، لمناقشة واقعية الأساطير والخرافات المتعلقة بالذئب في أعراف العرب وتقاليدهم ، ويأتي تسجيلها كشفاً لما كان يُنظر إليه من عالم الماضي وتفكير الأُمس البائد ، وما هو إلا جزء من تفكير الشعوب وثقافتهم ، عبّر عن أحلامهم ورغباتهم ووسائلهم في التكيّف مع الحياة.

لقد انقرض الذئب من أجزاء كبيرة من الجزيرة العربية ، وربما سمعنا بين الفينة والأخرى عن قتل ذئب رمياً بالرصاص ، أو ما يشبه ذلك وكان الأقدمون يستخدمون له وسائل صيد حفظت نوعاً من التوازن بين تزايد عدد الذئاب والحد من انتشارها. وهكذا ، تكتمل حلقات الكتاب في تتابع تفصيلي للذئب : تراثاً وعلماً ، قديماً وحاضراً ، حقيقة وخيالاً.

المصادر والمراجع

المصادر

- الأبشهي، شهاب الدين محمد بن أحمد أبو الفتح ، المستطرف في كل فن مستظرف (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ٢، ٣٧١هـ/١٩٥٢م).
- الأشداني، أبو عثمان سعيد بن هارون، معاني الشعر، تقديم صلاح الدين المنجد (بيروت: دار الكتاب الجديد، ١٩٦٤م).
- الأصبهاني، حمزة بن الحسن، الدررة الفاخرة في الأمثال السائرة، تحقيق عبد المجيد قطامش (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١م).
- الأصفهاني، الحسن بن عبدالله، بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي (الرياض: دار اليمامة، ط ١، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).
- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني (بيروت: دار الثقافة، ط ٤، ١٣٩٨هـ/١٩٦٧م).
- الأصمعي، عبد الملك بن قريب، تاريخ الملوك الأولية، تحقيق محمد حسن آل ياسين (بغداد: المكتبة العلمية، ١٩٥٩م).
- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د-ت).
- البستاني، بطرس، دائرة المعارف الإسلامية (بيروت: دار المعرفة، د-ت).
- البكري، أبو عبيد، عبد الله بن عبد العزيز ، التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٤٤ هـ/١٩٢٦م).

- سمط اللكالي، تحقيق: عبد العزيز الميمني ، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٦م).
- معجم ما استعجم، تحقيق: مصطفى السقا، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ١، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م).
- البهلول، الحسن، الدلائل، تحقيق يوسف حبي (الكويت: معهد المخطوطات العربية، ط ١، ١٩٨٧م).
- البوني، أبو العباس، أحمد بن علي، منبع أصول الحكمة (القاهرة: مطبعة عباس عبدالسلام شقرون، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م).
- التوحيدى، أبو حيان ، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق أحمد أمين وآخر، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ط ٢، ١٣٧٣ هـ/١٩٥٣م).
- الثعالبي، أبو منصور، عبدالملك بن إسماعيل، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م).
- ثعلب، أبو العباس، أحمد بن يحيى، مجالس ثعلب، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (القاهرة: دار المعارف، ط ٢، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م).
- الجاحظ، أبو عمرو، عثمان بن بحر، البرصان والعرجان، تحقيق عبدالسلام محمد هارون، (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٣م).
- الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون (بيروت: المجمع العلمي العربي الإسلامي، ط ٣، ١٣٨٨هـ/١٩٦٩م).
- رسائل الجاحظ (مناقب الترك) تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (القاهرة: المطبعة العربية الحديثة، ١٩٧٩م).
- ابن جعفر، أبو جعفر قدامة، نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى (القاهرة: مطابع الدجوي، ط ٣، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

ابن حبيب، أبو جعفر محمد، المحبر، تحقيق إيلزه ليختن شتير (بيروت: المكتب التجاري، د.ت).

ابن الحجاج، أبو الحسين، مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: شاهين لاشين وأحمد عمر هاشم (بيروت: مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

ابن حجر، شهاب الدين، أبو الفضل، أحمد بن علي، الإصابة في تمييز الصحابة (بغداد: مكتبة المثنى، د-ت).

الحشاء، أبو أحمد بن محمد، المنصوري في البيزة، تحقيق: عبدالحفيظ منصور (تونس: بيت الحكمة، ١٩٨٩م).

الحموي، شهاب الدين، أبو عبد الله، ياقوت، معجم البلدان (بيروت: دار صادر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

ابن حنبل، أحمد، مسند الإمام أحمد بن حنبل (بيروت: دار إحياء التراث، د.ت).
الخالديان، أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد، الأشباه والنظائر، تحقيق السيد محمد يوسف (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٦٥م).

ابن دريد، أبو بكر، محمد بن الحسن، الاشتقاق، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون (بغداد: مكتبة المثنى، ط، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).

الدميري، كمال الدين، حياة الحيوان الكبرى، (القاهرة: مطبعة الاستقامة، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م).

الزيدي، السيد محمد مرتضى، تاج العروس، (القاهرة: المطبعة الخيرية، ط١، ١٣٠٦هـ).

الزغشري، جار الله، أبو القاسم، محمود بن عمر، أساس البلاغة، (بيروت: دار بيروت، ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م).

السهيلي، عبد الرحمن، الروض الأنف، تحقيق عبد الرحمن الوكيل (القاهرة: مطبعة دار النصر، ط ١، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).

- السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن، الرحمة في الطب والحكمة، (بيروت: دار الرائد، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- الكنز المدفون والفلك المشحون، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابلي الحلبي وأولاده، ١٣٥٧هـ/١٩٣٩م). المنى في الكنى، تحقيق ZDMG,C.F. Seybold عدد ٤٩، (١٨٩٥م).
- الشريف المرتضى، علي بن الحسين، الأمالي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط ٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).
- الشناوي، أحمد وآخرين، دائرة المعارف الإسلامية (بيروت: دار المعرفة، ١٩٣٣م).
- العالمي، محمد بن حسين، المخلاة (القاهرة: المطبعة الميمنية، ١٣١٧هـ).
- ابن عبد ربه، أبو عمر، أحمد بن محمد، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين وآخرين (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م).
- العسكري، أبو هلال، جمهرة الأمثال، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعبد الحميد قطامش (القاهرة: مطبعة المدني، ط ١، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م).
- العمرى، شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن يحيى بن فضل الله، مسالك الأبصار وممالك الأمصار في الحيوانات والنبات والمعادن، تحقيق: عبد الحميد صالح حمدان (القاهرة: مكتبة مدبولي، ط ٢، ١٩٩٦م).
- القالي، أبو علي، إسماعيل بن القاسم، الأمالي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٥م).
- ابن قتيبة، أبو محمد، عبد الله بن مسلم، الأنواء (حيدر آباد - الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ط ١، ١٩٥٦م).
- عيون الأخبار (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر، د.ت).
- المعاني الكبير (حيدر آباد: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ١، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م).

القرطبي، أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري، الجامع لأحكام القرآن (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ط ٢، ١٣٥٣هـ/١٩٣٥م).

القزويني، أبو عبد الله، زكريا بن محمد بن محمود، آثار البلاد (بيروت: دار صادر، ١٩٦٩م).

عجائب المخلوقات (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط ٣، ١٣٦٧هـ/١٩٦٥م).

كشاجم، أبو الفتح بن الحسن، المصايد والمطارد، تحقيق محمد أسعد طلس، (بغداد: مطبعة دار المعرفة، ١٩٥٤م).

المبرد، أبو العباس، محمد بن يزيد، الكامل، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: مطبعة نهضة مصر، ١٩٨١م).

المرزوقي، أبو علي، الأزمنة والأمكنة (القاهرة: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، د-ت).

المزدي، أبو البقاء، هبة الله الحلبي، المناقب الزيدية، تحقيق: صالح موسى ومحمد عبد القادر (عمان: مطبعة الشرق، ط ١، ١٩٨٤م).

المعري، أبو العلاء أحمد بن الحسين، أحمد بن عبدالله، رسالة الصاهل والشاحج، تحقيق: عائشة عبد الرحمن (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٥م).

رسالة الغفران، تحقيق: عائشة عبد الرحمن (القاهرة: دار المعارف، ط ٧، ١٩٨١م).

الوليد، تحقيق: نادية الدولة (دمشق: الشركة المتحدة للتوزيع، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

الفصول والغايات، تحقيق: محمد حسن زنتاني (بيروت: المكتب التجاري، ١٩٣٨م).

ابن المقفع، عبد الله، كليلة ودمنة، تحقيق: فوزي عطوي (بيروت: دار صعب، ١٩٨٠م).

ابن منظور، جمال الدين، أبو الفضل، محمد بن جلال الدين بن مكرم، لسان العرب

(بيروت: دار صادر، د-ت).

الميداني، أبو الفضل، أحمد بن محمد، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٤هـ/١٩٥٥م).

النمري، أبو عمر، يوسف بن عبد الملك بن محمد بن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق: محمد مرسي الخولي (القاهرة: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٩٨١م).

النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية الأرب (القاهرة: مطابع كوستا تسوماس وشركائه، د-ت).

ابن هشام، أبو محمد، عبد الملك، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ط١٣٩١، ٢هـ/١٩٧١م).

الهمداني، أبو محمد، الحسن بن أحمد بن يعقوب، صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد علي الأكوخ (الرياض: دار اليمامة، ١٣٩٤هـ/١٩٧٢م).

المجموعات الشعرية

- الأخفش الأصغر، أبو الحسن، علي بن سليمان بن الفضل، كتاب الاختيارين، تحقيق فخر الدين قباوة (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٣٠م).
- الأنباري، أبو محمد، القاسم بن بشار، شرح المفضليات، تحقيق: كارلوس يعقوب لايل (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٢٠م).
- التبريزي، أبو زكريا يحيى بن علي، شرح المفضليات، تحقيق علي محمد البجاوي (مصر: دار نهضة مصر، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).
- أبو تمام، حبيب بن أوس، الوحشيات، تحقيق عبد العزيز الميمني (القاهرة: دار المعارف، ط٢، ١٩٧٠م).
- السكري، أبو سعيد الحسن بن الحسين، شرح أشعار الهذليين، تحقيق عبدالستار فراج (القاهرة: مط المدني، د-ت).
- ابن الشجري، هبة بن علي بن حمزة، الحماسة الشجرية، تحقيق: عبدالمعين الملوحي وأسماء الحمصي (دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٧٠م). الأمالي (بيروت: دار المعرفة، د-ت).
- الضامن، حاتم صالح، شعراء مقلون (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).
- العماري، فضل بن عمار، الذئب في الشعر العربي القديم (الرياض: جامعة الملك سعود، كلية الآداب، مركز البحوث، ١٤١٩هـ/١٩٨٨م) ع٢.
- الفیصل، عبد العزيز محمد، شعراء بني قشير في الجاهلية والإسلام، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٧٨م).
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٦م).
- القيسي، نوري حمودي، شعراء أمويون (بيروت: عالم الكتب، ط١، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

ابن المثنى، أبو عبيدة، معمر، نقائض جرير والفرزدق، تحقيق: أ-أ- بيغان (لايدن: مطبعة بريل، ١٩٥٥م).

ابن المعتز، عبد الله، طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج (القاهرة: دار المعارف، ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م).

المرزوقي، أبو علي، أحمد بن محمد الحسن، شرح ديوان الحماسة، تحقيق: أحمد أمين وعبد السلام هارون (القاهرة: مطبعة البيان العربي، ط ٢، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م).
الهجري، أبو علي، هارون بن زكريا، التعليقات والنوادر، تحقيق: حمد الجاسر (الرياض: شركة العبيكان، ط ١، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م).

الدواوين والأشعار

ابن أبي خازم، بشر، ديوان بشر بن أبي خازم، تحقيق: عزة حسن (دمشق: مطبعة مديرية إحياء التراث القديم، ١٣٧٩هـ/١٩٦٥م).

الأخطل، أبو مالك غياث بن غوث، شرح شعر الأخطل، تحقيق فخر الدين قباوة (حلب: دار الأصمعي، ط ١، ١٣٩١هـ/١٩٧١م).

ابن أذينة، عروة، شعر عروة بن أذينة، تحقيق: يحيى الجبوري (بيروت: مطابع التعاونية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

الأسدي، الكميث بن زيد، شعر الكميث بن زيد الأسدي، جمع داود سلوم (النجف: مطبعة النعمان، ١٩٦٩م).

الأعشى، ميمون بن قيس، ديوان الأعشى، تحقيق محمد محمد حسين (بيروت: دار النهضة العربية، ط ٢، ١٩٧٤م).

الباهلي، عمرو، ابن الأحمر، شعر عمرو بن الأحمر الباهلي، جمع حسين عطوان (دمشق: مجمع اللغة العربية، د.ت.).

البحثري، أبو عبادة، الوليد بن عبيد، ديوان البحثري، تحقيق: حسن كامل الصيرفي (القاهرة: دار المعارف، ط ٢، ١٩٧٣م).

تأبط شراً، ثابت بن جابر، ديوان تأبط شراً، تحقيق: علي ذو الفقار شاکر (بيروت: مطبعة المتوسط، ط ١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

ابن تولب، النمر، شعر النمر بن تولب، جمع وتحقيق: نوري حمودي القي (بغداد: دار المعارف، ١٩٦٨م).

ابن ثابت، حسان، ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: وليد عرفات (لندن: لوزاك، ١٩٧١م).
الجعدي، النابغة، شعر النابغة الجعدي، جمع وشرح عبد العزيز رباح. (بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٥٩م).

ابن حجر، امرؤ القيس، ديوان امرؤ القيس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨م).

الخطيئة، جرجول بن أوس، ديوان الخطيئة، تحقيق: نعمان أمين طه (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط ١، ١٣٧٨هـ/١٩٥٨م).

ابن حكيم، الطرماح، ديوان الطرماح بن حكيم، تحقيق: عزة حسن (بيروت: دار الشروق، ط ٢، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م).

الخرنق، بنت بدر بن هفان، ديوان شعر الخرنق، تحقيق: حسن نصار، (القاهرة: دار الكتب، ١٩٦٩م).

ابن الدمينية، عبدالله بن عبيدالله، ديوان ابن الدمينية، تحقيق: أحمد راتب النفاح (القاهرة: مطبعة المدني، ١٣٧٨هـ/١٩٥٩م).

الذبياني، زياد بن معاوية، النابغة، ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، ط ٢، ١٩٨٥م).

ذو الرمة، غيلان بن عقبة العدوي، ديوان ذي الرمة، تحقيق: عبدالقدوس أبو صالح (بيروت: مؤسسة الإيمان، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م).

ابن ربيعة، لييد، شرح ديوان لييد، تحقيق: إحسان عباس (الكويت: مطبعة الحكومة، ١٩٦٢م).

الرقبي، ربيعة، شعر ربيعة، تحقيق يوسف حسين بكار (بغداد: دار الرشيد، ١٩٨٠م).
ابن الرقيات، عبيدالله، ديوان عبيد بن قيس الرقيات، تحقيق: محمد يوسف نجم (بيروت:
دار بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).

ابن زهير، كعب، ديوان كعب بن زهير، (القاهرة: الدار القومية، ١٣٦٩هـ/١٩٥٠م).
ابن أبي سلمى، زهير، شرح شعر زهير، تحقيق: فخر الدين قباوة (حلب: دار القلم،
٢، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م).

الشريف الرضي، أبو الحسن، محمد بن أبي أحمد، ديوان الشريف الرضي (بيروت: دار
صادر، ١٣٨٠هـ/١٩٦١م).

الشنفرى، ثابت بن أوس، شعر الشنفرى، تحقيق: علي ناصر غالب (الرياض: مطابع
الفرزدق، ط١، ١٤١٨هـ/١٩٩١م).

ابن ضرار، الشماخ، ديوان الشماخ، تحقيق صلاح الدين الهادي (القاهرة: دار المعارف،
١٩٦٨م).

الطائي، حاتم بن عبدالله، ديوان شعر حاتم الطائي وأخباره، تحقيق: عادل سليمان جمال
(القاهرة: مطبعة المدني، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

العاملى، عدي بن الرقاع، عدي بن الرقاع العاملى، تحقيق: نوري حمودي القيسي وحاتم
صالح الضامن (بغداد: مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م).

ابن العبد، طرفة، ديوان طرفة، تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال (دمشق: مطبوعات
مجمع اللغة العربية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م).

ابن العجاج، روية، ديوان روية، ضمن مجموع أشعار العرب، تحقيق وليم بن الورد
(لايبزغ: دروفوليين، ١٩٠٣م).

ابن عطية، جرير، ديوان جرير، تحقيق: نعمان محمد أمين طه (القاهرة: دار المعارف،
١٩٧١م).

العود، جران، ديوان جران العود (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٠هـ/١٩٣١م).

الفحل، علقمة بن عبدة، ديوان علقمة الفحل، تحقيق لطفي الصقال ودرية الخطيب (حلب: مطبعة الأصيل، ط أولى / ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م).

الفرزدق، همام بن غالب، ديوان الفرزدق، شرح كرم البستاني (بيروت: دار بيروت، د. ت).

القشيري، الصمة بن عبدالله، جمع وتحقيق: عبدالعزيز محمد الفيصل (الرياض: النادي الأدبي، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م).

القطامي، عمير بن شيم، ديوان القطامي، تحقيق: إبراهيم السامرائي وأحمد مطلوب (بيروت: دار الثقافة، ط ١، ١٩٦٠م).

كثير بن عبدالرحم، كثير عزة، ديوان كثير عزة، جمع وشرح إحسان عباس (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧١م).

المتنبي، أحمد بن الحسين، ديوان المتنبي، شرح ديوان المتنبي، تحقيق عبد الرحمن الرقوقي (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م).

المجنون، قيس بن الملوح، ديوان المجنون، جمع وتحقيق عبد الستار أحمد فراج (القاهرة: مكتبة مصر، ١٩٧٩م).

المرتضى، الشريف، ديوان الشريف، تحقيق: رشيد الصفار (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨م).

ابن معد يكرب، عمرو، ديوان عمرو بن معد يكرب، تحقيق مطاع الطرايشي (دمشق: مطبعة مجمع اللغة العربية، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م).

المعري، أبو العلاء، سقط الزند (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤٥م).

ابن مقبل، تميم بن أمية، ديوان ابن مقبل، تحقيق عزة حسن (دمشق: مديرية إحياء التراث، ١٣٨١هـ/ ١٩٦٢م).

ابن نديبة، خفاف، شعر خفاف بن نديبة، جمع وتحقيق: نوري حمودي القيسي (بغداد: مطبعة دار المعارف، ١٩٦٧م).

- الشميري، عبيد بن حصين الراعي، شعر الراعي الشميري، تحقيق نوري حمودي القيسي وهلال ناجي (بغداد: المجمع العملي العراقي، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م).
- أبو نواس، الحسن بن هاني، ديوان أبي نواس، تحقيق: أحمد عبدالمجيد الغزالي (بيروت: دار الكتب العربي، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م).
- الهلالي، حميد بن ثور، ديوان حميد بن ثور الهلالي، تحقيق عبد العزيز الميمني (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٧١هـ/١٩٥١م).

المراجع

الكتب

أمين، عبد القادر حسن، شعر الطرد عند العرب (النجف، مطبعة النعمان، ١٩٧٢م).
الباشا، عبد الرحمن رأفت، الصيد عند العرب (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط١،
١٣٩٤هـ/١٩٧٢م).

البيستاني، بطرس، دائرة المعارف (بيروت: دار المعرفة، د.ت).
بنونة، محمد عصام حسين، التعايش (الرياض: مطبعة نجد، ١٤١٦هـ).
البياتي، عادل جاسم، كتاب أيام العرب قبل الإسلام، دراسة مقارنة لملاحم الأيام
العربية (بغداد: مطبعة دار الجاحظ، ١٩٧٦).

الجانسر، حمد، أبو علي الهجري وأبحاثه في تحديد المواضع (الرياض: دار اليمامة،
ط١، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م).

الجوزو، مصطفى، من الأساطير العربية والخرافات (بيروت: دار الطليعة، ط١،
١٣٩٧هـ/١٩٧٧م).

الحوت، سليم، الميثولوجيا عند العرب (بيروت: مؤسسة خليفة للطباعة، ط٢،
١٩٧٩م).

ابن خالد، عبدالله، خيارما يلتقط من الشعر النبطي (دمشق: المطبعة العمومية،
١٩٥٢م).

الخليفي، ماجد بن صالح، ديوان الخليفي (الدوحة: دار الكتب القطرية، ١٣٨٣هـ).
ديري، أحمد، مجربات ديربي (بومبي: مطبعة محمدي بومبائي، ١٣٧٢هـ).
سبانو، أحمد غسان، حيوانات وطيور بلاد الشام (دمشق: مطبعة خالد بن الوليد،
ط١، ١٤٠٢هـ/١٩٨٣م).

شقيير، نعوم بك، تاريخ سيناء القديم والحديث وجغرافيتها (بيروت: دار الجليل،
ط١، ١٤١١هـ/١٩٩١م).

الشتناوي، أحمد وآخرين، دائرة المعارف الإسلامية، (بيروت: دار المعرفة، ١٩٣٣م).
الشهاوي، مجدي محمد، قصص الطير والحيوان من الحديث والقرآن (القاهرة: مطبعة
دار النصر، ١٩٣٣م).

الشياني، غازي مهنا، من وحي البادية (الكويت: مطابع الماضي، ١٤٠٤هـ/
١٩٨٣م).

ط. س. نباهة الحيوان، ترجمة عبداللطيف شرارة (بيروت: دار ابن زيدون، ط١،
١٨٩٠م).

الطوخي، عبد الفتاح السيد عبده، العفارت والجن (القاهرة: مطبعة حسان، د.ت).
عاشور، عبد اللطيف، قصص الحيوان في الحديث النبوي (القاهرة: دار الطلائع،
١٤١٢هـ/١٩٩٢م).

العاني، فلاح خليل، موسوعة الحيوان عند العرب (عمّان: مطبعة البهجة، ط١،
١٩٩٧م).

عبدالله، حسن، الراعي والناقة والذئب (بيروت: دار الراتب العربي، ط٣،
١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

العزي، عزيز العلمي، الحيوان في تراثنا بين الحقيقة والأسطورة (بغداد: دار الشؤون
الثقافية العامة، ١٩٨٧م).

علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام (بيروت: دار العلم للملايين،
١٩٧٠م).

العماري، فضل بن عمار، الدم المقدس عند العرب (الرياض: مكتبة التوبة، ط١،
١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م).

غالب، إدوار، حيوانات لبنان البرية والمائية (بيروت: المطبعة الكاثوليكية، ١٩٧٠م).
قطامش، عبدالمجيد، الأمثال العربية دراسة تاريخية تحليلية (دمشق: دار الفكر للطباعة
والتوزيع والنشر، ط١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م).

الكتاني، مصطفى سعيد ، أسس بيولوجيا وإدارة الحيوانات البرية (الموصل ، مطابع جامعة الموصل ، ١٩٨٠م).

كمال، خالد بكر، الحياة الفطرية في المملكة العربية السعودية (المدينة المنورة: دار الزمان ، ط٢ ، ١٤١٨هـ/١٩٩١م).

حديقة الحيوان (المدينة المنورة : دار الزمان ، ط١ ، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م).

لقمان، حمزة علي، أساطير من تاريخ اليمن (بيروت: دار المسيرة، ط٢ ، ١٩٨٨م).
المعلوف، أمين، معجم الحيوان (بيروت: دار الراتب العربي، ط٣ ، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م).

اليوسف، إبراهيم بن عبدالله، قصة وأبيات (الرياض: مرام للطباعة، ١٤١٧هـ).
البحوث والمقالات

أنور ، محمد فكري ، عالم الحيوان في المملكة العربية السعودية ، مجلة الفيصل، ع٩٨ (شعبان ١٤٠٥هـ - مايو ١٩٨٥م).

حسنين علي، فؤاد، لامية العرب، مجلة كلية الآداب - جامعة القاهرة (١٩٤٨م).
خورشيد، فاروق، الإنسان والوحش، مجلة الدوحة (فبراير، ١٩٨١م).

السواط، عبد العزيز، هل تأكل الذئب الشياطين، جريدة عكاظ، س٣٥ ، ع١٠١٦٠ ، الخميس، ٢٢ ذو الحجة ، ١٤١٤هـ/٢ يونيو ، ١٩٩٤م).

العماري، فضل بن عمار، رسالة في الذئب: الذئب في اللغة ، مجلة جامعة الملك سعود (الآداب) م١٠ ، ع٢ ، (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

غراب، يوسف خليفة، لغة الطبيعة في الجزيرة العربية، مجلة المنهل، ع٥٠٩ (جمادى الأولى، ١٤١٤هـ/أكتوبر، ١٩٩٣م).

المراجع الأجنبية

الكتب

- Bekoff, Marc**, Coyotes (London: Academic press, 1978).
- Bernard, Daniel**, Wolf und Mensch (Saarbrucker: Saarbrucker Drukerei und Verlag, 1983).
- Boora, Michael**, Mammals of the World (London: Hamlyn, 1970).
- Bour, Laura**, Keine angst Vorm Bosen Wolf (Munchen: Sudwest Verlag, 1978).
- Bradenburg Jim**, White Wolf (Scotland: James Thorton, 1992).
- Brown, David E.** The Wolf in the Southwest (Arizona: The Univ. of Arizona: press, 1983).
- Brown, Leslie & Amadon, Deen**, Eagles, Hawks and Falcon of the World (England: Balding & Mansell, 1st, ed., 1968).
- Burt, William Henry & Grossenheider, Richard A.**, A Field Guide to The Mammals (Boston: Houghton Hifflir Co., 3rd, 1976).
- Caras, Roger A.**, Dangerous to Man (Philadelphia: Chilton Co. 1975).
- Fox, Michael**, the Soul of the Wolf (Boston: Little, Brown, 1980).
- Frank, H.**, Man and Wolf (Dordrech: W. Junk, 1987).
- Freund, Werner**, Der Wolf Mensch (Kassel: Neumamm-Nendamm, 1988).
- Gray, Annie P.** Mammalian Hybrides (Edinburgh: R. & Clare Ltd., 1971).
- Gross, Cristian**, Mammals of the Southern Gulf (Dubai; Emirates Printing Press, 1987).
- Hall, Roberte**, L Wolf and Man (New-York: Acaidemic Press, 1978).
- Hamerstorm, Frances**, An Eagle of the Skey (Iowa: the Iowa stats Uni. 1970).
- Harrington, F.H. and Paquet P.C.** Wolves of the World (Noyes: Noyes Publication) 1984.
- Harrison David L.** Mammals of Arabia (London: Ernerst Benn Ltd, 1968)N.2.
- The Mammals of the Arabian Gulf** (Surcey: Biddles Ltd., 1981).
- Harrison D.L. & Bates Paul L.** The Mammals of Arabia (England , Harrison Zoological Museum Publication, 1991).
- Harrison, Michael.** The Roots of Witchcraft (London: Taindem, 1975).
- Hartley H. & Jackson T.** The clever Coyote (London: Univ. of Nebraska press, 1951).
- Kingdon, Jonathan**, Arabian Mammals (Bahrain: Ministry of Information, 1990).

- Lambert, David**, Birds (London: Warivick Press, 1982).
- Lawrence, R.D.**, Der Ruf der Wolfe (Stuttgart: Albert Muller Verlag, 1987).
- Landun, Diana**, Wolf (Kentucky: the Nature Co., 1933).
- Longon, Stephen**, The mythology of all Races (U.S.A., the Plimpton Press, 1931).
- Majupuria, Trilok Chandra**, Wild is Beautiful (Bangkok: Craftsman Press, st, 1981-1982).
- McIoughlin, John C.**, The Canine clan (New-York: the Viking Press, 1983).
- Mech L. D.** The Way of The Wolf C. U. K. Swan Hill Press, 1991).
- The Wolf** (Minneapolis: Univ. of Minnesota Press, 1981).
- Milles, M.G.L.** the Kalahari Hyaenae (Cambridge Univ. Press, 1990).
- Moss, Cynthia**, Portraits in The Wild (London: Harnish Hamiltons, 1971).
- Mowat Farely**, Never Cry Wolf, in Great Stories of Men and The Animal World (Hong Kong: Toppen printing Co. Ltd N. d.) V.I.
- Pollard, John**, Wolves and Werewolves (London: Robert Hale Ltd., 1988).
- Rothausen, Britta**, Samson unser Wolf (Hannover: Handbuch Verlag, 1979).
- Savage, Candace**, Wolves (London: Robert Hale Ltd., 1988).
- Scott, Jonathan**, Painted Wolves (London: Hamish Hamilton Ltd., 1991).
- Seidensticker, John & Lumpkin, Susen**, Dangerous Animals (Sydney: Weldon Owen Pty., 1995).
- Sharp, Halls Rovert**, Wolf and Man (New-York: Acadimic press, 1978).

الأبحاث والمقالات

- Beeston, A.F.L.**, the Heart of Shanfara, Journal of Semitic Studies, No 18, 1973.

ثبتت المصطلحات

أولاً : عربي - إنجليزي

أ

Canis auereus Syriacus

ابن آوى

Jackal

ابن آوى

Anthus

ابن آوى السوداني

Canis Lupaster

ابن آوى المصري

Der Wolfsbaniger

أصدقاء الذئب

Grey

الأطلس

أ

Chien- Loup

الذئسم

ذ

Aard Wolf

الذئب - ابن الأرض

The Black Wolf

الذئب الأسود

The Prairie Wolf

ذئب البراري

ش

The Laughing Hyaena

الضبع الضاحك

The Stripped Hyaena

الضبع المخطط

Spotted Hyaena

الضبع المرقش

ع

Protetes Cristatus

العسبار

Aquila Varrauxi

العُباب فيرو

ف

Felis Maragita

القطعة الرملية

ك

Hyacon

الكلب الأفريقي المتوحش

Dhole

الكلب الوحشي

Cuon Javanicas

الكلب الوحشي الآسيوي

Coyote

الكويوت

ل

Dieb

اللص - الذئب

و

The Caracal Lynae

الوشق

ثانياً : إنجليزي - عربي

A

Aard Wolf

الذئب - ابن الأرض

Anthus

ابن آوى السوداني

Aquila Varraauxi

العُقاب فيرو

C

Canis auereus Syriacus

ابن آوى

Canis Lupaster

ابن آوى المصري

Chien- Loup

الدَّيْسَم

Coyote

الكويوت

Cuon Javanicas

الكلب الوحشي الآسيوي

D

Der Wolfsbaniger

أصدقاء الذئب

Dhole

الكلب الوحشي

Dieb

اللس - الذئب

F

Felis Maragtita

القطة الرملية

G

Grey

الأطلس

Hyacon	H	الكلب الأفريقي المتوحش
Jackal	J	ابن آوى
Protetes Cristatus	P	العسبار
Spotted Hyaena	S	الضبع المرقش
The Black Wolf	T	الذئب الأسود
The Caracal Lynae		الوشق
The Laughing Hyaena		الضبع الضاحك
The Prairie Wolf		ذئب البراري
The Stripped Hyaena		الضبع المخطط

كشاف الموضوعات

أ

- الإبل ٧١، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٦، ١٤٠، ١٨٠، ١٨٣
ابن آوى ٥، ٦، ١٠، ١١، ١٦، ١٧، ١٨، ٢٠، ١٤٠، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠،
١٦١، ١٩٠
- الاجتماع الجنسي ٦٢
- الأدغم ٢٢
- الأذنان ٢٥
- الأشهب ٢٣
- أصدقاء الذئب ١٠٥
- الأطحل ٢٢، ٩٨
- الأطلال ١٩٦، ١٩٧
- الأطلس ٢١، ٥٣، ٨٣، ١٢٠، ٢١٥
- الأعشاب والسموم ١١٤
- الأغبس ٢٢
- الأغنام ٣٩، ٥٥، ٥٦، ١١١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٥، ١٢٧، ١٢٨
- الأوجار ١١١، ١١٢

ب

البقر الوحشي ٥٣، ٥٤، ١٣٥، ١٤٣، ١٤٩، ١٨٧

ت

التراب ٣٢، ١٧٠، ١٩٨

التراب ٣٣

التضامن ٥٦، ٥٧

ث

الثعابين ١٧٧

الثعالب ١١، ٨٣، ١٥٢، ١٩٧

ج

الجراد ١٧٦، ١٧٧

الجلد ٩٨، ١٢٧، ١٤٠، ١٧٩، ١٨٠، ١٩٢، ٢٠١، ٢٢٩، ٢٣١

الجوع ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٦٩، ٧٢، ٨٠، ٨١، ٨٤، ٨٧، ٩٥، ٩٨، ٩٩

١١٧، ١٥٨، ١٦١، ١٧٢، ١٧٦، ١٨٠، ١٩٤، ٢٢٥

ح

الحديد ١١٢

الحظائر ١١٣

الحُفْر ١١١

الحمام البري ١٦٢

الحمر الوحشية ١٤٣

ح

الخاصرة ٢٤، ٧٣، ٢٠٤

خانق الذئب والنمر ١١٤

الخيال ٨٩، ١١٥، ١١٦، ٢٣١

الخييفعي ١٠، ١٣

د

الدجاج ١٨، ١٦١

الديسم ٩، ١٠، ١١، ١٣، ١٣٢، ١٥٤

ذ

ذئاب فلسطين ١

ذئب البراري ٦٢

الذئب والنار ٦٤

ذئب يوسف ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩

الذكاء ٣٨، ٣٩

الذليل ٦

ر

الرماح ١١٥، ١١٦

رهافة الحس ٣٩

س

الساقان ٢٩

السلعام ٣

السمسم ٣

السمع ٦، ٧، ٨، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٩٧، ٢٠٩

السمك ١٧٩

السهام ٨٤، ١١٥

السير ١٢، ٤٤، ٥٠، ٧١، ١٢٠، ١٨٧، ٢٢٠

ش

الشبكة ١١٣، ١١٤

الشجاعة ٤٠

الشم ٤٦، ٩٧

ص

الصحراء ٢، ٣٧، ٦٧، ٧٢، ٧٣، ٨٠، ٨٨، ٩٠، ٩٩، ١٠٠، ١٠٨، ١٤٥،

١٦٣، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥،

١٨٦، ١٨٧، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣

الصمت ٥٠

الصوت ٢٦، ٤٠، ٤٦، ٤٨، ١٠٢، ١٤١، ١٥١، ١٦٣، ١٦٤، ١٨٢، ١٩٧

الصيد ١٢، ١٤، ٢٠، ٣٢، ٣٣، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٥

٦٦، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١٧٤، ١٧٩

ض

الضباب ١٧٨، ١٧٩

الضباع ٧، ٨، ١٠، ١٣، ١٥، ١٦، ٦٢، ٩١، ٩٢، ٩٣، ١٤١، ١٥٣، ١٥٤

١٥٥، ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦٤، ٢١٧

الضبع المرقش ٨

الضلوع ٢٩

ط

طرد الذئب ١١٦

ظ

الظباء ١١٠، ١١١، ١٢٢، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٨، ١٤٩، ١٥١، ٢٠٤، ٢١١

ح

عدم الحياء ٤١

العسبار ٧، ٨، ١٠، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥٤، ١٥٥، ٢٠٩

العظام ٤٨، ١٧١، ١٧٢، ١٨٠، ٢٢٦

العقبان ١٦٩ ، ١٧٤

العنزة ٥ ، ٢١ ، ١٠٨

العنصل ١١٤

العواء والعويل ٤٦ ، ٤٩

غ

الغدر والخيانة ٤٠ ، ١٠٣

الغريان ١٦٥ ، ٢١١

خ

الفك والأنياب ٢٥

ق

القطعة الرملية ١١

القناعة ٤١

ك

الكاهل ٢٤

الكلاب ٩ ، ١٣ ، ١٧ ، ١٨ ، ٦٣ ، ٧٥ ، ٩٧ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٨٩ ، ٢١٤ ،

٢٢٤ ، ٢٢٩

الكلب الوحشي الآسيوي ١١

الكويت ١٥٥

م

الماء ٣، ١٨، ١٩، ٣٣، ٥٧، ٨٨، ١١٤، ١١٧، ١٤٠، ١٤٧، ١٦٩، ١٨٤،
 ١٨٧، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ٢٢٨، ٢٢٩
 المطاردة ٥٤، ١٤٦
 المهلكة ١١٢، ١٩١
 الموت ٤٣، ٢٠٧

ن

النامرة ١١٣
 النسور ١٦٨
 النعام ١٤، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥

هـ

الهجوم والاختطاف ٥٤
 الهيشة (أم حبين) ١٧٥

و

الوحدة والاجتماع ٣١، ٩١
 الوشق ١٣، ١٤



اليعر ١١٣ ، ١١٤

اليقظة ٤٣